روايات

SUSANNA CLARKE

سوزانا كلارك

بيرانيسي

ترجمة: علاء عودة

2025
الأهلية
AL AHLIA

مكتبة
t.me/soramnqraa

بيرانيسي

الأهليّـة للنشـر والتوزيـع
e-mail: alahlia@nets.jo

الفرع الأوّل (التوزيع)
المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، وسط البلد، بناية 12
هاتف: 4638688 6 00962 ؛ فاكس: 4657445 6 00962
ص.ب: 7855، عمّان 11118، الأردنّ
AlAhliaBookstore alahlia_bookstore
00962775544710 alahliaBookstore@gmail.com

الفرع الثاني (المكتبة)
عمّان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بنايـة 34

◆

بيرانيسي / رواية إنجليزيّة
سوزانا كلارك / بريطانية
ترجمة: **علاء عودة** / فلسطين

◆

طبعة الأهليّة الأولى، 2025
حقوق الطبع محفوظة

◆

الخطوط وتصميم الغلاف: **زهير أبو شايب**، عمّان، هاتف 95297109 7 00962

◆

الصفّ الضوئيّ: **إيمان زكريّا خطّاب**، عمّان، هاتف 95349156 7 00962

الترقيم الدولي: ISBN 978-9957-39-580-3

مكتبة
t.me/soramnqraa

روايـة

مكتبة
t.me/soramnqraa

سوزانا كلارك

بيرانيسي

ترجمة: علاء عودة

2025
الأهلية
AL AHLIA

إلى كولن

«أنا العالِم العظيم، الساحر، الماهر، من يُجري الاختبار. وبالطبع، أحتاج إلى من أُجري الاختبار عليهم[1]».

- ابن أخت الساحر، سي. أس. لويس

«يسمّيني الناس فيلسوفًا أو عالِمًا أو أنثروبولوجيًا. أنا لستُ أيًّا من هذه الأشياء. أنا اذِكاريّ. أدرس المنسيّات. أتكهّنُ بما اختفى تمامًا. أعمل مع الغيبات، مع السكتات، مع الفجوات المثيرة للفضول بين الأشياء. إنني في الواقع أقرب إلى الساحر ممّا إلى أي شيء آخر».

- لورنس آرن-سيلز، حوار في

الحديقة السرية، مايو 1976

(1) ترجمة: سعيد باز، عن أوفير للطباعة والنشر.

المُحتَويات

القسم الأول: بيرانيسي 11

القسم الثاني: الآخَر 31

القسم الثالث: النبي 111

القسم الرابع: 16 161

القسم الخامس: فالنتاين كِترلي 221

القسم السادس: موجة 239

القسم السابع: ماثيو روز سورنسن 297

القسم الأول

بيـرانيــسي

مكتبة
t.me/soramnqraa

حين طلع القمر في القاعة الشمالية الثالثة ذهبتُ إلى الردهة التاسعة

مادةُ اليومِ الأول من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

حين طلع القمر في القاعة الشمالية الثالثة ذهبتُ إلى الردهة التاسعة كي أشهد التقاءَ المُدودِ الثلاثة. هذا أمر لا يحدث سوى مرة واحدة كل ثماني سنوات.

الردهة التاسعة تتميز بالسلالم العظيمة الثلاثة التي فيها. على جدرانها تصطف تماثيل رخامية، المئات والمئات منها، طبقة فوق طبقة، تسمو إلى ارتفاعات قصيّة.

تسلّقتُ الجدارَ الغربي حتى وصلتُ إلى تمثال المرأة التي تحمل قفيرَ نحل، فوق الرصيف بخمسة عشر مترًا. للمرأة ضعفا طولي أو ثلاثة أضعافه والقفيرُ مكسوٌّ بنحلٍ رخاميٍّ تبلغ الواحدةُ منه حجمَ إبهامي. إحدى النحلات –وهذا يسبّب لي دائمًا شيئًا من الإحساس بالغثيان– تزحف فوق عين المرأة اليسرى. أقحمتُ نفسي في داخل

مِشكاةِ المرأة وانتظرتُ حتى سمعتُ هديرَ المُدودِ في القاعات السفلية وأحسستُ بالجدران تهتز من قوةِ ما يوشك أن يحدث.

أولًا جاء المد القادم من القاعات الشرقية. هذا المد ارتقى السلمَ الواقعَ في أقصى الشرق دونما عنف. لم يكن له لونٌ يُذكَر ولم تبلغ مياهَه ارتفاعًا أعلى من الكاحل. انتشرَ كمرآة رمادية على امتداد الرصيف، وكان سطحُه مُعرَّقًا بخطوط من الزبَد الحليبي.

بعدها جاء المد القادم من القاعات الغربية. هذا المد دوّى في صعوده السلمَ الواقعَ في أقصى الغرب وارتطم بالجدار الشرقي في لطمةٍ هائلة، ما جعلَ التماثيل ترتجّ كلها. كان زبدُه ببياض حسكِ السمك القديم، ولجّةُ أعماقِه بلونِ القصدير. ما هي إلا ثوانٍ حتى بلغت مياهُه خُصورَ الطبقةِ الأولى من التماثيل.

أخيرًا جاء المد القادم من القاعات الشمالية. قذف بنفسِه على السلمِ الأوسط، مالئًا الردهةَ بانفجارٍ من الزبد المتلألئ ذي بياضَ الجليد. تغرّقتُ وانبهر بصري. حينما استعدتُ قدرتي على الرؤية كانت المياه تنهال عن التماثيل. عندئذٍ أدركتُ أنني ارتكبتُ خطأً في حساب حجمَي المدَّين الثاني والثالث. اندفعَت ذروةٌ مائيّةٌ متصاعدة إلى حيث كنت أجلس القرفصاء. امتدّت يدٌ مائيّةٌ هائلة كي تقتلعني من على الجدار. ألقيتُ بذراعيَّ حول ساقَي المرأة التي تحمل قفير نحل وصلّيتُ للبيت أن يحميني. غطّتني المياه ومرّت لحظةٌ أحاطني فيها الصمتُ الغريب الذي يجيء حين يغمرنا البحر ويكتم أصواتَه

بنفسه. ظننتُ أنني سوف أموت؛ وإلا فسوف أنجرف إلى القاعات المجهولة، بعيدًا عن المدود المألوفة واندفاعها وطنطنتها. تشبّثتُ.

ثمّ، على نحوٍ مفاجئ مثلما بدأ، انتهى الأمر. تابعَت المدودُ المتلاقيةُ تقدّمَها إلى داخل القاعات المحيطة. سمعتُ الدويّ والطقطقة إذ ارتطمت المدود بالجدران. أخذَت المياه في الردهة التاسعة تغور بسرعة حتى باتت بالكاد تغطي قواعد الطبقة الأولى من التماثيل.

أدركت أنني كنت أمسك بشيء ما. فتحت يدي فوجدت إصبعًا رخاميًا من أحد التماثيل البعيدة تركَته المدودُ في راحتي.

جمال البيت لا يُقاس؛ عطفُه لا حدّ له.

وصفٌ للعالَم

مادةُ اليومِ السابع من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

أنا مصمم على أن أستكشف من العالَم قدرَ ما أستطيع خلال حياتي. في سبيل هذه الغاية بلغتُ بتطوافي القاعةَ التسعمئة والستين غربًا، والقاعة الثمانيمئة والتسعين شمالًا، والقاعة السبعمئة والثامنة والستين جنوبًا. تسلقتُ إلى القاعات العلوية حيث تتحرك الغيوم في تقدُّمٍ بطيء وتَظهر التماثيل فجأةً من خلف الضباب. استكشفتُ

القاعات الغارقة حيث المياه المظلمة مفروشة بزنابق ماء بيضاء. رأيتُ القاعات المتداعية في الشرق، حيث انهارت السقوف والأرضيات -وحتى الجدران أحيانًا!- وحيث تشق أشعةٌ من الضوء الرمادي العتمة.

في كل هذه الأماكن كنت أقف في الأبواب وأنظر إلى الأمام. لم أرَ قطّ أيّ علامة تشير إلى أن العالم يبلغ نهايةً ما، ما هو إلا التتالي المنتظم للقاعات والدهاليز يمتد في البعيد.

ما من قاعة، ما من ردهة، ما من سلّم، ما من دهليز يخلو من التماثيل. في معظم القاعات تغطي التماثيلُ كلَّ المساحة المتاحة، إلا أنك تجد هنا وهناك قاعدةً خالية، أو مشكاة أو حَنِيّة، أو حتى مساحة فارغة على جدارٍ تُرصّعه التماثيل في ما خلا ذلك. هذه الغيابات غامضة بطريقتها مثلها مثل التماثيل نفسها.

لقد لاحظتُ أنه، رغم كون تماثيل القاعة الواحدةِ موحَّدةَ الحجم إلى درجة ما، ثمة تفاوتٌ معتبَرٌ بين القاعة والأخرى. في بعض الأماكن يكون للتماثيل ضعفا طول البشر أو ثلاثة أضعافه، في أخرى تكون بالحجم الطبيعي إلى درجة ما، وفي غيرها لا تبلغ سوى ارتفاع كتفي. القاعات الغارقة تضم تماثيل عملاقة -بارتفاع خمسة عشر مترًا إلى عشرين- لكنها استثناء للقاعدة.

باشرتُ كتابةَ فهرس أنوي أن أدوّن فيه موضعَ كل تمثال وحجمَه وموضوعَه، وأي معالم مهمة أخرى. أتممتُ حتى الآن

العملَ على القاعتين الجنوبيتين الغربيتين الأولى والثانية وأعمل على الثالثة. أحيانًا تُصيبني ضخامةُ هذه المهمة بشيء من الدوار، لكن الواجب يفرض عليّ، بصفتي عالِمًا ومستكشفًا، أن أشهد على أبّهة العالَم.

نوافذ البيت تُطل على أفنية عظيمة؛ أماكن قاحلة خاوية مرصوفة بالحجارة. الأفنية عمومًا رباعية الجوانب، لكن يحدث من آنٍ إلى آخر أن تصادف فناءً بستة جوانب، أو ثمانية، أو حتى –وهذه تحديدًا أفنية غريبة وكئيبة إلى حد ما– بثلاثة فقط.

خارج البيت لا يوجد سوى الأجرام السماوية: شمس وقمر ونجوم.

للبيت ثلاثة طوابق. القاعات السفلية هي حيّزُ المُدود؛ لنوافذها –حين يُنظر إليها من الطرف الآخر لأحد الأفنية– لونٌ أخضر رمادي من المياه المتلاطمة وأبيض من طرطشة الزبد. القاعات السفلية توفّر غذاءً على شكل سمك وقشريات ونبات بحريّ.

القاعات العلوية، كما سبق وقلت، هي حيّز الغيوم؛ نوافذها بيضاء رمادية وغبشاء. أحيانًا ترى صفًّا كاملًا من النوافذ يُنير فجأةً بفعلِ ومضة برق. القاعات العلوية تمنح الماء العذب، الذي يتساقط في الردهات على شكل مطر ويتدفق في جداول نازلًا على الجدران والسلالم.

بين هذين الطابقين (غير الصالحَين للسكنى عمومًا) توجد القاعات الوسطى، وهي حيّز الطيور والبشر. انتظام البيت الجميل هو ما يهب لنا الحياة.

هذا الصباح أطللتُ من نافذة في القاعة الجنوبية الشرقية الثامنة عشرة. على الطرف المقابل من الفناء رأيت الآخَر يُطل من نافذة. كانت النافذة طويلة ومظلمة؛ رأسُ الآخرِ النبيلُ بجبهته العالية ولحيته المشذبة بأناقة محصور داخل إطار في إحدى الزوايا. كان غارقًا في التفكير كما هي حاله أغلبَ الأوقات. لوّحتُ إليه. لم يرَني. بالغتُ في التلويح. رحتُ أقفز في مكاني بطاقةٍ كبيرة. لكنّ نوافذ البيت كثيرة وهو لم يرَني.

قائمة بكل الناس الذين عاشوا وبما هو معلوم عنهم

مادةُ اليومِ العاشر من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

مذ بدأ العالَم، من المؤكد أنه قد وُجِد فيه خمسة عشر شخصًا. ربما كان هناك أكثر؛ لكنني عالِمٌ وعليّ أن أسير بما تُمليه الأدلة. من بين الأشخاص الخمسة عشر الذين يمكن إثبات وجودهم، أنا والآخَر فقط مَن هما على قيد الحياة الآن.

سوف أعدّد الآن الأشخاص الخمسة عشر وأُبيّنُ، حيثما يكون مناسبًا، مَواضعَهم.

الشخص الأول: أنا

أعتقد أنني بين الثلاثين والخامسة والثلاثين من عمري. يبلغ طولي تقريبًا 1.83 مترًا ولي بنية نحيلة.

الشخص الثاني: الآخر

أقدّر سنَّ الآخر بين الخمسين والستين. يبلغ طوله تقريبًا 1.88 مترًا وله، مثلي، بنية نحيلة. إنه قوي ويتمتع باللياقة بالنسبة إلى سنه. لبشرته لون زيتوني شاحب. شعره القصير وشاربه بلون بني داكن. لديه لحية في طور المشيب، تكاد تكون بيضاء؛ مشذبة بأناقة ومدببة بعض الشيء. عظام جمجمته دقيقة على وجه الخصوص، بعظمَي وجنة عاليين أرستقراطيين وجبهة مرتفعة مثيرة للإعجاب. الانطباع الإجمالي الذي يعطيه يوحي بشخص ودود إنما صارم بعض الشيء يكرس نفسه لحياة الفكر.

هو عالِم مثلي والكائن البشري الحي الوحيد الآخر، لذا فإنني بطبيعة الحال أثمّن صداقته للغاية.

يعتقد الآخر أن هناك معرفة عظيمة وسرية مخبوءة في مكان ما من العالم كفيلة بمنحنا قدرات جبارة ما إن نكتشفها. هو ليس متأكدًا تمامًا ممّا يؤلف هذه المعرفة، لكنه أشار في عدة مرات إلى أنها قد تتضمن ما يلي:

1- التغلب على الموت وتحقيق الخلود

2- الاطلاع على ما يفكر فيه الآخرون من خلال عمليةِ تخاطُر

3- تحويل أنفسنا إلى عقبان والطيران عبر الهواء

4- تحويل أنفسنا إلى أسماك والسباحة عبر المدود

5- تحريك الأشياء باستخدام أفكارنا وحدها

6- إخماد الشمس والنجوم وإشعالها من جديد

7- الهيمنة على ذوي المقدرات الفكرية الأدنى وتطويعهم كيفما نريد

أنا والآخر نفتش باجتهاد عن هذه المعرفة. إننا نلتقي مرتين أسبوعيًا (أيام الثلاثاء والجمعة) لنتناقش في عملنا. الآخر ينظم وقته بحرص شديد ولا يسمح أن تطول اجتماعاتُنا أكثر من ساعة.

إن احتاج إلى حضوري في أوقات أخرى، يصيح مناديًا: "بيرانيسي!" إلى أن آتي.

بيرانيسي. هذا هو الاسم الذي يدعوني به.

وهو أمر غريب، لأنه حسبما أتذكر ليس اسمي.

الشخص الثالث: رَجلُ عُلبةِ البسكويت

رجل علبة البسكويت هيكل عظمي يُقيم في مشكاة خالية في القاعة الشمالية الغربية الثالثة. لقد رُتّبت العظام بطريقة محددة: جُمعت الطويلةُ منها ذاتُ الحجوم المتماثلة ورُبطت بعضها ببعض بواسطة

حبل مجدول من العشب البحري. إلى اليمين وُضعت الجمجمة وإلى اليسار توجد علبة بسكويت تحتوي على جميع العظام الصغيرة – سلاميات اليدين، سلاميات القدمين، الفقرات، إلخ... علبة البسكويت حمراء. عليها صورة لقطع بسكويت وتحمل علامتَي *هانتلي بالمرز وفاميلي سيركل*[1] الشهيرتين.

حين اكتشفتُ رجل علبة البسكويت، كان حبل العشب البحري قد جف وتفتت فلم يعد الرجل مرتبًا مثلما كان. صنعتُ حبلًا جديدًا من جلد السمك وربطتُ حزمةَ عظامه من جديد. الآن بات في حالة جيدة مرة أخرى.

الشخص الرابع: الشخص المستتر

ذات يوم قبل ثلاثة أعوام، صعدتُ السلم الذي في الردهة الثالثة عشرة. إذ وجدت أن الغيوم غادرَت تلك المنطقة من القاعات العلوية وأن هذه القاعات مشرقة صافية يملؤها نور الشمس، عقدتُ عزمي على أن أستكشف أكثر. في إحدى القاعات (تلك التي تتوضّع فوق القاعة الشمالية الشرقية الثامنة عشرة مباشرةً) عثرتُ على هيكل عظمي نصف متهدم محشور في مساحة ضيقة بين إحدى القواعد والجدار. بناءً على الوِضعة الحالية للعظام، أعتقد أنه كان أساسًا في وضعية

(1) Huntley & Palmers: شركة بريطانية عريقة لإنتاج البسكويت، وFamily Circle هو اسم لأحد منتجاتها اشتهر بعلبته المعدنية المميزة. (المترجم)

جلوس والركبتان مضمومتان إلى الذقن. لم أتمكن من تبيُّن الجنس. إن سحبتُ العظام كي أفحصها، لما استطعتُ أبدًا أن أرجعها كما كانت.

الأشخاص من الخامس حتى الرابع عشر: أهل الفجوة

أهل الفجوة جميعهم هياكل عظمية. عظامهم مفرودة جنبًا إلى جنب فوق قاعدة خالية داخل الفجوة الواقعة في أقصى الشمال من القاعة الجنوبية الغربية الرابعة عشرة.

لقد حددتُ مبدئيًا جنس ثلاثة هياكل عظمية أنثوية وثلاثة ذكرية، وهناك أربعة لم أستطع أن أحسم جنسها إطلاقًا. أطلقتُ على أحد هذه الهياكل اسمَ رجل جلد السمك. الهيكل العظمي لرجل جلد السمك ناقص والعديد من العظام تهرّأت كثيرًا بفعل المدود. بعضها لا يكاد يزيد على كونه حصًى صغيرًا من العظم. في أطراف بعض العظام فُتحت ثقوب صغيرة تحتوي على بقايا من جلد السمك. من هذا أستنبطُ بضعة استنتاجات:

1- هيكل رجل جلد السمك أقدم من البقية

2- هيكل رجل جلد السمك كان ذات زمان معروضًا بشكل مختلف، عظامه كانت مربوطة بعضها ببعض بواسطة سيور من جلد السمك، لكن الجلد تفسخ مع مرور الزمن

3- الأشخاص الذين جاؤوا بعد رجل جلد السمك (أهل الفجوة كما يُفترض) كانوا يوقّرون الحياة البشرية إلى حد أنهم جمعوا عظامه بأناة وأرقدوه مع موتاهم

سؤال: عندما أحسّ أنني شارفتُ على الموت، أيحسن بي أن أذهب وأرقد مع أهل الفجوة؟ وفقًا لتقديري، ثمة متسع لأربعة بالغين بعد. غير أنني شابٌّ ويومُ وفاتي (كما آمل) ما زال بعيدًا بعض الشيء، لقد أفردتُ لهذه المسألة قدرًا من التفكير.

هناك هيكل عظمي آخر يرقد بجوار أهل الفجوة (إلا أن هذا لا يُعَدُّ من الناس الذين عاشوا). إنه رُفات مخلوقٍ يبلغ طوله تقريبًا 50 سنتيمترًا وله ذيل بطولِ بدنه. لقد قارنتُ العظام بأنواع المخلوقات المختلفة التي تُصوّرها التماثيل وأعتقد أنها ترجع إلى قرد. لم يسبق لي قط أن رأيت قردًا حيًا في البيت.

الشخص الخامس عشر: الطفلة المضمومة

الطفلة المضمومة هيكل عظمي. أعتقد أنها أنثى وأنها بلغت من العمر سبع سنوات تقريبًا. موضوعة على قاعدة خالية في القاعة الجنوبية الشرقية السادسة. ركبتاها مضمومتان إلى ذقنها، ذراعاها تطوّقان ركبتيها، رأسها محنيّ إلى الأسفل. حول عنقها قلادة من خرز المرجان والحسك.

لقد أفردت كثيرًا من التفكير للعلاقة التي تجمع هذه الطفلة بي. الأحياء في العالَم (كما سبق وشرحت) هم فقط أنا والآخر؛ وكلانا ذكر. كيف سيكون لدى العالَم ساكنٌ حين نموت؟ ما أعتقده هو أن العالم (أو، إن شئتَ، البيت، بما أن الاثنين متطابقان من جميع النواحي العملية) يرغب أن يكون له ساكنٌ كي يشهد على جماله ويتلقى ألطافَه. لقد افترضتُ أن البيت كان ينوي للطفلة المضمومة أن تكون

زوجتي، غير أن شيئًا ما قد حدث وحال دون ذلك. مذ راودتني هذه الفكرةُ بدا لي من الصواب أن أشاطرها ما أملك.

أنا أزور الموتى جميعهم، إنما الطفلة المضمومة على وجه الخصوص. أجلب لهم الطعام والماء وزنابق الماء من القاعات الغارقة. أكلّمهم، أحكي لهم عما أفعله وأصف كل أعجوبة أشاهدها في البيت. بهذه الطريقة يعلمون أنهم ليسوا وحدهم.

أنا فقط من أفعل هذا. أما الآخر فلا. هو على حد علمي لا يمارس أي شعائر دينية.

الشخص السادس عشر

وأنت. من أنت؟ من هذا الذي أكتب له؟ هل أنت عابر سبيل تحايلَ على المدود وقَطَعَ الأرضيات المتهدمة والسلالم المتداعية ليصل إلى هذه القاعات؟ أم لعلك شخص يسكن قاعاتي ذاتها بعد انقضاء نحبي بزمن طويل؟

يومياتي

مادةُ اليومِ السابع عشر من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

أنا أكتب ما أرصده في دفاتري. أفعل هذا لسببين اثنين. الأول أن الكتابة تنمّي عادةَ الدقة والحرص. الثاني كي أحفظ ما أملكه من

معرفة لك أنت، أيها الشخص السادس عشر. أحتفظ بدفاتري في حقيبة ساعي بريد جلدية بنية؛ عادةً ما أبقي الحقيبة في مكان مجوف خلف تمثال الملاك العالق في شجيرةِ ورد في الزاوية الشمالية الشرقية من القاعة الشمالية الثانية. هناك أيضًا أحتفظ بساعتي، التي تَلزمني أيام الثلاثاء والجمعة حين أذهب من أجل لقاء الآخر عند الساعة العاشرة. (في الأيام الأخرى أحاول ألا أحمل ساعتي خشيةَ أن يدخل ماء البحر إليها ويُتلف أجزاءها الآلية).

أحد دفاتري هو جدول المدود خاصتي. فيه أدوّن مواعيد المدود والجزور وأحجامها وأجري حسابات للقادم منها. من بين الدفاتر أيضًا فهرس التماثيل خاصتي. في الدفاتر الأخرى أسجّل يومياتي التي أكتب فيها أفكاري وذكرياتي وأوثّق أيامي. حتى الآن ملأتْ يومياتي تسعةَ دفاتر؛ هذا هو الدفتر العاشر. جميعها مرقّمة ومعظمها معنونة بالتواريخ التي تحتويها

- رقم 1 معنون بـ *من ديسمبر 2011 حتى يونيو 2012*

- رقم 2 معنون بـ *من يونيو 2012 حتى نوفمبر 2012*

- رقم 3 كان معنونًا في الأصل بـ *من نوفمبر 2012*، لكن هذه العبارة شُطبت في مرحلة ما وأعيدت عنونته بـ *من اليوم الثلاثين من الشهر الثاني عشر في سنةِ البكاء والنحيب، حتى اليوم الرابع من الشهر السابع في السنة التي اكتشفتُ فيها القاعات المرجانية*

يحتوي كل من رقم 2 ورقم 3 على مواضعِ نقصٍ انتُزعت صفحاتُها بعنف. لقد استغرقتُ في التفكير في سبب هذا وحاولت أن أتخيل من تراه يكون الذي فعله، لكنني حتى الآن لم أصل إلى نتيجة.

- رقم 4 معنون بـ *من اليوم العاشر من الشهر السابع في السنة التي اكتشفتُ فيها القاعات المرجانية، حتى اليوم التاسع من الشهر الرابع في السنة التي سمّيتُ فيها كوكبات النجوم*

- رقم 5 معنون بـ *من اليوم الخامس عشر من الشهر الرابع في السنة التي سمّيتُ فيها كوكبات النجوم، حتى اليوم الثلاثين من الشهر التاسع في السنة التي أحصيتُ فيها الموتى وسمّيتُهم*

- رقم 6 معنون بـ *من اليوم الأول من الشهر العاشر في السنة التي أحصيتُ فيها الموتى وسمّيتُهم، حتى اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني في سنةِ انهيارِ السقوفِ في القاعتين الشماليتين الشرقيتين العشرين والحادية والعشرين*

- رقم 7 معنون بـ *من اليوم السابع عشر من الشهر الثاني في سنةِ انهيارِ السقوف في القاعتين الشماليتين الشرقيتين العشرين والحادية والعشرين، حتى اليوم الأخير من السنة نفسها*

- رقم 8 معنون بـ *من اليوم الأول من السنة التي بلغتُ فيها القاعةَ الغربية التسعمئة والستين، حتى اليوم الخامس عشر من الشهر العاشر من السنة نفسها*

– رقم 9 معنون بـ من اليوم السادس عشر من الشهر العاشر في السنة التي بلغتُ فيها القاعةَ الغربية التسعمئة والستين، حتى اليوم الرابع من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

استُهلَّ دفتر اليوميات هذا (رقم 10) في اليوم الخامس من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية.

من العوائق التي تتضمنها عمليةُ تدوين اليوميات صعوبة العودة إلى المواد المُهمة، لذا أعمد إلى استخدام أحد الدفاتر فهرسًا لمحتويات البقية. في هذا الدفتر خصصتُ عددًا من الصفحات لكل حرف من حروف الأبجدية (صفحات أكثر للحروف الشائعة، مثل حرفَي A وC؛ وصفحات أقل للحروف الأندر تكرارًا، كحرفَي Q وX على سبيل المثال). تحت كلّ حرف أُفرِدُ قائمةً بالمواد حسب الموضوع والمكان الذي تحتله من يومياتي.

إذ أعدتُ قراءة ما كتبتُه للتو، أدركتُ شيئًا. لقد استخدمتُ نظامَين اثنين لترقيم السنوات. كيف لم ألحظ هذا من قبل؟

أعترف بتقصيري. يلزم اعتماد نظام ترقيم واحد فقط. استخدام نظامَين يسبب الإرباك والالتباس والشك والخربطة. (كما أنه لا يسرّ من الناحية الذوقية).

تبعًا للنظام الأول سمَّيتُ سنتين: 2011 و2012. هذا يبدو لي ركيكًا للغاية. إضافةً إلى أني لا أستطيع أن أتذكر ما حدث قبل ألفَي

سنة ليجعلني أرى تلك السنة نقطةَ انطلاق جيدة. بحسب النظام الثاني، أطلقتُ على السنين أسماء من قَبيل "السنة التي سمّيتُ فيها كوكبات النجوم" و"السنة التي أحصيتُ فيها الموتى وسمّيتُهم". هذا يروق لي أكثر بكثير. إنه يمنح كلَّ سنةٍ شخصيتَّهَا الخاصة. هذا هو النظام الذي سوف أستخدمه من الآن فصاعدًا.

التماثيل

مادةُ اليومِ الثامن عشر من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هناك تماثيل أحبُّها أكثر من البقية. من بينها تمثال المرأة التي تحمل قفيرَ نحل.

وكذلك واحد آخر -ربما يكون التمثال الذي أحبه أكثر من أي تمثال غيره بالمطلق- ينتصب عند بابٍ بين القاعتين الشماليتين الغربيتين الخامسة والرابعة. إنه تمثال لـ "فون"، مخلوقٍ نصف إنسان ونصف ماعز، يكسو رأسَه شعرٌ مجعد غزير. يبتسم قليلًا ويضع سبابته على شفتيه. لطالما شعرتُ أنه يقصد أن يقول لي شيئًا أو ربما أن يحذّرني من شيء: *الزم الهدوء!* يبدو يقول لي. *توخَّ الحذر!* لكن أي خطر يكون هذا يا ترى، لم أعرف قط. لقد حلمت به ذات مرة؛ كان يقف في غابة تغطيها الثلوج ويكلّم طفلةً أنثى.

تمثال الغوريلا الذي ينتصب في القاعة الشمالية الخامسة لطالما لفت نظري. إنه مُصوَّرٌ في وضعية قرفصاء على طرفيه السفليين، ينحني إلى الأمام ويسند نفسه على ذراعيه وقبضتيه القوية. وجهُه يفتنني. جبينه العظيم يُلقي ظلًا على عينَيه، وهذا التعبير في البَشَر يسمى عُبوسًا، لكن في الغوريلا يبدو أنه يعني النقيض تمامًا. هذا التمثال يمثل أشياء عديدة، من بينها السلام والسكينة والقوة والثبات.

ثمة تماثيل كثيرة أخرى أحبها – الصبي الذي يَضرب بالصنوج، الفيل الذي يحمل قلعة، المِلكان اللذان يلعبان الشطرنج. آخر تمثال سأذكره ليس من المفضلة لدي تمامًا. هو بالأحرى تمثال، أو، توخيًّا للدقة، زوج من التماثيل، يجذب انتباهي كلما رأيته. التمثالان يحيطان بالباب الشرقي للقاعة الغربية الأولى من الجانبين. يبلغ طولهما تقريبًا ستة أمتار ويميّزهما أمران غير معهودين: أولًا، هما أكبر بكثير من التماثيل الأخرى في القاعة الغربية الأولى؛ ثانيًا، هما غير كاملين. جذعاهما منبثقان من الجدار عند خصرَيهما؛ أذرعهما ممدودة إلى الخلف لتَدفع بقوّة؛ عضلاتهما منتفخة من الجهد وقسمات وجهيهما ملتوية. ليس من المريح تأمُّلهما. يبدوان متألّمين، يكافحان كي يُولَدا؛ قد يكون الكفاح بلا جدوى ومع ذلك هما لا يستسلمان. لرأسيهما قرونٌ بارزة بإفراط، لذا سمّيتُهما "العملاقان الأقرنان". إنهما يمثلان السعي والكفاح في وجه قدَرٍ بائس.

أهي قلة احترامٍ للبيت أن أُحب بعضَ التماثيل أكثر من غيرها؟ أحيانًا أسأل نفسي هذا السؤال. ما أعتقده هو أن البيت عن نفسه يحب

جميع الأشياء التي خلقَها ويُنعم عليها على حد السواء. أيجدر بي أن أحاول فعل الشيء نفسه؟ مع ذلك، في الوقت ذاته، بوسعي أن أرى أن من طبيعة البشر تفضيل شيء على آخر، إيجاد معنًى في شيء أكثر مما في آخر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

هل للأشجار وجود؟

مادةُ اليومِ التاسع عشر من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

ثمة الكثير من الأشياء غير المعلومة. ذات مرة –قبل نحو ستة أشهر أو سبعة– رأيت ما يشبه بقعةً صفراء فاقعة تطفو على وجه مدٍّ خفيفٍ تحت القاعة الغربية الرابعة. إذ لم أفهم ماذا يمكن أن تكون، خوّضتُ في المياه والتقطتُها. كانت ورقةَ نبات، جميلة جدًا، طرفاها منحنيان يلتقيان في نقطة عند نهايتيها. بالطبع من الممكن أن تكون جزءًا من أحد أصناف النباتات البحرية التي لم يسبق أن رأيتها، لكنني أشك في ذلك. لقد بدا أن في قوامها شيئًا غير صائب. كان سطحُها يصدّ الماء، كأنها شيء خُلق ليعيش في الهواء.

القسم الثاني

الآخَـــر

باتر-سي

مادةُ اليومِ التاسع والعشرين من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرِسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح عند الساعة العاشرة ذهبتُ إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية لألتقي بالآخر. عندما دخلتُ إلى القاعة وجدته هناك بالفعل، يتكئ على قاعدة خالية، ينقر على أحد أجهزته الساطعة. كان يرتدي بدلةً حسنةَ التفصيل من الصوف فحمي اللون وقميصًا أبيض ناصعًا يتباين تباينًا سارًّا مع درجات اللون الزيتوني لبشرته.

دون أن يرفع رأسه عن جهازه، قال: «أحتاج إلى بعض البيانات».

كثيرًا ما يكون هكذا: غارق في التركيز على ما يفعله إلى حد أنه ينسى أن يقول مرحبًا أو إلى اللقاء أو أن يسألني كيف حالي. أنا لا أمانع. إنني معجب بإخلاصه لعمله العلمي.

«أي بيانات؟»، سألته: «هل بوسعي مساعدتك؟».

«طبعًا»، قال: «في الحقيقة، لن أصل إلى شيء إن لم تفعل. اليوم موضوع بحثي هو»، عند هذا رفع رأسه عما يفعله وابتسم لي، «أنت». إنّ لديه ابتسامة لا نظير لسحرها حين يتذكر أن يستخدمها.

«حقًا؟»، قلت: «ما الذي تحاول أن تكتشفه؟ هل لديك فرضية حولي؟».

- أجل.

- ما هي؟

- لا أستطيع إخبارك بهذا. قد يؤثر في البيانات.

- أوه! أجل. هذا صحيح. آسف.

«لا بأس»، قال: «من الطبيعي أن نشعر بالفضول». وضع جهازه الساطع على القاعدة الخالية واستدار. «اجلس»، قال.

جلست على الرصيف متربعًا، وانتظرت أسئلته.

«مرتاح؟»، قال: «جيد. والآن أخبرني. ماذا تتذكر؟».

«ماذا أتذكر؟»، سألته محتاراً.

«أجل».

«هذا سؤال يَعدم التحديد»، قلت.

«وإن يكن»، قال: «حاول أن تجيب عنه».

«حسنًا»، قلت: «أعتقد أن الجواب هو كل شيء. أنا أتذكر كل شيء».

«حقًا؟»، قال: «إنّ هذا ادعاء كبير بحق. هل أنت متأكد؟».

- أظن ذلك.

- أعطني بعض الأمثلة عن الأشياء التي تتذكرها.

«حسنًا»، قلت: «لنقل إنك ذكرتَ لي قاعةً تبعد من هنا رحلةَ عدة أيام. في حالِ كنتُ قد زرتها من قبل، يمكنني على الفور أن أخبرك كيف تصل إليها. يمكنني أن أعدد لك كل قاعة سيلزمك أن تمر بها. يمكنني أن أصف التماثيل البارزة التي ستراها على الجدران، وبدرجة معقولة من الدقة، يمكنني أن أخبرك بمواضعها - الجدار الذي تنتصب أمامه، أكان الشمالي أم الجنوبي أم الشرقي أم الغربي - وفي أي رقعة من الجدار تنتصب. يمكنني أيضًا أن أعدد جميع الـ...».

«ماذا عن باتر-سي؟»، سألني الآخر.

- اممم... ماذا؟

- باتر-سي. هل تتذكر باتر-سي؟

- كلا... أنا... باتر-سي؟

- أجل.

- لستُ أفهم...

انتظرت الآخر كي يفسر، لكنه لم يقل شيئًا. كان بوسعي أن أرى أنه يراقبني من كثب وكنت متأكدًا أن هذا السؤال مفصليٌّ بالنسبة إلى البحث الذي يجريه أيًا كان، لكن بخصوص كيف يفترض بي أن أجيب عنه، لم أكن أملك أدنى فكرة.

«باتر-سي ليست كلمة»، قلت أخيرًا: «ما من مدلول لها. لا شيء في العالم تُحيل إليه هذه التوليفةُ من الأصوات».

ظل الآخر لا يقول شيئًا. تابع التحديق فيّ بإمعان. رددتُ له التحديق مضطربًا.

ثم: «أوه!»، هتفتُ، وقد اتّضح لي الأمر فجأة، «فهمتُ ما تفعله!»، بدأت أضحك.

«ما الذي أفعله؟»، سألني الآخر مبتسمًا.

«تحتاج أن تكتشف إذا ما كنتُ أقول الحقيقة. لقد قلتُ لتوي إنه يمكنني أن أصف الطريق إلى أي قاعة سبق لي أن زرتها. لكنك لا تملك طريقةً تَحكم بها على صدق ادعائي. على سبيل المثال، إن أنا وصفتُ الطريق إلى القاعة الشمالية السادسة والتسعين، لن تعرف إذا ما كانت توجيهاتي دقيقةً لأنك لم تذهب إلى هناك من قبل. لذا طرحتَ علي سؤالًا فيه كلمةٌ بلا معنى - باتر-سي. لقد اخترتَ بحنكة شديدة كلمةً تبدو تدل على مكان. "البحر العنيف"[1]. مكان

---

(1) Batter-Sea: وتعني تقريبًا "البحر العنيف". (المترجم)

عاث فيه البحر فسادًا. فإن أنا قلت إنني أتذكر باتر-سي ثم وصفتُ الطريق إلى هناك، سوف تعلم أنني أكذب. سوف تعلم أني كنت أتبجح ببساطة. لقد طرحتَ هذا ليكون سؤالًا ضابطًا».

«هذا هو الأمر بالضبط»، قال: «هذا هو بالضبط ما أفعله».

ضحكنا كلانا.مكتبة سُر مَن قرأ

«هل لديك المزيد من الأسئلة لي؟»، سألته.

«كلا. انتهينا». كان يوشك أن يستدير ليُدخل البيانات في جهازه الساطع، لكنّ شيئًا فيّ لفت انتباهَه فنظر إليّ نظرةً محتارة.

«ما الأمر؟»، سألته.

- نظارتك. ما الذي حدث لها؟

- نظارتي؟

«أجل»، قال: «تبدو... غريبة بعض الشيء».

«ما قصدك؟».

«ذراعاها ملفوفتان مرارًا بشريطين من شيء ما»، قال: «وطرفا الشريطين يتدليان من الجانبين».

«أوه! فهمت»، قلت: «أجل! ذراعا نظارتي تنخلعان طيلة الوقت. اليسرى أولًا. ثم اليمنى. البلاستيك يتآكل بسبب الهواء المشبع بالملح. أنا أجرّب إصلاحهما بأساليب مختلفة. على الذراع

اليسرى استخدمتُ شرائط من جلد السمك وغراء السمك وعلى الذراع اليمنى استخدمت عشبًا بحريًا. هذا أقل نجاحًا».

«أجل»، قال: «أتخيل أن يكون كذلك».

في القاعات تحتنا ارتطم المد الوارد بأحد الجدران. *بووم*. تراجع، ثم اندفع إلى الأمام عبر الأبواب وارتطم بجدار الحجرة التالية. *بووم*. *بووم*. *بووم*. تراجع من جديد؛ اندفع إلى الأمام من جديد. *بووم*. طنَّت القاعةُ الجنوبية الغربية الثانية مثل وتَرٍ نُقِرَ في آلة موسيقيّة.

بدا الآخر قلقًا. «الصوت يدل أنه قريب حقًا»، قال: «ألا يحسن بنا أن نخرج من هنا؟». هو لا يفهم المدود.

«لا داعي»، قلت.

«طيب»، قال. لكنه لم يطمئن. اتسعت عيناه وازداد تنفسه سطحيةً وسرعة. ظل يُلقي النظرات من باب إلى باب كأنه يتوقع أن يرى الماء ينصبّ مقتحمًا المكان بين ثانية وأخرى.

«لا أريد أن أَعلَق»، قال.

ذات مرة كان الآخر في القاعة الشمالية الثامنة. ارتفع مدٌّ قويٌّ من القاعات الشمالية في الردهة العاشرة، تبعَه بعد لحظات مدٌّ يساويه في القوة من القاعات الشرقية في الردهة الثانية عشرة. انصبّت كميات هائلة من الماء إلى داخل القاعات المحيطة، بما فيها القاعة التي كان الآخر فيها. اقتلعته المياه وحملته بعيدًا، جارفةً إياه عبر الأبواب تخبطه

بالجدران والتماثيل. عدة مرات غمرَه الماء بالكامل، وتوقع أن يغرق. في النهاية ألقته المدود على رصيف القاعة الغربية الثالثة (تبعد مسافةَ سبع قاعات عن المكان الذي بدأ منه). وهناك وجدتُه. جلبتُ له بطانية وحساء ساخنًا مصنوعًا من العشب البحري والمحار. حالما صار قادرًا على المشي، حمل نفسه وانصرف دون أدنى كلمة. لا أعلم إلى أين ذهب. (أنا لا أعلم بحقٍّ أبدًا). حدث هذا في الشهر السادس من السنة التي سمّيتُ فيها كوكبات النجوم. منذئذٍ بات الآخر يخاف من المدود.

«ما من خطر»، قلت له.

«هل أنت متأكد؟»، قال.

بووم. بووم.

«أجل»، قلت: «خلال خمس دقائق، سوف يَبلغ المد الردهةَ السادسة ويعتلي السلّم. القاعة الجنوبية الثانية –التي تبعد قاعتين شرقًا من هنا– سوف تفيض مدةَ ساعة. لكن الماء لن يزيد على ارتفاع الكاحل ولن يصل إلينا».

أومأ برأسه، غير أن مستوى قلقه ظل مرتفعًا، وانصرف بعد ذلك بوقت قصير.

في أول المساء ذهبتُ إلى الردهة الثامنة كي أصطاد السمك. لم أكن أفكر في محادثتي مع الآخر؛ كنت أفكر في عشائي وفي جمال

التماثيل في ضوء المساء. لكن فيما كنت واقفًا أُلقي شبكتي في مياه السلّم السفلي، ارتفعَت أمامي صورة. رأيتُ خربشةً سوداء على خلفية من سماء رمادية ووميضٍ أحمر زاهٍ؛ تهادت كلماتٌ نحوي – كلمات بيضاء على خلفية سوداء. في الوقت نفسه، دوّت ضجةٌ مفاجئة وأحسستُ بمذاقٍ معدنيّ على لساني. وبدت جميع الصور –التي ليست أكثر من شذرات أو أشباحِ صور في الحقيقة– تلتمُّ حول الكلمة الغريبة، "باتر–سي". حاولت أن أمسك بها، أن أزيد من حدة وضوحها، لكنها مثل حلمٍ تلاشت واختفت.

صليبٌ أبيض

مادةُ اليومِ الثلاثين من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

إن تفحّصتَ دفتر يومياتي السابق (دفتر اليوميات رقم 9) سوف ترى أنني لم أكتب سوى القليل جدًا في آخر شهر من السنة الماضية وأول شهر ونصف من هذه السنة. (هذا يحدث أحيانًا لسبب سوف أشرحه في ما يلي). خلال هذه الفترة وقع حدث، كنت أنوي أن أكتب عنه. وهذا ما سأفعله الآن.

كان الشتاء في عزّه. تراكمت الثلوج على درجات السلالم. ارتدى كلُّ تمثال في الردهات عباءةً أو كفنًا أو قبعة من الثلج. بات كل تمثال

له ذراع ممدودة (وهذه تماثيل كثيرة) يمسك دلاةً جليدية مثل سيفٍ معلَّق أو يتدلى من ذراعه صفٌّ من الدلى الجليدية كأنها ريش نما حديثًا.

ثمة شيء أعرفه لكنني أنساه دائمًا: الشتاء قاسٍ. البرد يستمر ويستمر ولا يستطيع المرء إبقاء نفسه دافئًا إلا بمشقة وجهد. كل سنة، مع اقتراب الشتاء، أهنّئ نفسي على امتلاكي مؤونة وافرة من العشب البحري الجاف أستخدمُها وقودًا، لكن مع امتداد الأيام والأسابيع والشهور تقلّ ثقتي بأن لديّ ما يكفي. أرتدي من ثيابي القدرَ الذي أستطيع تكديسه على جسدي. كلَّ جمعة أقوم بجردٍ وقودي وأحسب المقدار الذي يمكنني السماح لنفسي به في كل يوم بحيث يكفيني حتى الربيع.

في الشهر الثاني عشر من السنة الماضية، علّق الآخرُ عملَه على المعرفة العظيمة والسرية وألغى لقاءاتنا لأنه قال إن الجو أبرد من أن يسمح بالوقوف والكلام. كان البرد يصيب أصابعي بالخدر – ما جعل خط يدي رديئًا. في النهاية كففتُ عن الكتابة في يومياتي بالمطلق.

في نحو منتصف الشهر الأول جاءت ريحٌ من الجنوب. راحت تهبّ أيامًا دون انقطاع، ورغم أنني حاولت ألا أتذمر منها، فقد وجدتُها محنةً بقدرٍ ما. كانت تحمل ثلجًا لاذعًا إلى داخل القاعات. تهبّ عليّ ليلًا في فراشي في القاعة الشمالية الثالثة. تعوي في الردهات، ملتقطةً حفنات من الثلج السائب تُشكّل منها أشباحًا صغيرة.

لم يكن كل ما في الريح سيئًا. أحيانًا كانت تهبّ مارّةً في فجوات التماثيل وصدوعها الصغيرة وتجعلها تغني وتصفر بطرائق مفاجئة؛ لم

أكن أعرف قط أن للتماثيل أصواتًا قبل ذلك، وهذا جعلني أضحك من البهجة المحض.

ذات يوم نهضتُ باكرًا وذهبت إلى الردهة الثالثة والأربعين. كانت القاعات التي مررتُ عبرها رمادية ومعتمة، بما لا يزيد على إيحاء بالضوء في النوافذ - فكرة الضوء، أكثر مما هي الضوء نفسه.

كنت أنوي أن أجمع عشبًا بحريًا، من أجل الطعام والوقود معًا. في الحالة الطبيعية يتعين علي الانتظار حتى الربيع والصيف والخريف كي أجفف العشب البحري. الشتاء أبرد وأكثر بللًا من أن يتيح ذلك. لكن خطر لي أنه إن استطعت أن أعلّق العشب البحري (ربما على مدخل أحد الأبواب) ستتكفل الريح بتجفيفه سريعًا. الصعوبة الوحيدة ستكمن في تثبيت العشب البحري بحيث لا ترميه الريح. كنت قد فكرت في ثلاث طرائق لفعل هذا وبتُّ متشوّقًا لتجريبها كلها كي أرى أيها ستكون الأكثر كفاءة.

إذ عبرتُ القاعة الغربية الحادية عشرة، أخذت الريح تطيح بي من بلاطة إلى أخرى كما لو كنت حجر شطرنج على رقعة. (لقد نفّذتُ بعض الحركات المبتكرة للغاية!).

نزلتُ على السلّم في الردهة الثالثة والأربعين ودخلت إلى القاعة السفلية، تلك التي تقع مباشرةً تحت القاعة الجنوبية الغربية السابعة والثلاثين. تمثّل أحد آثار الريح في أن المدود العالية كانت أعلى وأعنف من المعتاد بكثير؛ المدود المنخفضة كانت على العكس أكثر انخفاضًا.

كان المد منخفضًا في حينها والبحر انحسر بعيدًا حتى فرغت القاعة بأكملها من الماء (وهذا نادر الحدوث جدًا). انتشرت مخلّفاتُ المد في القاعة: عشب بحري يَخفق في الريح مثل رايات صغيرة، وحصى ونجوم بحر وأصداف تخشخش في أنحاء الرصيف الحجري إذ تطاردها الريح.

كان الوقت مبكرًا، وقد انقضى على الفجر لحظات قصيرة. كنت أرى السماء الذهبية الشاحبة منعكسة في بعض النوافذ في الفناء. أمامي كانت المياه الرمادية المضطربة تظهر ضمن إطار مدخل الباب المُفضي إلى القاعة التالية. جموح الماء يتضارب مع حدة خطوط الباب.

انحنيتُ وبدأت أجمع العشب البحري البارد المبتلّ. حتى هذه المهمة البسيطة كانت أصعب بفعل الريح، إذ تعين عليّ أن أنفق كثيرًا من طاقتي على الثبات في مكاني. كذلك كانت الريح تلتقط خصلَ العشب البحري، فتَجلد يديّ وتبرّدهما وتقرّحهما.

بعد قليل انتصبتُ واقفًا كي أُريح ظهري. مرة أخرى، رفعتُ عينيّ إلى مدخل الباب المُفضي إلى القاعة التالية.

راودَتني رؤيا! في الهواء المعتم فوق الأمواج الرمادية تدلّى صليبٌ أبيض ساطع. بياضه بياضٌ ملتهب؛ سطوعه يكاد يحجب جدار التماثيل الذي خلفه. كان جميلًا لكنني لم أفهمه. اللحظةُ التالية جلبت معها استنارةً من نوع ما؛ لم يكن هذا صليبًا على الإطلاق بل كان شيئًا ضخمًا وأبيض، راح ينزلق سريعًا نحوي على جناح الريح.

ماذا تراه يكون؟ لا بد أنه طائر، لكن بما أنني أستطيع رؤيته على هذه المسافة الكبيرة، فلا بد أنه طائر ذو حجم أعظم بكثير من الطيور التي اعتدتُها. تابع تقدمه، متجهًا نحوي مباشرةً. فردتُ ذراعيَّ استجابةً لجناحيه المفرودين، كأنني أهمّ بعناقه. تكلّمتُ بصوتٍ عالٍ. *أهلًا! أهلًا! أهلًا!*، هذا ما أظنّ أنّني قصدت أن أقوله، لكنّ الريح سلبتني أنفاسي فلم أستطع أن ألفظ إلّا: «هاااا! هاااا! هاااا!».

أبحرَ الطائرُ قاطعًا الأمواج المتلاطمة، دون أن يرفّ بجناحيه ولو مرّة واحدة. بمهارة وسلاسة عظيمتين أمال نفسه جانبًا بعض الشيء كي يعبر من الباب الذي يفصل بيننا. كان باعُ جناحَيه يفوق حتى عرضَ الباب. عرفتُ ماذا يكون! قطرس!

تقدم في طريقه، متجهًا نحوي لا يحيد، وخطرت لي فكرةٌ لا أغرب منها: لعله مقدّرٌ لنا أنا والقطرس أن نندمج ونصبح معًا كيانًا آخر تمامًا: ملاكًا! هذه الفكرة أثارتني وأخافتني في آنٍ معًا، لكنني ظللتُ على وضعي، فاردًا ذراعيَّ، أُحاكي القطرس في طيرانه. (فكّرتُ كم سيتفاجأ الآخر حين أطيرُ إلى داخل القاعة الجنوبية الغربية الثانية بجناحيَّ الملائكيّين، جالبًا له رسائلَ سلامٍ ومسرّة!). راح قلبي يخفق سريعًا.

لحظةَ وصوله إليّ –لحظةَ ظننتُ أنّنا سوف نتصادم كالكواكب ونصبح واحدًا!– أفلَتُّ صرخةً متلهّفة –*آااه!*. في الحين ذاته تمامًا، أحسستُ بتوتّرٍ مكبوتٍ يغادرني، توتّرٍ لم أكن أعرف أنّه لديّ قبل تلك اللحظة. مرّ فوقي جناحان أبيضان عريضان. أحسستُ بالهواء الذي

جلبه هذان الجناحان معهما وشممتُه، اللذعة الحادة المالحة الجامحة لمدودٍ ورياحٍ بعيدة كانت تجوب مسافات شاسعة وتعبر قاعات لن أراها أبدًا.

في اللحظة الأخيرة مالَ القطرسُ فوق كتفي اليسرى. سقطتُ على الرصيف. راح يرفرف بجناحيه بطريقة محمومة مذعورة، مدَّ ساقيه الورديّتين النّحيلتين وسقط من الهواء متعثرًا وتكوّم على الرصيف. في الهواء كان كائنًا عجائبيًّا -كائنًا سماويًّا- لكنّه على حجارة الرصيف بات فانيًا ومحطًّا للإحراج والخَرَق مثله مثل بقيّة الكائنات الفانية.

أنهضنا نفسينا. الآن إذ صار على الرصيف الجاف بدا أكبر من أي وقت مضى: رأسه يكاد يبلغ ارتفاعَ عظم القص لديّ.

«أنا سعيدٌ جدًّا برؤيتك»، قلت: «أهلًا بك. إنني ساكنُ هذه القاعات. واحدٌ من الساكنَين. يوجد آخر، لكنه لا يحب الطيور كثيرًا لذا لن تراه على الأرجح».

فرد القطرس جناحيه على عرضهما ومدَّ عنقه نحو السقف. أصدر طقطقةً من نوعٍ ما، صوتًا أزيزيًّا من حلقه، عددتُه طريقتَه في تحيّتي. كان ظهرا جناحيه داكنَين، أسودين تقريبًا، مع شكل أبيض مثل النّجمة على كلٍّ منهما.

رجعتُ إلى عملي في جمع العشب البحري. راح القطرس يمشي في أنحاء القاعة. قدماه الضاربتان إلى الوردي والرمادي تُصدران

صوتًا عاليًا كالصّفع على الرصيف. من آنٍ إلى آنٍ يأتي وينظر إلى ما أفعله كأنه يثير اهتمامه.

عدتُ في اليوم التالي. كان القطرس قد صعد على السلّم وراح يتفحّص الردهةَ الثالثة والأربعين. لكن علاوة على ذلك: لك أن تتخيّل بهجتي حين وجدتُ أنّ الردهة تؤوي الآن طائرَي قطرس اثنين! لقد انضمّت زوجتُه إليه! (أو لعل القطرس الأول كان أنثى وهذا زوجها. لم أملك معلومات كافية كي أحسم هذه النقطة). للقطرس الجديدة نقشةٌ مختلفةٌ على ظهر جناحيها (أو ربما جناحيه)؛ عبارة عن نقط بيضاء، مثل مطر فضيّ متساقط. فرد الطائران أجنحتهما؛ راح واحدهما يرقص حول الآخر؛ يشيران بمنقاريهما إلى السقف ويُصدران زعيقًا صارًّا بهيجًا؛ يضربان منقاريهما الورديين الطويلين واحدهما بالآخر تعبيرًا عن سعادتهما.

بعد بضعة أيام زرتهما من جديد. هذه المرة بدوَا أهدأ وكانت ثمّة مسحة من القنوط والإحباط تعمّ الردهة. لقد أحضر القطرس الذي عددتُه ذكرًا (الذي على جناحيه نجمتان) مقدارًا من العشب البحري من القاعة السفلية. التقط قطعًا منه بمنقاره وجمعها في كومة. بعد بضع دقائق استاء من هذا الترتيب وجمع قطع العشب البحري مجددًا وجرّب وضعها في رقعة مختلفة. نفّذ هذه الحركة نحو عشر مرات.

«أظنني أرى مشكلتكما»، قلت: «لقد جئتما إلى هنا كي تبنيا عشًّا. لكنكما لا تستطيعان إيجاد المواد التي تلزمكما. لا يوجد سوى العشب البحري البارد المبتلّ وأنتما بحاجة إلى شيء أكثر جفافًا كي تُعدّا عشًّا

مريحًا دافئًا لبيضتكما. لا تقلقا. سوف أساعدكما. لديّ مؤونة من العشب البحري الجاف. إن تكلمتُ بصفتي من غير الطيور، فأظنني متأكدًا أن هذا سيكون مادة بناء مناسبة للغاية. سوف أذهب وأجلبه على الفور».

فرد القطرس ذو النجمتين جناحيه ومدَّ عنقه؛ أشار بمنقاره إلى السقف وأصدر صوت الطقطقة الغليظ. هذا، كما ظننت، كان تعبيرًا عن الحماسة.

رجعتُ إلى القاعة الشمالية الثالثة. بطّنتُ شبكةَ صيد سمك بالبلاستيك السميك. داخلها وضعتُ ما رأيتُ أنه الكمية المناسبة من مادة بناء العش لمثل هذين الطائرين هائلَي الحجم. كانت تساوي وقودَ ثلاثة أيام تقريبًا. لم تكن كمية ضئيلة وعلمتُ أنني قد أبرد أكثر لأنني أتخلى عنها. لكن ماذا يكون الشعور بالبرد بضعةَ أيام مقارنةً بقطرس جديد في العالَم؟ أضفتُ شيئَين آخرين إلى كومة العشب البحري: بعض الريش الأبيض النظيف الذي كنت قد عثرت عليه واحتفظت به لمجرد أنه راق لي، وكنزة صوف قديمة مثقّبة إلى حدٍّ بات معه بالكاد يمكن ارتداؤها، لكنها قد تنفع جدًا بطانةً من أجل بيضةٍ ثمينة.

جررتُ شبكةَ الصيد إلى الردهة الثالثة والأربعين. كوفئتُ على الفور بالاهتمام الذي أبداه القطرس الذكَر بمحتوياتها؛ قبَض على ملءِ منقاره من العشب البحري الجاف وبدأ يجربه في مواضع مختلفة.

بعد ذلك بمدة قصيرة بنى القطرسان عشًّا مرتفعًا يبلغ عرضه نحو مترٍ في قاعدته ووضعا بيضةً فيه. إنهما والدان ممتازان؛ لقد كرّسا نفسيهما لبيضتهما وهما الآن يجدّان بالقدر نفسه في العناية بفرخهما. الفرخ ينمو على مهلٍ ولم يُظهر أي علامة على أنه جاهز ليكتسي بالريش.

لقد سمّيتُ هذه السنة سنةَ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية.

الطيور تجلس بصمت في القاعة الغربية السادسة

مادةُ اليومِ الحادي والثلاثين من الشهر الخامس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

منذ انهيار سقوف القاعتين الشماليتين الشرقيتين العشرين والحادية والعشرين قبل عامين، تغير الطقس في هذه المنطقة من البيت. باتت الغيوم تتهادى نازلةً عبر السقوف المتهدمة إلى داخل القاعات الوسطى على غير العادة. هذا يجعل العالَم باردًا ورماديًّا.

هذا الصباح استيقظتُ أرتجف من البرد. كانت ثمة غيمة قد نفذت إلى القاعة الشمالية الثالثة حيث أنام. بدت التماثيل صورًا بيضاء مرهفة مرسومة على الضباب الأبيض.

نهضتُ سريعًا وأشغلت نفسي بمهامي اليومية. جمعتُ العشب البحري من الردهة التاسعة وأعددتُ لنفسي فطورًا من الحساء

المغذي الباعث على الدفء، ثم انطلقتُ إلى القاعة الجنوبية الغربية الثالثة لأتابع عملي على فهرس التماثيل.

كان البيت صامتًا على نحوٍ عجيب. ما من طيور تطير؛ ما من طيور تغرد. أين ذهبت جميعها؟ بدا أنها تجد العالم الذي ترتاده الغيومُ ثقيلَ الوطأة مثلما أجده أنا. في القاعة الغربية السادسة عثرتُ عليها أخيرًا. كانت مجتمعة هناك، تجثم على أكتاف التماثيل ورؤوسها، على القواعد وعلى الأعمدة، جالسة بصمت، تنتظر.

القاعات الغارقة

مادةُ اليومِ الثامن من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

إلى الشرق من الردهةِ الأولى، البيتُ مُتداعٍ. لقد سقطت قطعُ البناء والتماثيل من القاعات العلوية عبر الأرضيات المتهدمة إلى القاعات الوسطى والسفلية، فانسدّت الأبواب. ثمة منطقة تغطي نحو أربعين قاعة أو خمسين لا تستطيع المدود النفاذ إليها. مع الزمن انحسر ماء البحر وامتلأت هذه القاعات بالمطر، فتشكّلت بحيرات مظلمة راكدة من الماء العذب. النوافذ نصف مغمورة بالماء أو مسدودة بقطع البناء، ما يجعل القاعات معتمة تترامى فيها الظلال. ولانقطاع المدود عنها، باتت صامتة على نحو غير معهود.

هذه هي القاعات الغارقة.

على محيط المنطقة، المياهُ ضحلة هامدة تغطّيها زنابق الماء، لكنها في المركز عميقة وغدّارة تملؤها قطع البناء المتهدم والتماثيل الغارقة. يتعذر الوصول إلى أغلبية القاعات الغارقة، لكن يمكن الدخول إلى بعضها من الطابق العلوي.

تحتوي هذه القاعات على تماثيل لرجال لهم شعر ولحًى مجعّدة يَجهدون ويكافحون ليخرجوا من حبس الجدران، يمدّون جذوعهم فوق المياه المظلمة. ثمة واحد على وجه التحديد ينحني إلى درجةٍ يكاد معها ظهرُه العريضُ مفتولُ العضلات يشكّل منصّةً أفقيّةً فوق مستوى الماء بنحو نصف متر، ما يجعله موضعًا ممتازًا لصيد السمك.

الصيد الليلي هو الأفضل، حين ينجذب السمك للعب في رقع ضوء القمر الساطع فتسهل رؤيته.

الغيوم فوق القاعة الشرقية التاسعة عشرة

مادةُ اليومِ العاشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

كنت في ما مضى لا أجرؤ أن أعيش على مقربة من المدود. حين أسمع دويَّها، أركض وأختبئ. بسبب جهلي، كنت أخشى أن أَعلق في مياهها وأغرق.

لزمتُ القاعات الجافة قدر ما استطعت، هناك حيث لا تكتسي التماثيل بخِرَقٍ من العشب البحري ولا ترتدي دروعًا مُلبّسةً بالمحار، حيث لا تملأ الهواءَ رائحةُ المدود: بصياغة أخرى، القاعات التي لم تَفِض في زمنٍ قريب. لم يكن الماء مشكلة؛ معظم القاعات تحتوي على شلالات من الماء العذب (أحيانًا ترى تمثالًا كاد ينقصم من الماء الذي يطرطشه منذ قرون). أما الطعام فمسألة أخرى؛ من أجل هذا كان عليّ أن أتجرّأ على المدود. كنت أذهب إلى الردهات وأنزل على السلالم إلى القاعات السفلية، إلى حافة المحيط. غير أن قوة الموج كانت تخيفني.

حتى في ذلك الوقت كنت أعلم أن المدود ليست عشوائية. رأيت أنني إن استطعت أن أسجلها وأوثّقها فلربما أتمكن من التنبؤ بظهورها. تلك كانت بداية جدولي. لكنني، رغم أني أدركتُ بعض الأمور بخصوص حركات المدود، لم أمتلك فهمًا لطبيعتها. ظننتُ أن كل مدٍّ يطابق البقية في معظم النواحي. يصيبني الذهول عندما أذهب كي ألاقي مدًّا وأنا أتوقع كميةً وفيرةً من السمك والنباتات البحرية، فلا يكون مني إلا أن أجده نظيفًا ورائقًا وخاويًا.

كثيرًا ما كنت أجوع.

أرغمَني الخوف والجوع على استكشاف البيت واكتشفتُ أن السمك وافر في القاعات الغارقة. كانت مياهها ساكنة ولا تخيفني بالقدر نفسه. هنا تمثلت الصعوبة في أن القاعات الغارقة محاطة بالبناء المتداعي من كل جوانبها. للوصول إليها كان من اللازم أن أصعد إلى

القاعات العلوية ثم أنزل على الحطام عبر الشقوق والصدوع الهائلة في الأرضية.

ذات مرة، وقد كنت لم آكل منذ يومين، صممتُ على الذهاب إلى القاعات الغارقة بحثًا عن بعض الطعام. صعدت إلى القاعات العلوية. هذا بحد ذاته لم يكن سهلًا على شخصٍ في مثل حالتي الواهنة. رغم أن للسلالم أحجامًا مختلفة، فمعظمها بُنيَ على المقاس المهيب نفسه الذي لبقية البيت، ولكل درجة ضعف الارتفاع المريح لي تقريبًا. (كأن الله بنى البيت في الأصل واضعًا في نيته أن يُسكن فيه عمالقة قبل أن يغير رأيه على نحو يتعذر تفسيره).

عبرتُ إلى داخل إحدى القاعات العلوية، القاعة الواقعة فوق القاعة الشرقية التاسعة عشرة مباشرةً. من هناك كنت أنوي أن أنزل إلى القاعات الغارقة، لكنني جزعتُ إذ وجدت القاعة مليئة بالغيوم: فراغ بارد رماديّ رطب.

كنت أحمل يومياّتي معي. بعد أن راجعتُها، اكتشفتُ أنني جئتُ إلى هذه المنطقة مرةً من ذي قبل وسجّلتُ في الواقع ملاحظات مفصلة حول القاعة التي بعد هذه؛ القاعة الواقعة فوق القاعة الشرقية العشرين. لقد وصفتُ خصائص التماثيل ومواضعها بل وحتى خططتُ رسمًا لواحدٍ منها. أما حول هذه القاعة -القاعة التي أقف الآن على عتبتها، القاعة المليئة بالغيوم- حول هذه القاعة لم أسجّل شيئًا على الإطلاق.

إنني اليوم أعدّ الطواف في قاعة لا أستطيع رؤيتها كما ينبغي ولا أملك أي معلومات مدوّنة بخصوصها ضربًا من الجنون، بيد أنني اليوم لا أسمح أن يبلغ بي الجوع الحدَّ الذي كان يبلغه بي آنذاك.

عادةً ما تتشارك القاعات المتجاورة في بعض الخواص المميزة. القاعة التي خلفي مباشرةً كانت تبلغ نحو 200 متر طولًا و120 مترًا عرضًا لذا كان ثمة احتمال كبير أن تكون للقاعة التي أمامي الأبعاد نفسها. لم تبدُ مسافةً مستحيلة؛ كنت قلقًا أكثر بشأن التماثيل. مما استطعتُ أن أراه، كانت هذه التماثيل تصوّر أشكالًا بشرية أو شبه بشرية، جميعها تبلغ ضعفَي قامتي أو ثلاثة أضعافها وجميعها تخوض أفعالًا عنيفة: رجال يتقاتلون، نساء ورجال تحملهم قناطيرُ[1] أو ساطير[2]، أخطبوطات تمزّق بشرًا إلى أشلاء. في معظم مناطق البيت ترتسم على وجوه التماثيل تعابيرُ بهجة أو طمأنينة أو هدوء ساهم؛ لكنّ الوجوه هنا كانت ملتوية القسمات من الصراخ أو الغضب العارم أو الكرب.

عقدتُ عزمي على أن أمضي بحذر. الارتطام بطرفٍ رخاميٍّ ممدود أمرٌ مؤلم.

---

(1) القناطير: ج. قنطير أو قنطور أو قنطروس، كائن من الميثولوجيا الإغريقية نصفه العلوي لبشرٍ ونصفه السفلي لحصان. (المترجم)

(2) الساطير: كائن من الميثولوجيا الإغريقية له ملامح تشبه الماعز. (المترجم)

دخلتُ في الغيمة وشققتُ طريقي على مهل بمحاذاة الجانب الشمالي للقاعة. راحت التماثيل تظهر، واحدًا واحدًا، من الغيمة الشاحبة. كانت تغطي الجدرانَ بغزارة وتلتوي في أشكال معوجّة حتى بدا الأمر أشبه بالسير تحت فروعٍ تقطر ماءً في غابة عظيمة من الأذرع والأجساد.

أحد التماثيل كان قد انقلب عن الجدار وتهشّم على الأرض. كان من الجدير أن أعدّ هذا تحذيرًا لي.

وصلتُ إلى موضعٍ فيه تمثال يبرز مسافةً طويلةً من الجدار. كان يصوّر رجلًا، جسده الضخم يتهاوى إلى الخلف مفرودًا فوق الرصيف، ذراعاه ملقاتان فوق رأسه، وثمة قنطور يدوسه. راحتا يديه العظيمتين تتجهان إلى الأعلى وأصابعه مضمومة في كرب. تراجعتُ خطوةً عن الجدار كي أدور حول التمثال وإذا بقدمي تستقر على...

... لا شيء.

ما من أرضية! ما من رصيف حجري تحتي! كنت أسقط! ألقيتُ نفسي في رعبٍ نحو الجدار. على الفور، التُقِطتُ! رقدتُ معلّقًا فوق الهواء الخاوي، يمنعني الذعر من الحركة، الخوفُ والصدمةُ أماتا عقلي. بفضل معجزةٍ ما، كنت قد سقطت بين يدَي الرجل المدهوس. كانت اليدان مبتلّتين تقطران وزلقتَين على نحوٍ مريع؛ من شأن أي حركة من طرفي أن تُرخي إحكام مسكته لي وتودي بي إلى قلب الهوّة. بينما أنا

أنشج من الخوف متشبّثًا بالرجل المدهوس بكل ذرة من قواي، رحتُ أزحزح نفسي شيئًا فشيئًا على ذراعيه وصولًا إلى رأسه؛ من رأسه إلى صدره وهكذا إلى حضنه حيث حشرتُ نفسي. كان جسد القنطور الذي يهاجمه يشكل ما يشبه السقف فوق رأسي بسنتيمترين أو ثلاثة. الغيمة كثيفة بحيث لم أستطع أن أرى أين تبدأ الأرضية من جديد.

بقيتُ هناك طوال النهار وطوال الليل، جائعًا، أكاد أموت من البرد، لكنني في غاية العرفان للرجل المدهوس على إنقاذه لي. في الصباح جاءت الريح وحملت الغيمة نحو الغرب. ألقيت نظرةً إلى الصدع الهائل في الأرضية ورأيت الهوّة المثيرة للدوار –نحو 30 مترًا أو أكثر– التي تنتهي بالمياه الراكدة في القاعة الغارقة بالأسفل.

محادثة

مادةُ اليومِ الحادي عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

إلى جانب لقاءاتي المنتظمة بالآخر والحضور الهادئ المواسي للموتى، هناك الطيور. فهم الطيور ليس صعبًا. سلوكها يخبرني بما تفكر فيه. لا يتجاوز الأمر عمومًا أشياء من قبيل: *هل هذا طعام؟ وهذا؟ ماذا عن هذا؟ هذا قد يكون طعامًا. أنا شبه متأكد أن هذا طعام.* أو أحيانًا: *إنها تمطر. هذا لا يروقني.*

رغم أن هذه التعليقات تتيح مجالًا لحديثٍ ودّيٍّ قصير بين جيران، فهي لا تشي بذكاء واضح أو عميق. مع ذلك فقد خطر لي أن الطيور ربما تمتلك من الحكمة أكثر مما يظهر لدى النظرة الأولى، حكمة لا تكشف نفسها إلا على نحوٍ موارب ومتقطع.

ذات مرة –في مساء خريفي– وصلتُ إلى باب القاعة الجنوبية الشرقية الثانية عشرة وفي بالي أن أعبر من الردهة السابعة عشرة. وجدتُ أنني لا أستطيع الدخول إليها؛ كانت الردهة مليئة بالطيور وكانت جميعها تطير. تدور وتلفّ في رقصة تشبه الدوامة. تملأ الردهة مثل عمود دخان يزداد دكنة وكثافة في بعض المواضع ثم يقلّ ويخفّ في اللحظة التالية. لقد شهدتُ هذه الرقصة عدة مرات، دائمًا ما تكون في المساء وفي الأشهر الأخيرة من السنة.

في مرة أخرى دخلتُ إلى الردهة التاسعة فوجدتُها مليئة بالطيور الصغيرة. كانت من أنواع مختلفة، لكن معظمها عصافير. لم أتقدم سوى بضع خطوات داخل الردهة حتى ارتفعَت مجموعةٌ كبيرة منها في الهواء. راحت تطير معًا في هبّةٍ هائلة واحدة إلى الجدار الشرقي، ثم في هبّةٍ أخرى إلى الجدار الجنوبي، ثم انعطفت وأخذت تحلق حولي في شكل لولبي غير محكم.

«صباح الخير»، قلت: «آمل أنكِ بحال جيدة؟».

تبعثرت معظم الطيور إلى مجاثم مختلفة، لكنّ حفنةً منها –ربما نحو عشرة– طارت إلى تمثال البستانيّ في الزاوية الشمالية الغربية.

بقيَت هناك نحو ثلاثين ثانية ثم ارتفعت، وهي ما تزال معًا، إلى تمثالٍ أعلى على الجدار الغربي: المرأة التي تحمل قفيرَ نحل. بقيَت الطيور على تمثال المرأة التي تحمل قفيرَ نحل نحو دقيقة ثم طارت مبتعدة.

تساءلتُ لماذا اختارت الطيور الصغيرة، من بين نحو ألف تمثال في الردهة، هذين الاثنين كي تجثم عليهما. خطر لي -ولم تكن هذه أكثر من فكرة تافهة- أنه يمكن القول عن هذين التمثالين كليهما إنهما يمثلان الكدح. البستانيّ عجوز ومحنيّ الظهر، ومع ذلك هو يحفر بإخلاص في حديقته. المرأة تسعى في مهنة تربية النحل والقفيرُ الذي تحمله مليء بالنحل الذي يؤدي مهامه بصبر هو الآخر. هل كانت الطيور تقول لي إنه يحسن بي أن أكدح أنا أيضًا؟ بدا هذا ضعيف الاحتمال. ففي النهاية أنا كادح أصلًا! كنت تلك اللحظة تمامًا في طريقي إلى الردهة الثامنة كي أصطاد السمك. كنت أحمل شباك صيد على كتفي وفخَّ كركند مصنوعًا من دلو قديم.

بدا تحذير الطيور -إن كان تحذيرًا- عديمَ المعنى في ظاهره، بيد أنني قررت رغم ذلك أن أتبع خطَّ الاستدلال غير المعهود هذا وأرى إلى أين يقودني. ذلك اليومَ اصطدتُ سبع سمكات وأربعة كركندات. لم أُعِد رميَ أي منها إلى الماء.

تلك الليلةَ جاءت ريح من الغرب، جالبةً معها عاصفةً غير متوقعة. اضطربت المدود وطُردت الأسماك من قاعاتها المعتادة إلى عرض البحر. طيلة اليومين التاليين لم يكن ثمة سمك على الإطلاق ولو أنني لم أستجب لتحذير الطيور لما كان لدي ما آكله تقريبًا.

قادتني هذه التجربة إلى وضعِ فرضية: لعل حكمة الطيور لا تكمن في الفرد، بل في السرب، في الجمع. حاولت أن أفكّر في تجربة تختبر صحة هذه النظرية. المشكلة، كما أراها، هي أنه يستحيل أن أعرف سلفًا متى ستقع مثل هذه الأحداث؛ لذا فخطة العمل الوحيدة القابلة للتطبيق هي الاستمرار طيلة شهور -أو على الأغلب سنوات- في المراقبة الحريصة والتوثيق الجادّ. لسوء الحظ، هذا غير ممكن في الوقت الحالي بما أن معظم وقتي مكرّس لعملي مع الآخر (أتكلم بالطبع عن بحثنا عن المعرفة العظيمة والسرية).

مع ذلك، ها أنا أدوّن شيئًا حدث هذا الصباح واضعًا هذه الفرضية في الحسبان.

لقد دخلتُ إلى القاعة الشمالية الشرقية الثانية، ومثلما حدث في الردهة التاسعة، وجدتُها مليئة بطيور صغيرة من أصناف مختلفة. صبّحتُ عليها بهتاف مرِح.

على الفور طار نحو عشرين طائرًا منها في اندفاع هائل إلى الجدار الشمالي وحطَّت على التماثيل العالية. ثم طارت في هبّة إلى الجدار الغربي.

تذكّرتُ أن هذا السلوك في المرة السابقة كان مقدّمةً لرسالة.

«أنا أعيركِ انتباهي!»، ناديت الطيور: «ما الذي تودّين أن تقوليه لي؟».

راقبتُ ما فعلته الطيور بعد ذلك بحرصٍ شديد.

انقسمَت إلى مجموعتين. طارت مجموعةٌ إلى تمثال الملاك الذي ينفخ في بوق، وطارت الأخرى إلى تمثال السفينة التي تُبحر فوق أمواج صغيرة.

«ملاك يحمل بوقًا وسفينة»، قلت: «حسنًا جدًا».

طارت المجموعة الأولى إلى تمثال رجل يقرأ من كتاب كبير، وطارت المجموعة الثانية إلى تمثال امرأة تستعرض طبقًا كبيرًا أو ترسًا؛ على الترس يوجد تصويرٌ لغيوم.

«كتاب وغيوم»، قلت: «نعم».

أخيرًا طارت المجموعة الأولى إلى تمثال الطفل الصغير الذي يحني رأسه ليحدّق في زهرة يمسكها بيده، رأس الطفل مكسوّ بشعر مجعّد غزير يشبه هو نفسه بتلات زهرة؛ وطارت المجموعة الثانية من الطيور إلى تمثالِ شوالِ حبوب يلتهمه حشدٌ من الفئران.

«طفل وفئران»، قلت: «جيد جدًا. أرى ذلك».

تشتّت الطيور إلى مواضع مختلفة في القاعة.

«شكرًا لكِ!»، ناديتُ الطيور: «شكرًا لكِ!».

إن افترضنا أن فرضيتي صحيحة، فلا بد أن هذا أكثر الإخطارات التي قدّمتها الطيور إليّ تفصيلًا. ما المعنى؟

ملاك يحمل بوقًا وسفينة. الملاك الذي يحمل البوق يوحي برسالة. رسالة مبهجة؟ ربما. لكن من الممكن أيضًا أن يجيء الملاك برسالة متجهمة أو كئيبة. على ذلك فطبيعة الرسالة، سواء أكانت

جيدة أم سيئة، تبقى غير مؤكدة. السفينة توحي بالسفر مسافات بعيدة. *رسالة قادمة من مكان بعيد.*

كتاب وغيوم. الكتاب يحتوي على كتابة. الغيوم تُخفي المكتوب. *كتابة مبهمة نوعًا ما.*

طفل وفئران. الطفل يمثل صفة البراءة. الفئران تلتهم الحبوب. الحبوب تنقص شيئًا فشيئًا. *براءة تتآكل أو تتفتّت.*

هذا إذًا، إلى حدٍّ ما يتضح لي، هو ما أخبرتني به الطيور. *رسالة من مكان بعيد. كتابة مبهمة. براءة متفتّتة.*

مثير للاهتمام.

سوف أترك بعض الوقت ينقضي –لنَقُلْ بضعة أشهر– ثم أراجع هذا الإخطار وأرى إن كان بوسع الأحداث في هذه الفترة أن تسلّط عليه أي ضوء (والعكس بالعكس).

آدي دوماروس

مادةُ اليومِ الخامس عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح في القاعة الجنوبية الغربية الثانية قال الآخر: «سوف أعمل على الطقس الشعائريّ اليوم، لذا لعلك تودّ الانصراف».

الطقس الشعائريّ نوعٌ من السحر يعتزم الآخر بواسطته أن يحرّرَ المعرفة العظيمة والسرية ممّا يحبسُها في العالَم أيًّا كان وأن ينقلَها إلينا. حتى الآن، قمنا بتأديته أربع مرات، كل مرة بأسلوب مختلف بعض الشيء.

«لقد أجريتُ بعض التغييرات»، تابع: «وأريد أن أسمع كيف ستبدو، *في أرض الميدان* إن جاز التعبير».

«سوف أساعدك»، قلت متلهّفًا.

«لا بأس»، قال: «شرط ألّا تُكثر الكلام. أحتاج إلى التركيز. صفاء الذهن».

«بكل تأكيد»، قلت.

اليوم كان الآخر يرتدي بدلة ذات لون رمادي متوسط الدرجة مع قميص أبيض وحذاء أسود. وضع جهازَه الساطع على القاعدة الخالية. «هذا استحضار. وفي الاستحضارات، ينبغي أن يستقبل العرّافُ الشرقَ»، قال: «أين اتجاه الشرق؟».

أشرت.

«حسنًا»، قال.

- أين أقف؟

- أينما أردت. لا يهم.

اتخذتُ موضعًا على بعد مترين جنوبًا من مكان وقوفه وقرّرت أن أستقبل الشمال – أي باتجاهه هو. ليس لدي أي اطلاع أو معرفة حقيقية في ما يتعلق بالطقوس الشعائرية، لكن بدا لي أن هذا موضع مناسب للمعاون، هامشيّ إنما على اتصالٍ بمفسّرِ الغوامض.

«ماذا أفعل؟»، سألته.

«لا شيء. فقط الزم الهدوء كما قلت لك».

«سوف أركّز على أن أعيرك قوّة روحي»، قلت.

«حسنًا. جيد. افعل هذا». عاد قليلًا إلى جهازه الساطع كي يتفقّد شيئًا ما. «طيب»، قال: «القسم الأول من الطقس الشعائري هو ما أدخلت عليه معظم التغييرات. حتى الآن كنت ببساطة أستحثّ المعرفة وأطلب منها أن تأتي إليّ وتمنح نفسها لي. لا يبدو أن هذا أوصلني إلى أي مكان، لذا عوضًا عنه سوف أستحضر روحَ آدي دوماروس».

«من أو ماذا يكون آدي دوماروس؟»، سألته.

«ملِك. مات قبل زمان طويل. شخص كان يمتلك المعرفة. أو بعضًا منها على أي حال. لقد حالفني النجاح في استدعائه طلبًا للعون في طقوس شعائرية أخرى، بالذات من أجل...»، توقف فجأةً وبدا عليه الارتباك لحظةً قصيرة: «لقد حالفني النجاح في استدعائه في ما مضى»، أنهى كلامه.

اتخذ الآخر وقفةً نبيلةً تليق بمفسّرِ غوامض. قوّم ظهرَه، أرجع كتفيه إلى الخلف ورفع رأسه. ذكّرني بتمثال الهيروفانت[1] في القاعة الجنوبية التاسعة عشرة.

فجأةً اتّضحت لي أهميةُ ما قاله.

«أوه!»، هتفت: «لم تقل من قبل إنك تعرف أحد أسماء الموتى! أتعرف أي واحد هو؟ أرجوك أخبرني إن كنت تعرف! أودّ جدًّا أن أناديه باسمه حين آخذ إليه قرابين من الطعام والشراب!».

توقّف الآخر عما يفعله وعبس. «ماذا؟»، قال.

«الموتى»، أردفتُ متلهّفًا: «إن كنت بالفعل تعرف أحد أسمائهم، أخبرني أرجوك إلى أي واحد منهم يرجع».

- المعذرة؟ لقد أضعتَني. أيّ واحد من ماذا ولمن؟

- لقد قلتَ إنه في سالف الزمان كان واحد أو أكثر من الموتى يمتلك المعرفة. ثم فقدها. لذا أردت أن أعرف أي واحد منهم هو. رجل علبة البسكويت؟ الشخص المستتر؟ أم هو واحد من أهل الفجوة؟

(1) الهيروفانت: لقب رئيس الكهنة في الأسرار الإليوسينية لدى الإغريق، ويُستخدَم رمزًا شهيرًا في أوراق التاروت. (المترجم)

حدّق الآخر إليّ مشدوهًا. «علبة البسكويت... عمَّ تتحدث؟ أوه، مهلًا. هل هذا شيء له علاقة بتلك العظام التي عثرتَ عليها؟ لا. لا لا لا لا لا. تلك ليست... هذا ليس... أوه، حبًّا بالله! ألم أقل للتو إنّني أحتاج أن أركز؟ ألم أقل ذلك للتو؟ أيمكن ألا نخوض في هذا الآن؟ أنا أحاول أن أرتّب أمر هذا الطقس الشعائري».

على الفور شعرتُ بالخزي. كنت أعيق الآخر في عمله المهم. «أجل، بالطبع»، قلت.

«ليس لدي وقت كي أجيب عن أسئلة لا لزوم لها»، قال بانفعال.

- آسف.

- لو أمكنك فقط أن تلزم الهدوء، سيكون رائعًا.

«سوف أفعل»، قلت: «أعدك».

«لا بأس. جيد. طيب. أين كنت؟»، قال الآخر. أخذ نفسًا عميقًا وانتصب في وقفته بشدة من جديد مُشرئبًّا برأسه. رفع ذراعيه ونادى آدي دوماروس بنبرة رنّانة عدة مرات وبعدة طرائق مختلفة أن: *تعال! تعال!*

في الصمت الذي أعقب ذلك أنزل ذراعيه بالتدريج إلى جنبيه، واسترخى. «حسنًا»، قال: «لعلني أجلب مبخرةً حين أنفّذ الاستحضار الحقيقي. أُشعلُ بعض البخور. سنرى. ثم بعد الاستدعاء يجيء دور

التعداد. أعدّد القدرات التي أسعى إليها: التغلب على الموت، النفاذ إلى الأذهان الأدنى، التخفي... إلخ... إلخ... من المهم أن أتصور كلًّا من هذه القدرات، لذا، فيما أعددها، أتخيل نفسي أحيا إلى الأبد، أقرأ أفكار شخص آخر، أصبح خفيًّا، وهكذا دواليك».

رفعتُ يدي بتهذيب. (لم أشأ أن أُتَّهم بطرح أسئلة لا لزوم لها مجددًا).

«نعم؟»، قال بحدة.

- هل أفعل ذلك أنا أيضًا؟

- أجل. إن أردت.

بالصوت الرنان نفسه راح الآخر يتلو قائمة القدرات التي تمنحها المعرفة، وعندما ترنّم قائلًا: *أذكُر قدرةَ الطيران!*، تصورت نفسي أتحول إلى عقابٍ نُساريّ، أطير مع بقية العقبان النسارية فوق المدود المندفعة. (من بين جميع القدرات التي يتحدث الآخر عنها، هذه هي المفضلة لدي. كي أكون صادقًا تمامًا، أنا لا أبالي عمومًا بالبقية. أي نفع يكون لي من التخفي؟ في معظم الأيام لا يوجد أحد هنا كي يراني باستثناء الطيور. وكذلك لا أملك أي رغبة في العيش إلى الأبد. البيت يعيّن مدةً محددة للطيور وأخرى للبشر. وأنا قانع بهذا).

وصل الآخر إلى نهاية قائمته. بدا واضحًا لي أنه يفكر في الأجزاء التي أدّاها لتوه من الطقس الشعائري وأنه ليس راضيًا عنها. كان العبوس يعلو وجهَه، وهو يحدق إلى البعيد. «أشعر أنه ينبغي بي توجيه

كلامي هذا كله إلى نوعٍ من... من الطاقة، شيء حيّ وحيوي. القوة هي ما أسعى إليه لذا ينبغي أن أتلفظ بهذه الكلمات مخاطبًا شيئًا ذا قوة بالأساس. هل يبدو هذا منطقيًا؟».

«أجل»، قلت.

«لكن لا يوجد أي شيء ذي قوة. لا يوجد حتى أي شيء حيّ. ما هي سوى غرفٍ موحشة متماثلة تتالى بلا نهاية، مليئة بالتماثيل البالية التي يكسوها خراء الطيور». خيّم عليه صمتٌ غيرُ سعيد.

أنا أعلم منذ سنين أن الآخر لا يوقّر البيت مثلما أفعل أنا، لكنني ما زلت أُصدَم عندما يتكلم هكذا. كيف لرجل بمثل ذكائه أن يقول إنّه ما من شيء حيّ في البيت؟ القاعات السفلية مليئة بالمخلوقات والنباتات البحرية، الكثير منها شديد الجمال وشديد الغرابة. المدود نفسها مليئة بالحركة والقوة إلى حدٍّ يجعلها، رغم كونها ليست حية بالضبط، لا تَعدم الحياة. في القاعات الوسطى طيور وبشر. زَرق الطيور (الذي يتذمر منه) هو علامة على الحياة! وكذلك ليس صحيحًا ما يقوله بشأن أن القاعات متماثلة. إنها تتباين للغاية في طراز أعمدتها وعضائدها ومشكاواتها وحناياها ومسنّماتها، إلخ... وكذلك في عدد أبوابها ونوافذها. لكل قاعة تماثيلها وجميع التماثيل فريدة، أو إن كانت هنالك تكرارات تحدث فلا بد أن مسافات شاسعة تفصل بينها لأنني لم أرَ أيًّا منها بعد.

على كل حال، لا مغزى من قول أيّ من هذا. كنت أعلم أن ذلك لن يزيده إلا سخطًا.

«ما قولك في النجوم؟»، قلت: «إن أدّينا الطقس الشعائري ليلًا، سيكون بوسعك أن توجّه الاستدعاء إلى نجم. النجوم مصدر للقوة والطاقة».

ساد الصمت لحظة، ثم: «هذا صحيح»، قال. بدا متفاجئًا. «نجم. هذه في الواقع ليست فكرة سيئة». فكّر قليلًا بعد. «النجم الثابت سيكون أفضل من النجم السيّار. وسيتعيّن أن يكون ساطعًا – أكثر سطوعًا من النجوم المحيطة به بمقدار ملحوظ. الخيار الأفضل أن نجد مكانًا في المتاهة، نقطةً أو موضعًا ما يكون فريدًا – وأن نؤدّي الطقس الشعائري هناك، مستقبلين النجم الأشد سطوعًا!». مرّت لحظة ملأته الحماسة فيها. ثم تنهد وبدا أن كل الطاقة تنسحب منه مجددًا. «لكنه ليس أمرًا كبير الاحتمال، صحيح؟». ثم قال من جديد إن القاعات كلها متماثلة بالضبط، باستثناء أنه سمّاها "غرفًا" واستخدم تعبيرًا يقصد منه أن يحط من شأنها.

شعرتُ بموجة من الغضب وللحظةٍ فكّرت ألّا أخبره بما أعرفه. لكنني بعدها فكّرت أن من القسوة معاقبته على شيء ليس بيده. ليس ذنبه أنه لا يرى الأشياء مثلما أراها أنا.

«في الحقيقة»، قلت: «هناك قاعة مختلفة عن غيرها».

«أوه؟»، قال: «لم يسبق لك أن قلت شيئًا عنها. فيمَ تختلف؟».

«لها مدخل واحد فقط وما من نوافذ. لم أرَها إلا مرة واحدة. جوُّها غريب يصعب وصفه بدقة. إنها مهيبة، وغامضة، وفي الوقت نفسه مليئة بالحضور».

«تقصد مثل معبد؟»، قال.

«أجل. مثل معبد».

«لماذا لم تخبرني بهذا من قبل؟»، سألني، وقد أخذ غضبه وسخطه يشتعلان من جديد.

«حسنًا، إنها تبعد بعض المسافة من هنا. ظننتُ أنه من المستبعد لك أن...».

لكنه لم يكن مهتمًا بتفسيري. «أحتاج أن أرى هذا المكان. هل تستطيع أن تأخذني؟ كم يبعد؟».

«إنها القاعة الغربية المئة والثانية والتسعون وتبعد 20 كيلومترًا عن الردهة الأولى»، قلت: «يستغرق الوصول إليها 3.76 ساعة، لا تتضمن الاستراحات».

«أوه»، قال.

كنت أعلم أنه ما من شيء أقوله قد يكون أكثر تثبيطًا له (مع أن هذه لم تكن نيّتي). هو لا يملك رغبة في استكشاف العالَم. لا أعتقد أنه سبق له أن قطع يومًا مسافة تزيد على أربع قاعات أو خمس من الردهة الأولى.

قال: «ما أحتاج أن أعرفه هو أيّ نجوم تلك التي يمكن رؤيتها من باب هذه الغرفة. هل لديك أي فكرة؟».

فكّرت. هل كانت القاعة الغربية المئة والثانية والتسعون تتوضّع على المحور الشرقي/ الغربي؟ أم على المحور الجنوبي الشرقي/ الشمالي الغربي؟ هززتُ رأسي. «لا أعلم. لا أستطيع أن أتذكر».

«حسنًا، ألا يمكنك أن ترجع إلى هناك وترى؟»، سألني.

- أذهب إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين؟

- أجل.

تردّدت.

«ما المشكلة؟»، سألني.

«الطريق إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين يمرّ في الردهة الثامنة والسبعين، وهي منطقة تتعرض لفيضانات متكررة. الآن تمامًا ستكون جافة، لكنّ المدود تجلب حُطامًا من القاعات السفلية وتُبعثره في أنحاء القاعات المحيطة. بعض الحطام له حواف مسنّنة، يمكنها أن تجرح الأقدام. ليس من الجيد أن تنزف قدماك. هناك خطر الإصابة بإنتان. لا بد للمرء أن ينتقي خطواته بحذر وهو يسير عبر الرخام المتهدم. الأمر ممكن، لكنه مُضنٍ. سوف يستغرق وقتًا».

«طيب»، قال الآخر: «إذًا هناك حطام. لكنني ما زلت لا أفهم تمامًا ما هي المشكلة. لا بد أنك مررت عبر هذا المكان الذي فيه الحطام من قبل ولم تُصَب بأيّ أذًى حينها. ما الذي تغيّر؟».

اكتسى وجهي بالاحمرار. ثبّتُّ عينيَّ على الرصيف. كان الآخر في غاية الأناقة والرونق ببدلته وحذائه اللامع. أما أنا، في المقابل، فلم أكن أنيقًا. ثيابي رثّة ومهلهلة، أبلاها ماء البحر الذي أصطاد منه. أكره أن ألفت انتباهه إلى هذا التباين بيننا، غير أنه سألني لذا عليّ أن أجيب. قلت: «ما تغيّر هو أنني كنت أملك حذاء. أما الآن فلا».

حدّق الآخر مدهوشًا إلى قدميّ البنّيتين العاريتين. «متى حدث هذا؟».

«قبل سنة تقريبًا. تهرّأ حذائي تمامًا».

انفجر ضاحكًا. «لماذا لم تقل شيئًا؟».

«لم أشأ أن أزعجك. ظننتُ أن بوسعي أن أصنع حذاءً من جلد السمك. لكنني لم أجد وقتًا لفعل ذلك. اللوم يقع عليّ وحدي».

«بصراحة يا بيرانيسي»، قال الآخر: «يا لك من أحمق! إن كان هذا كل ما يمنعك من الذهاب إلى... إلى... أيًّا كان الاسم الذي تطلقه على هذه الغرفة...».

«القاعة الغربية المئة والثانية والتسعون»، قاطعتُه.

«أجل. أيًّا يكن. إن كان هذا هو كل الأمر، سأحضر لك الحذاء غدًا».

«أوه! هذا سيكون...»، هممتُ أقول، لكنّ الآخر رفع يده.

«لا حاجة إلى شكري. اجلب لي المعلومات التي أحتاج إليها وحسب. هذا كل ما أطلبه».

«أوه، سوف أفعل!»، وعدتُه: «حالما يصبح لدي حذاء لن تعود ثمة مشكلة. سوف أصل إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين خلال ثلاث ساعات ونصف. أربعٍ على أقصى تقدير».

حذاء

مادةُ اليومِ السادس عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

في الطريق إلى القاعة الجنوبية الغربية الثالثة هذا الصباح مررتُ عبر القاعة الجنوبية الغربية الثانية. فوق القاعدة الخالية التي يتكئ الآخر عليها كان يوجد صندوق كرتون صغير. لونه رمادي غامق. على الغطاء صورة أخطبوط بدرجة أفتح من الرمادي وكتابة برتقالية اللون. الكتابة تقول: **أكواريوم**.

فتحتُه. لدى النظرة الأولى بدا لا يحوي إلا ورقة بيضاء رقيقة، لكن عندما رفعتُ الورقة وجدتُ حذاءً. كان مصنوعًا من الجنفاص وله لون أزرق أخضر ذكّرني بمدود القاعات الجنوبية. النعل المطاطي سميك وأبيض والرباط أبيض. أخذتُ الحذاء من الصندوق وانتعلته. كان على مقاسي تمامًا. جرّبتُ أن أسير به. أحسست أن قدميّ مرتاحتان كأنهما على وسائد وثيرة وكان الشعور جميلًا.

ظللتُ طيلة النهار أركض وأرقص لمجرد متعة الإحساس بقدميّ في حذائهما الجديد.

«انظري!»، قلت للغربان في القاعة الشمالية الأولى عندما حطّت من التماثيل العالية كي ترى ما أفعله: «لديّ حذاء جديد!».

لكن لم يكن من الغربان إلا أن نعقت وطارت عائدة إلى مجاثمها.

قائمة بالأشياء التي أعطاني الآخر إياها

مادةُ اليومِ السابع عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

لقد وضعتُ قائمةً بجميع الأشياء التي أعطاني الآخر إياها، حتى أتذكر أن أُظهر العرفان وأشكر البيت على إرساله إليَّ صديقًا ممتازًا كهذا!

في السنة التي سمّيتُ فيها كوكبات النجوم، أعطاني الآخر:

- كيس نوم
- وسادة
- بطانيتان
- شبكتا صيد من البوليمر الاصطناعي

- 4 مفارش كبيرة من البلاستيك السميك

- مصباح يدوي. لم أستخدمه قط ولم أعد أتذكر أين وضعته.

- 6 علب ثقاب

- علبتان من مكمّلات متعدد الفيتامينات

في السنة التي أحصيتُ فيها الموتى وسمّيتُهم، أعطاني:

- شطيرة جبنٍ وجمبون

في سنة انهيارِ السقوفِ في القاعتين الشماليتين الشرقيتين العشرين والحادية والعشرين، أعطاني:

- 6 أوعية بلاستيكية. أستخدمها لجمع الماء العذب حين يتدفق من الصدوع في السقوف وينزل على وجوه التماثيل. أحد الأوعية أزرق، اثنان منهما أحمران، وثلاثة بلون الغيم. الأوعية التي بلون الغيم مزعجة. يكاد لونها يُطابق بالضبط لون التماثيل الرمادي المائل إلى الأبيض. كلما وضعتها في مكان ما لأجمع الماء تتماهى على الفور مع محيطها ولا أعود أراها. اختفى أحدها السنةَ الماضية ولم أجده بعد.

- 4 أزواج من الجوارب. طيلة شتاءين ظلت قدماي تتنعمان بالدفء والراحة، لكن الجوارب الآن تثقّبت جميعها. لسوء الحظ، لم يخطر للآخر أن يعطيني جوارب جديدة.

- قصبة وخيط لصيد السمك

- برتقالة

- قطعة من كيك عيد الميلاد

- 8 علب من مكمّلات متعدد الفيتامينات

- 4 علب ثقاب

في السنة التي بلغتُ فيها القاعةَ الغربية التسعمئة والستين، أعطاني:

- بطارية جديدة لساعتي

- 10 دفاتر جديدة

- عدة أغراض قرطاسية منوعة، تتضمن 12 فرخ ورق كبيرًا من أجل وضع خرائط نجوم، وظروفًا، وأقلام رصاص، ومسطرة، وبعض الماحي

- 47 قلمًا

- المزيد من مكمّلات متعدد الفيتامينات والثقاب

هذه السنة (سنة قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية)، أعطاني حتى الآن:

– 3 أوعية بلاستيكية أخرى. هذه هي الأوعية الأفضل، لأن ألوانها فاقعة ممّا يسهّل رؤيتها. أحدها برتقالي والآخران بدرجتين مختلفتين من الأخضر.

– 4 علب ثقاب

– 3 علب فيتامينات

– حذاء جديد!

أنا مدين لكرم الآخر بالكثير. لولاه لما نمتُ دافئًا هانئًا في كيس نومي في الشتاء. لما كانت لدي دفاتر أسجّل فيها أفكاري.

لكن بعد كل ما قيل، يحدث أحيانًا أن أتساءل ما الذي يجعل البيت يمنح الآخر تشكيلة أغراض أكبر من التي يمنحني إياها أنا، فيزوّده بأكياس النوم، والأحذية، والأوعية البلاستيكية، وشطائر الجبن، والدفاتر، وقِطَعٍ من كيك عيد الميلاد، إلخ... إلخ... في حين أن ما يمنحني إياه هو السمك بمعظمه. أظن أن السبب ربما يكون أن الآخر ليس ماهرًا في الاعتناء بنفسه مثلي. هو لا يجيد صيد السمك. لا يقوم أبدًا (على حد علمي) بجمع العشب البحري وتجفيفه وتخزينه ليشعل النار أو ليعد وجبة خفيفة لذيذة؛ لا يعالج جلد السمك ويستخدمه (جلد السمك مفيد في العديد من الأشياء). لو أن البيت لا يزوّده بكل هذه الأشياء، من الممكن جدًا أن يموت. أو (وهذا أكثر احتمالًا) أن يتعين علي تكريس شطر كبير من وقتي للعناية به.

لا أحد من الموتى يتّخذ اسم آدي دوماروس

مادةُ اليومِ الثامن عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

مضت أسابيع على زيارتي الأخيرة للموتى، لذا فعلتُ ذلك اليوم. ليس مشروعًا صغيرًا أن أزورهم كلهم خلال نهار واحد، بما أنهم يرقدون في مواضع تفصل بينها عدة كيلومترات. أخذتُ لكل واحد منهم قربانًا من الماء والطعام، ومن زنابق الماء التي كنت قد جمعتها من القاعات الغارقة.

عند كل من المِشكاوات والقواعد همستُ اسمَ *آدي دوماروس*. كنت آمل أنّ أحدهم -الشخص الذي يرجع الاسم إليه- سيُعلمني بطريقة ما بقبوله إياه. غير أن هذا لم يحدث. بل على العكس، كلما ركعتُ عند مشكاة أو قاعدة، كنت أحسّ بشعورٍ واهٍ من الإحجام، كأنّ الاسم يُدفَع بعيدًا.

رحلة

مادةُ اليومِ التاسع عشر من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

أمضيت نهاري هذا منشغلًا بمهامّي المعتادة: صيد السمك، جمع العشب البحري، العمل على فهرس التماثيل خاصتي. في أواخر

الأصيل جمعتُ بعض المؤونة ومضيتُ إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين.

في الطريق أظهر البيتُ لي أعاجيب كثيرة.

في الردهة الخامسة والأربعين رأيتُ سلّمًا تحوّل إلى مهدٍ ضخمٍ للمحار. أحد التماثيل التي تصطفّ على جدار السلّم كان شبهَ مغمورٍ بدرعٍ زرقاء سوداء من المحار لم يُفلت منها سوى نصف وجهٍ محدّق وذراع بيضاء مفرودة. خططتُ رسمًا له في دفتر يومياتي.

في القاعة الغربية الثانية والخمسين صادفتُ جدارًا مشتعلًا بضوء ذهبيّ قويّ إلى حدّ أن التماثيل بدت تذوب فيه. من هناك مررت في حجرة صغيرة لها بضع نوافذ، كان الجو فيها لطيف البرودة ومعتمًا. رأيت تمثال امرأة تمدّ طبقًا عريضًا مسطّحًا كي يشرب منه دبٌّ صغير.

لدى اقترابي من الردهة الثامنة والسبعين، باتت الأنقاض تتناثر على الأرصفة. في أول الأمر، لم أرَ سوى أكوام متبعثرة هنا وهناك، لكن مع دنوّي من الردهة صرتُ أمشي على أرضية واعرة غدّارة من الحجارة المسنّنة. في الردهة نفسها كان مقدارٌ رقيقٌ من الماء ما زال ينساب تحت الأنقاض. التماثيل المتهدمة تتكوم في الزوايا.

تابعت المشي. في القاعة الغربية الثامنة والثمانين كان الرصيف خاليًا من الحطام، لكنني وجدت مشكلة أخرى. لقد بنَت مستعمرةٌ من النوارس الفضية أعشاشَها في هذه القاعة، وقوبل تطفّلي عليها

بالغضب الشديد. راحت تزعق ناقمةً وتطير نحوي، خافقةً بأجنحتها تحاول أن تنقرني. أخذتُ ألوّح بذراعيّ وأصيح لأبعدها.

وصلتُ إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين. وقفتُ عند بابها الوحيد وألقيتُ نظرةً إلى الداخل. كانت القاعات المحيطة مليئةً بشفقٍ أزرق ناعم، لكنّ هذه القاعة تحديدًا -التي، كما سبق وقلت، ليس لها نوافذ- كانت مظلمة، وتماثيلها غير مرئيّة. ينبعث منها تيّارٌ واهٍ - مثل نفَسٍ بارد.

أنا لا آلفُ الظلمة المطبقة. في البيت أماكن مظلمة قليلة جدًا؛ ربما تجد هنا وهناك زاوية معتمة في حجرة أو ركنًا من القاعات المتداعية حجب الحطامُ عنه الضوء؛ لكن على العموم، البيت ليس مظلمًا. حتى في الليل يصل ضوء النجوم المتقدة من النوافذ.

كنت قد تخيلت أن كل ما سأحتاج إليه كي أجيب عن سؤال الآخر - أيّ النجوم يمكن رؤيته من باب القاعة؟- هو أن أتوثّق من التوضّع الدقيق للقاعة ثم أراجع خرائط النجوم خاصتي. لكن بعد أن صرت عند الباب فعليًّا، أدركتُ أن هذه الخطة بالغة التفاؤل. يبلغ الباب تقريبًا أربعة أمتار عرضًا وأحد عشر مترًا ارتفاعًا، وهذا حجم ضخم بالنسبة إلى باب لكنه ضئيل إذا ما قورن بالسماء مترامية الأطراف. لن أتمكن من تحديد النجوم التي ستقع ضمن إطار الباب ما لم أُمضِ الليلة في القاعة لأرى بنفسي.

لم أجد هذه الفكرة جذابة.

تذكرتُ كيف صعدتُ سلّمًا إلى القاعة العلوية الواقعة فوق القاعة الشرقية التاسعة عشرة ووجدتها مليئة بالغيم. تذكرت كيف كانت تلك القاعة تمتلئ بتماثيل عملاقة تخوض أفعالًا عنيفة، كيف أن قسمات كل الوجوه ملتوية من الصراخ أو الغضب العارم أو الكرب.

ماذا (قلت لنفسي) لو حدث هذا مجددًا؟ ماذا لو دخلتُ إلى ظلمة القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين واستلقيتُ لأنام، ثم استيقظت فوجدت نفسي محاطًا بالفظائع؟

غضبتُ من نفسي، تقززتُ من جبني. ليست هذه طريقة تفكير! هل سرتُ أربعَ ساعات كي أصل إلى هذه القاعة ثم يمنعني الخوف من دخولها؟ يا للسخف! قلت لنفسي إن الخوف الذي اختبرتُه في القاعة العلوية يُستبعَد جدًا أن يتكرر في أي مكان آخر. وفي النهاية، لقد سبق لي أن دخلت القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين من قبل. لو كانت التماثيل عنيفة أو مخيفة على نحو خاص، لتذكرتُ دون شك. إلى جانب أنني تعهّدت للآخَر. هو يحتاج أن يعرف النجوم التي تُرى من الباب.

غير أن الظلمة ظلت تُضعف عزيمتي. أجّلتُ الدخول بعض الوقت. جلستُ في الخارج وأكلت وشربت وكتبت هذه المادة في دفتر يومياتي.

القاعة الغربية المئة والثانية والتسعون

مادةُ اليومِ العشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

بعد أن أتممتُ المادة السابقة في دفتر يومياتي، دخلتُ إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين. طوّقتني الظلمةُ والبرد. على بعد مسافة قصيرة في الداخل (نحو عشرين مترًا بتقديري) استدرتُ كي أواجه الباب الوحيد الذي يُحاذي بدقّةٍ نافذةً في الدهليز بالخارج. قعدتُ ولففتُ نفسي ببطانيتي.

أول الأمر كان وعيي حادًّا بالظلمة التي خلف ظهري وبتحديق التماثيل غير المعلومة. كان الهدوء شديدًا. القاعة التي أنام فيها عادةً -القاعة الشمالية الثالثة- مليئة بالطيور، وفي الليل أسمع الأصوات الخفيضة وهي تتزحزح وترفّ على مجاثمها؛ لكن إلى حدٍّ ما يتبيّن لي ما من طيور في القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين. يبدو أنها تجدها باعثةً على القلق مثلما أفعل أنا.

حملت نفسي على التركيز في الشيء الوحيد المألوف لي: صوت البحر في القاعات السفلية، الماء الذي يرتمي على الجدران في ألف ألف حجرة. إنه صوت يصاحبني في أيامي كلها. أغطّ في النوم على حسّه كل ليلة، كما الطفل، آمنًا على صدر أمه، يُصغي إلى خفق قلبها. وبالفعل، لا بد أن هذا ما حدث الآن، لأن الشيء التالي الذي أعرفه هو أنني استيقظتُ فجأةً من النوم.

كان ثمّة بدرٌ يتربّع في وسط الباب الوحيد، مُترِعًا القاعة بالضوء. التماثيل على الجدران كلها تقف كأنها استدارت لتستقبل الباب توًّا، عيونها الرخامية مثبّتة على القمر. كانت مختلفة عن التماثيل في القاعات الأخرى؛ ليست أفرادًا منفصلين، بل هي تصوير لحشد. هنا اثنان يطوّق واحدهما الآخر بذراعه؛ هنا واحد يضع يده على كتفِ آخر أمامه، ليشد نفسه إلى الأمام أكثر ويرى القمر؛ هنا طفل يمسك بيد أبيه. ثمة حتى كلب يقف -لأنه ليس مهتمًا بالقمر- على قائمتيه الخلفيتين، واضعًا كفّيه على صدر صاحبه، يتوسل راجيًا الاهتمام. الجدار الخلفي عبارة عن جمهرة من التماثيل - ليست مرتبة في طبقات منتظمة، بل هي حشد مختلط فوضوي. يتصدّر هذه التماثيلَ فتىً شابّ، يقف مغمورًا بضوء القمر، الفرح على وجهه، في يده راية.

كدتُ أنسى أن أتنفس. للحظةٍ راودتني إلماعةٌ إلى ما قد يكون عليه الوضع لو أنّ في العالَم، بدلًا من شخصين، ألوفًا من الناس.

القاعة الغربية الثامنة والثمانون

المادة الثانية لليومِ العشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

تحدّر البدرُ غربًا، ضعف الضوءُ في القاعة وازدادت الكوكبات سطوعًا في النافذة المقابلة للباب. سجلت ملاحظات حول الكوكبات

والنجوم التي أراها. عند الفجر نمتُ بضع ساعات ثم بدأت رحلةَ العودة.

في أثناء سيري، كنت أفكّر في المعرفة العظيمة والسرية، التي يقول الآخر إنها ستمنحنا قدرات جديدة غريبة. وأدركتُ شيئًا. أدركت أنني لم أعد أومنُ بها. أو لعل هذا ليس دقيقًا تمامًا. كنت أظن أنه من الممكن أن تكون المعرفة موجودة. وبالقدر نفسه أظن أنه من الممكن ألّا تكون. في الحالتين لم تعد تهمني. ما عدت أنوي أن أضيع وقتي في البحث عنها.

هذا الإدراك -إدراك عدم أهمية المعرفة- جاءني على شكلِ وحي. ما أعنيه بهذا هو أنني علمتُ صدقَه قبل أن أفهم السبب أو الخطوات التي قادتني إليه. عندما حاولت أن أراجع هذه الخطوات، ظلَّ عقلي يرجع إلى صورة القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين في ضوء القمر، إلى جمالها، إلى إحساس الهدوء العميق فيها، إلى النظرات الوقورة على وجوه التماثيل لمّا استدارت (أو بدا أنها استدارت) نحو القمر. أدركتُ أن البحث عن المعرفة شجّعنا على التفكير في البيت كما لو كان لغزًا من نوعٍ ما ينبغي حلُّه، نصًّا ينبغي تفسيره، وأننا إن حدث واكتشفنا المعرفةَ يومًا، سيكون الأمر كأنّ القيمة انتُزعت من البيت ولم يبقَ منه إلا مجرد المنظر.

مشاهدة القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين في ضوء القمر جعلتني أرى سخفَ هذا. البيت قيّمٌ لأنه البيت. إنه كافٍ بحد ذاته ومن ذاته. هو ليس وسيلة لغاية.

هذه الفكرة أفضت إلى أخرى. أدركتُ أن وصف الآخر للقدرات التي ستقدّمها المعرفة لطالما أصابني بالضيق. على سبيل المثال: هو يقول إننا سنمتلك القدرة على السيطرة على العقول الأدنى. حسنًا، بادئ ذي بدء ما من عقول أدنى؛ لا يوجد سواه هو وأنا وكلانا يملك مقدرات فكرية حادة ونشيطة. لكن فلنفترض لحظةً أنّ هنالك عقلًا أدنى، لماذا قد أريدُ أن أسيطر عليه؟

من شأن التخلي عن البحث عن المعرفة أن يحرّرنا ويتركنا نتابع صنفًا جديدًا من العلوم. بوسعنا أن نمضي في أي طريق تقترحه البيانات علينا. التفكير في كل هذا جعلني متشوّقًا وسعيدًا. تلهّفتُ إلى أن أرجع إلى الآخَر وأشرح الفكرة له.

كنت أسير عبر القاعات، مفكّرًا في هذه الأشياء، حين سمعتُ صيحات الطيور الغليظة وتذكرت أن القاعة الغربية الثامنة والثمانين مليئة بالنوارس الفضية. تساءلت هل أسلك طريقًا آخر أم لا، لكنني، إذ قدّرتُ أن من شأن أيّ انحراف أن يضيف سبعَ قاعات أو ثمانيًا (1.7 كيلومترًا) إلى رحلتي، قررت ألّا أفعل.

كنت قد قطعت نصف القاعة عندما انتبهتُ إلى كومة متبعثرة من الأشكال البيضاء الملقاة على الرصيف. التقطتُها. كانت قطعًا ممزّقةً من الورق عليها كتابة. كانت مكرمشة لذا سوّيتُها وحاولتُ تجميعها. اثنتان –كلّا، بل ثلاث– من القصاصات تجمّعت كما ينبغي، فشكّلت جزءًا من ورقة صغيرة لها طرفٌ متشقق واحد. بدا أنها صفحة انتُزعت من دفتر.

تبيّن لي أن الصفحة، حتى بعد جمعها، ستكون صعبة القراءة. الكتابة رديئة – مثل كبكوبة من العشب البحري. بعد دقائق من التمحيص فيها تهيّأ لي أنني أترسّم كلمةَ "مينوتور". فوقها بسطر أو اثنين تهيّأ لي أنني أرى كلمة "عبد" وتحتها بسطر أو اثنين عبارة "أقتله". ما تبقّى كان مستغلقًا تمامًا. غير أن الإشارة إلى "مينوتور" أثارت ذهني. الردهة الأولى تحوي ثمانية تماثيل ضخمة لمينوتورات، كل منها مختلف عن البقية. أيكون الشخص الذي كتب هذا قد زار قاعاتي؟

تساءلتُ لمن تكون هذه الكتابة. ليست كتابة الآخر. فإلى جانب أنني متأكد من أنه لم يغامر ببلوغ مسافةٍ تقارب القاعة الغربية الثامنة والثمانين، كنت أعرف أن خطّه أنيق ومضبوط. أحد الموتى إذًا. رجل جلد السمك؟ رجل علبة البسكويت؟ الشخص المستتر؟ يُحتمل أن يكون هذا اكتشافًا ذا أهمية تاريخية عظيمة.

الآن بعد أن عرفتُ ما أبحث عنه بات بوسعي أن أرى المزيد من الأشكال البيضاء ملقاة على الرصيف. أخذتُ أجمعها. بدأتُ من الزاوية الجنوبية الغربية وسرتُ بانتظام على كامل رصيف القاعة، لا أُغفل قسمًا منه. في البدء أصدرت النوارس الفضية اعتراضًا غليظًا على ما أفعله، بيد أنها، حين رأت أنني لا أقرب بيضَها ولا فراخها، فقدَت الاهتمام. وجدتُ سبعًا وأربعين قطعة ورق، لكن عندما جثوتُ وحاولتُ تجميعها بدا واضحًا أن الكثير منها ما يزال مفقودًا.

نظرتُ حولي. كانت أعشاش النوارس الفضية مستقرة على أكتاف التماثيل ومحشورة فوق القواعد؛ ثمة عش مدسوس بين قوائمِ تمثالِ فيلٍ وآخَرُ وُضع على تاجِ ملكٍ مُسنّ. استطعتُ أن أرى مِزقتَين بيضاوين تبرزان من العش الأخير. دنوتُ بحذرٍ وتسلّقتُ تمثالًا مجاورًا لأتفحّصه. على الفور هاجمني نورسان، يصرخان معبّرَين عن نقمتهما وينهالان عليّ بأجنحتهما ومنقاريهما. لكنّني كنت مصمّمًا مثلهما. رحتُ أرفع نفسي على التمثال بذراعٍ واحدة وبالأخرى أطرد الطائرين.

كان العش شيئًا متضعضعًا عديم الترتيب بُنيَ من العشب البحري الجاف والحسك؛ من ضمن بنيته توجد خمس قصاصات ورق أو ستٌّ عليها كتابة. نزلتُ وتراجعتُ إلى وسط القاعة بعيدًا عن الجدران والأعشاش والطيور المهاجمة.

تفكّرتُ في ما يحسن بي فعله. لم يعد استرداد الأجزاء المفقودة ممكنًا الآن. يستحيل أن تسمح النوارس الفضية لي أن أفكّك أعشاشها – ولا أنا أريد ذلك. كلا، عليّ أن أنتظر حتى أواخر الصيف –أو، وهو الأفضل، أوائل الخريف– حين تكون النوارسُ هجرت الأعشاشَ والفراخُ كبرت. عندها يمكن لي أن أرجع وآخذ كلّ الأجزاء المفقودة.

وضعتُ القطع السبع والأربعين بحرصٍ بين أغراضي وتابعتُ رحلةَ العودة.

الآخر يشرح أنه سبق أن قال كل هذا

مادةُ اليومِ الثاني والعشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح أخذتُ خرائط النجوم خاصتي إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية.

وجدتُ الآخر متكئًا على القاعدة الخالية، يضع الكاحل على الكاحل ويستند بمرفقيه إلى القاعدة. بدا مسترخيًا. كان يرتدي بدلةً كحليّةً داكنةً لا تشوبها شائبة وقميصًا أبيض ناصعًا. وجّه إليّ ابتسامةً ودودة. «كيف حال الحذاء؟»، سألني.

«ممتاز!»، قلت: «رائع! شكرًا لك! غير أنّ ما أثمّنه أكثر حتى من الحذاء ذاته هو البرهان الذي يقدّمه على صداقتنا! أنا أعدّ امتلاك صديق مثلك واحدًا من أعظم مصادر السعادة في حياتي!».

«إنني أبذل ما في وسعي»، قال الآخر: «قل لي إذًا. كيف أحوالك؟ بعد أن صار الحذاء لديك».

– لقد زرتُ القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين بالفعل!

– حسنًا. وهل رأيت النجوم التي هناك؟ هل سجّلتِ ملاحظات؟

«سجّلتُ ملاحظات فعلًا»، قلت: «لكنني لم أجلبها معي بما أنني أتذكر كل ما لديّ كي أخبرك به».

ثم حكيت له عمّا رأيتُه في القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين. «التماثيل أبرز ما يميّزها. أعني في ما خلا الباب الوحيد وانعدام النوافذ. ضوء القمر انتقى أحد التماثيل بعينه – صورة فتًى شابّ. بدا لي يمثل فضائل الـ...».

«لا تتعب نفسك بكل هذا. تعلم أنني لست مهتمًا بالتماثيل. أخبرني عن النجوم»، قال الآخر: «ما الذي استطعت رؤيته؟».

«سوف أريك». فتحتُ إحدى خرائط النجوم خاصتي ووضعتها على القاعدة الخالية. جاء ووقف بجانبي. «رأيتُ الوردة، والأم الطيبة، وعمود الإنارة. ومع اقتراب الصباح أعقب هذه النجومَ كلٌّ من الإسكافيّ والأفعى الحديديّة». (كانت هذه بعض الأسماء التي أطلقتُها على الكوكبات).

عاين الآخر الخريطةَ بدقة. ثم التقط جهازه الساطع وسجّل بعض الملاحظات.

«هل بين هذه النجوم نجم ساطع على نحو بارز؟»، سألني.

«أجل. هذا النجم هنا. إنه جزء من الأم الطيبة. هو طرف ذراعها الممدودة، إن صحّ القول. واحد من أشد النجوم سطوعًا في السماء».

«ممتاز»، قال الآخر: «النجم الأشد سطوعًا ليرمز إلى المعرفة الأعظم. حسنًا، بينما كنت تفعل كل هذا، توصّلتُ إلى قرار. لقد

قررت أنني سوف أذهب إلى هذه الغرفة وأؤدّي الطقس الشعائري هناك. من الواضح أنها في موضع أبعد بكثير من أي مكان بلغتُه يومًا في المتاهة، لذا ثمة مخاطر...». سكت لحظةً وبدا عليه التصميم الشديد، كأنه يشدّ من عزمه من أجل شيء ما. «... لكن إن قارنّا بين المخاطر والمكتسبات – حسنًا، المكتسبات قد تكون هائلة. هذه المعلومات التي جلبتها لي لا تُقدَّر بثمن وما أحتاج منك أن تفعله الآن هو أن ترجع إلى هناك وتحدّد الكوكبات التي يمكن رؤيتها في أوقات مختلفة من السنة».

الآن حان الوقت كي أشرح الوحي الذي حلّ عليّ بخصوص المعرفة العظيمة والسرية.

«بالنسبة إلى هذا»، قلت: «أنا أيضًا لديّ شيء أقوله. لقد تكشّفَ لي شيء عليّ الآن أن أشاركك إيّاه، شيء ينطوي على مقتضيات بالغة الأثر تمسّ كل بحثنا المستقبليّ. علينا أن نوقف تفتيشنا عن المعرفة! عندما بدأنا، كنا نؤمن أنه مسعًى جدير، يستحق كل اهتمامنا، لكن اتضح أنه ليس كذلك. يجدر بنا أن نتخلى عنه فورًا ونضع، عوضًا عنه، برنامجًا جديدًا للبحث العلمي!».

لم يكن الآخر يعيرني انتباهًا. كان يسجّل ملاحظات على جهازه الساطع. «امم؟ ماذا؟»، قال.

«أنا أتحدث عن تفتيشنا عن المعرفة»، قلت: «وعن أن البيت كشف لي أنه يجدر بنا التخلي عنه».

كفّ الآخر عن النقر على جهازه. استغرق لحظةً ليستوعب ما قلته لتوّي. ثم وضع الجهاز على القاعدة الخالية، وغطّى وجهه بيديه، وأصدر ما يشبه الهمهمة، ودلّك عينيه. «أوه، ربّاه! ليس هذا مجدّدًا»، قال.

رفع يديه عن وجهه. استدار وحدّق إلى البعيد. «لا تقل شيئًا»، قال (رغم أنني لم أنطق كلمةً أخرى): «أحتاج أن أفكر».

ساد صمتٌ طويل بدا في نهايته أنه توصّل إلى قرار. «اجلس»، قال.

جلسنا معًا على رصيف القاعة. أنا تربّعت وهو قعد على ركبتيه مستندًا بظهره إلى القاعدة الخالية.

كان في وجهه نوع من الظلمة العابسة. بدا أنه يجد صعوبة في النظر إليّ. من هذه العلامات عرفتُ أنّه غاضب لكنه يكافح كيلا يُظهر ذلك.

تنحنح. «طيب»، قال بنبرة مضبوطة: «ثمة ثلاثة أسباب... ثلاثة... تدلّ على أنه لا يجدر بك التوقف عن البحث عن المعرفة. سوف أمرّ عليها كلها الآن، وفي النهاية، أظنك سترى أنني محقّ. أحتاج منك فقط أن تنصت إليّ. بوسعك فعل هذا، أليس كذلك؟».

«بالطبع»، قلت: «أخبرني بالأسباب الثلاثة».

«حسنًا، السبب الأول هو هذا. قد يبدو لك أن ما أفعله أنانيّ بالأحرى – أنني أحاول أن أحصل على المعرفة لنفسي. لكن الواقع

مختلف بحقّ. هذا البحث الذي باشرناه أنا وأنت، مشروع جدّ عظيم. مصيريّ. أحد المشروعات الأكثر أهمية في تاريخ البشرية. المعرفة التي نسعى إليها ليست شيئًا جديدًا. إنها قديمة. قديمة حقًا. ذات زمان كان الناس يمتلكونها واستخدموها لفعل أمور عظيمة، أمور عجائبية. كان يجدر بهم أن يتشبثوا بها. كان يجدر بهم أن يحترموها. لكنهم لم يفعلوا. لقد تخلوا عنها من أجل شيء سمّوه التقدم. ويقع على عاتقنا نحن أن نسترجعها. نحن لا نقوم بهذا من أجل أنفسنا؛ إننا نقوم به من أجل البشرية. أن نسترجع شيئًا أضاعته البشرية بحماقة».

«مفهوم»، قلت. (هذا بالفعل سلّط على الأمور ضوءًا مختلفًا بعض الشيء).

«وشخصيًا»، تابع الآخر: «أظن أن هذا البحث يبلغ من الضرورة والأهمية الشديدة حدًّا يُعيّن عليّ أن أستمر فيه. مهما كان. ليس لديّ أيّ خيار. إن كان قرارك أن تتوقف عن البحث – حسنًا، في هذه الحالة أظن أننا لن نعود زميلَين. لقاءاتنا أيام الثلاثاء والجمعة – سنوقفها. فماذا ستكون الجدوى؟ سأكون أنا منشغلًا بمتابعة أبحاثي وأنت ستكون بعيدًا»، أشار بيده على نحو مبهم، «تفعل ما تفعله أيًّا كان. ليس هذا ما أريده بالطبع، دعني أكون واضحًا جدًّا في هذا الشأن، لكن هذا ما سيتعيّن أن تكون الأمور عليه. وهذا هو السبب الثاني».

«أوه!»، قلت. لم يكن قد خطر لي أننا لن نبقى زميلَين. «لكن العمل معك واحد من أعظم مباهجي في الحياة!».

«أعرف»، قال الآخر: «وبالطبع، أبادلك هذا الشعور». سكت قليلًا. «والآن عليّ أن أخبرك بالسبب الثالث. لكن قبل هذا، أحتاج منك أن تسمع شيئًا آخر». حدّق في وجهي من كثب يستقصيه. «هذا أكثر ما سأقوله أهمية على الإطلاق. بيرانيسي، ليست هذه أول مرة تقول لي فيها إنك تريد أن توقف البحث عن المعرفة. ولا أول مرة أشرح لك فيها لماذا ليست هذه خطة العمل الصائبة. كل ما قلناه للتو؟ *لقد سبق وقلناه كله*».

«أنا... ماذا؟»، قلت. رحت أنظر إليه وأرمش بعينيّ مدهوشًا. «ماذا؟... لا. لا. هذا ليس صحيحًا».

«بلى، هو صحيح للأسف. كما ترى، المتاهة تمارس الألاعيب على العقل. تجعل الناس ينسون أمورًا. إن لم تأخذ حذرك سيكون بوسعها أن تفكّك شخصيتك كلها».

جلستُ مكاني مبهوتًا. «كم مرة قلنا هذا؟»، قلت أخيرًا.

فكّر لحظة. «هذه هي المرة الثالثة. ثمة نمط. يبدو أن فكرة إيقاف البحث عن المعرفة تخطر لك مرة كل ثمانية عشر شهرًا تقريبًا». ألقى نظرةً على وجهي. «أعرف. أعرف»، قال بتعاطف: «يصعب استيعاب هذا».

«لكنني لا أفهم»، احتججت: «لديّ ذاكرة ممتازة. أنا أتذكر كل قاعة سبق أن زرتها يومًا. إنها سبعة آلاف وستمئة وثمانٍ وسبعون قاعة».

«أنت لا تنسى أي شيء بخصوص المتاهة. هذا ما يجعل مساهمتك في عملي قيّمة هكذا. لكنك تنسى أمورًا أخرى. وبالطبع، تفقد صلتك بالزمن».

«ماذا؟»، قلت مجفلًا.

– الزمن. أنت تفقد صلتك به دائمًا.

– ماذا تعني؟

– تعرف. أنت تخطئ بالأيام والتواريخ.

«كلا»، قلت ممتعضًا.

– بلى، تفعل ذلك. هذا مزعج بعض الشيء، لأكون صريحًا. جدول أعمالي ممتلئ دائمًا. آتي لأقابلك فلا أجدك لأنك تكون أخطأت باليوم مجددًا. لقد تعين عليّ أن أصوّبك مرات عديدة انحرفَ فيها إدراكُك للزمن.

– انحرف عن ماذا؟

– عني أنا. عن الآخرين جميعهم.

أصابني الذهول. لم أصدّقه. غير أنني كذلك لم أكذّبه. لم أعرف في ماذا أفكّر. لكن ضمن كل ارتيابي كان شيء واحد واضحًا، بقي شيء واحد بوسعي أن أعتمد عليه تمامَ الاعتماد: الآخر شخص صادق نبيل كادح. لن يكذب. «لكن لماذا لا تنسى أنت؟»، سألته.

تردد الآخر لحظة. «أنا أتخذ إجراءات وقائية»، قال بحذر.

- ألا يمكنني أن أتخذها أنا أيضًا؟

- لا. لا. هذا لا ينفع. آسف. لا يمكنني الخوض في الأسباب والدواعي. الأمر معقّد. سأشرحه لك ذات يوم.

لم يكن هذا مُرضيًا كثيرًا، لكنني حينذاك لم أمتلك الطاقة ولا القدرة العقلية لتتبّع الأمر. كنت منشغلًا في التفكير في ما يمكن أن أكون نسيته.

«من وجهة نظري هذا مقلق للغاية»، قلت: «لنقل إني نسيت شيئًا مهمًا، مثل مواعيد المدود وأنماطها؟ قد أغرق».

«لا، لا، لا»، قال الآخر يهدّئني: «لا داعي إلى القلق بهذا الشأن. أنت لا تنسى أشياء مثل هذه أبدًا. ما كنت لأتركك تتجوّل في الأنحاء لو أنني أراك معرّضًا لأدنى خطر. واحدنا يعرف الآخر منذ سنين، وفي هذا الوقت تضاعفت معرفتُك بالمتاهة أسّيًّا. إنها استثنائية بحق. أما بخصوص ما تبقّى، فبوسعي أن أذكّرك بأي شيء مهم تنساه. لكنّ مسألة أنك تنسى في حين أتذكر أنا هي ما يجعل من الضروري جدًا أن أكون من يضع أهدافنا. أنا. لا أنت. هذا هو السبب الثالث الذي يُعيّن علينا أن نلتزم ببحثنا عن المعرفة. هل تفهم؟».

«أجل. أجل. على الأقل...». صمتُّ لحظة. «أحتاج إلى وقت كي أفكّر»، قلت.

«بالطبع. بالطبع»، قال الآخر. ربت على كتفي يواسيني. «سوف نتناقش في هذا مجددًا يوم الثلاثاء».

نهض على قدميه وذهب إلى القاعدة الخالية وتفحّص الجهاز الساطع الصغير المتروك هناك. «على كل حال»، قال: «عليّ أن أذهب. أنا هنا منذ خمس وخمسين دقيقة تقريبًا». دون كلمة أخرى، استدار وانطلق باتجاه الردهة الأولى.

العالَم لا يؤيد ادعاءَ الآخر بأن في ذاكرتي فجوات

مادةُ اليومِ الثالث والعشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

العالَمَ (إلى حد ما يتبين لي) لا يؤيد ادعاءَ الآخر بأن في ذاكرتي فجوات.

في أثناء شرحه لي –ولبعض الوقت بعد ذلك– لم أعرف في ماذا أفكر. عدة مرات اختبرتُ شعورًا شبيهًا بالهلع. أيكون صحيحًا حقًا أنني نسيت محادثات كاملة؟

لكن مع مرور ساعات النهار، لم أستطع أن أجد دليلًا على فقدان الذاكرة يدعم ادعاء الآخر. شغلتُ نفسي بمهامّي اليومية الاعتيادية.

رتقتُ إحدى شباك صيدي وعملت على فهرس التماثيل خاصتي. في أول المساء ذهبت إلى الردهة الثامنة كي أصطاد السمك من مياه السلّم السفلي. كانت أشعة الشمس الآفلة تسطع عبر نوافذ القاعات السفلية، فتضرب وجه الأمواج وتصنع تموجات من الضوء الذهبي تتدفق على سقف السلّم وعلى وجوه التماثيل. حين خيّم الليل، رحت أصغي إلى الأغنيات التي يغنّيها القمر والنجوم وغنّيت معها.

العالَم يبدو تامًّا وكاملًا، وأنا، ابنه، أنتمي إليه دون زيادة ولا نقصان. لا وجود لأيّ انفصال يحيل إلى شيء يجدر أن أتذكّره ولا أفعل، إلى شيء يجدر أن أفهمه ولا أفعل. الجزء الوحيد من وجودي الذي أختبرُ فيه أيَّ شكل من الانقطاع هو تلك المحادثة الأخيرة الغريبة مع الآخر. ولذا عليّ أن أسأل نفسي: من بيننا ذاكرته غير صائبة؟ أنا أم هو؟ أيكون ممكنًا في الواقع أنه يتذكر محادثات لم تجرِ قط؟

ذاكرتان. عقلان لامعان يتذكران أحداثًا سابقة على نحوين مختلفين. إنه لوضعٌ مربك. لا يوجد شخص ثالث ليقول من منا على صواب. (ليت الشخص السادس عشر هنا!).

أما بالنسبة إلى ادعاء الآخر بأني أفقد صلتي بالزمن وأخلط بين الأيام، فأنا لا أرى كيف يمكن لهذا أن يكون صحيحًا. أنا من اخترعتُ التقويم الذي أستخدمه، كيف له إذًا أن "ينحرف" بحسب تعبيره؟ ما من وجود لشيء ينحرف عنه.

أتساءل الآن إذا ما كان هذا ما جعله يسألني ذلك السؤال الغريب قبل ثلاثة أسابيع ونصف؟ أعني السؤال الذي يحتوي على كلمة غريبة. أرجع في صفحات دفتر يومياتي فأرى أن الكلمة الغريبة كانت "باتر-سي".

ثم، في غضون لحظة، يقدّم الحلُّ نفسَه! كل ما عليّ فعله هو أن أقرأ في يومياتي وأرى إن كان فيها أيّ تناقضات، أيّ أحداث مسجلة لم أعد أذكرها. أجل! هذا سوف يحسم المسألة بالتأكيد. في الحقيقة، المشكلة الوحيدة في هذه الفكرة هي أنها ستستغرق قدرًا كبيرًا من الزمن -بما أن كتاباتي مطوّلة- وهذا ما لا يمكنني في الوقت الحالي أن آخذه من المشروعات الأخرى.

إنني مصمم على القراءة في يومياتي في وقتٍ ما من الشهور القادمة، وخلال هذه الأثناء سوف أظل على افتراضي أن ذاكرة الآخر، لا ذاكرتي أنا، هي الخاطئة.

أكتبُ رسالة

مادةُ اليومِ الرابع والعشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

في ما يلي نسخة منقولة عن الرسالة التي خططتُها بالطبشور على رصيف القاعة الجنوبية الغربية الثانية.

عزيزي الآخَر

رغم أنني لم أعد أستطيع أن أعتبر البحث عن المعرفة العظيمة والسرية مسعًى علميًا ذا جدارة، فقد قررتُ أن خطة العمل الصحيحة هي أن أستمر في مساعدتِك وجمعِ كل ما تطلبه من بيانات. ليس من الصواب أن يدفع عملُك العلمي الثمنَ لمجرد كوني فقدت الثقة بالفرضية. آمل أن يكون هذا مقبولًا لديك.

صديقك

الآخر يحذرني بشأن 16

مادةُ اليومِ السادس والعشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح ذهبتُ إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية كي أقابل الآخر. أعترف أنني كنت قلقًا بعض الشيء بخصوص الكيفية التي سيجري بها اللقاء. أحيانًا حين أكون قلقًا، أتكلم كثيرًا، لذلك باشرتُ على الفور خطابًا طويلًا، متوسعًا إلى حد غير ضروري بحق في موضوع الرسالة التي كتبتُها بالطبشور على الرصيف.

لم يكن ذلك مهمًا. في وسط كلامي أدركتُ أن الآخر لا يستمع. كان يحني رأسه مفكرًا ويُقلّب شاردَ الذهن بعضَ الأغراض المعدنية

في جيب سترته. هو اليوم يرتدي بدلةً بلون فحمي داكن وقميصًا أسود.

«أنت لم ترَ أي شخص آخر في المتاهة، أليس كذلك؟»، قال فجأة.

«شخص آخر؟»، قلت.

«أجل».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«شخص جديد؟»، قلت.

«أجل»، قال.

«كلا»، قلت.

راح يتأمل في وجهي من كثب كأنه يشك لسببٍ ما في حقيقةِ ما قلته لتوي. ثم استرخى وقال: «لا. لا. كيف لك؟ ما من أحد غيرنا».

«أجل»، وافقت: «ما من أحد غيرنا».

صمتٌ قصير.

«إلا إذا»، أضفتُ: «كان يوجد أشخاص آخرون في أجزاء أخرى من البيت. في أماكن نائية بعيدة لم يسبق لنا أن رأيناها أنا وأنت. كثيرًا ما تساءلتُ بهذا الشأن. من حيث الفرضية، يستحيل إثبات صحة ذلك من عدمها – إلا إذا صادفتُ ذات يوم علامات تدل على نشاط بشري، علامات لا يمكن أن ننسبها منطقيًا إلى مَوتانا».

«امممم»، قال. كان قد غرق في التفكير من جديد.

صمتٌ آخر.

خطر لي أنني ربما سبق وصادفتُ بالفعل علامات كهذه. قصاصات الورق التي عليها كتابة، تلك التي وجدتُها في القاعة الغربية الثامنة والثمانين! قد تكون ترجع إلى موتانا أو إلى شخص ما يزال غير معلوم لنا. كنت على وشك أن أخبر الآخر بذلك عندما بدأ يتكلم من جديد.

«اسمع»، قال: «أريدك أن تعدني بشيء».

«طبعًا»، قلت.

«إن حدث ورأيت شخصًا في المتاهة... شخصًا لا تعرفه... أريدك أن تعدني أنك لن تحاول أن تكلّمه. بل عليك أن تختبئ عوضًا عن ذلك. أن تبتعد عن طريقه. ألّا تدعه يراك».

«أوه، لكن فكّر في الفرصة التي ستضيع إن فعلتُ ذلك!»، قلت: «أكاد أجزم أن الشخص السادس عشر سيكون يمتلك معرفة لا نمتلكها نحن. سيكون بوسعه أن يخبرنا عن المناطق النائية من العالم».

بدا الآخر مشدوهًا. «ماذا؟ عمَّ تتحدث؟ الشخص السادس عشر؟».

حكيت له عن الأموات الثلاثة عشر والحيَّين الاثنين، وشرحت أن الشخص الجديد سيكون السادس عشر. (لقد سبق أن شرحت

هذا عدة مرات. لا يبدو أن بوسع الآخر إبقاء هذه المعلومة المهمة في رأسه على الإطلاق).

«أتفق على أن "الشخص السادس عشر" تسمية ثقيلة إلى حد ما»، قلت: «بوسعنا، إن كنت تفضّل، أن نسمّيه "16" اختصارًا. الفكرة التي أقصدها هي أن 16 يملك معلومات عن العالم لا نملكها نحن ولذلك...».

«لا لا لا لا لا»، قال الآخر: «لست تفهم. من المهم حقًا أن نبتعد قدر ما نستطيع عن هذا الشخص». سكت قليلًا ثم قال: «كما ترى يا بيرانيسي، لقد التقيتُ بهذا الشخص. هذا الشخص الذي تدعوه "16"».

«ماذا؟ لا!»، هتفت: «إذًا يوجد بالفعل شخص سادس عشر في العالم؟ لماذا لم تقل لي هذا من قبل؟ هذا مدهش! هذا أمر يستدعي الاحتفال!».

«لا»، هزّ رأسه بأسًى: «لا يا بيرانيسي. أعلم أن هذا يعني لك الكثير ويؤسفني أن أزعجك. لكن هذا ليس أمرًا يستدعي الاحتفال. بل على العكس تمامًا. هذا الشخص -16- يُضمر لي الأذى. 16 هو عدوّي. ولذلك، بالتالي، هو عدوّك أنت أيضًا».

«أوه!»، قلت وحطّ عليّ الصمت.

يا له من خبر مريع. أنا بالطبع أفهم مفهومَ العداوة: ثمة كثير من التماثيل التي تصوّر شخصيةً تتصارع مع أخرى. غير أنه لم يسبق لي أن اختبرتُه مباشرةً قط. خطرت لي فكرة عشوائية – عبارة *أقتله* التي على إحدى قصاصات الورق من القاعة الغربية الثامنة والثمانين. الشخص الذي كتب ذلك كان لديه عدوّ.

«هل يمكن على الإطلاق أن تكون مخطئًا؟»، قلت: «لعل الأمر كله سوء تفاهم. عندما يصل 16، يمكنني أن أكلمه وأشرح له أنك شخص طيب لديك الكثير من الصفات الجديرة بالإعجاب. يمكنني أن أبرهن له أن الموقف العدائي الذي يتخذه تجاهك ليس له أساس منطقي».

ابتسم الآخر. «كم هو من شيمك، يا بيرانيسي، أن تحاول إيجاد الجانب الجيد من المواقف. لسوء الحظ، في حالتنا هذه لا يمكن فعل ذلك. لهذا السبب لم أرد أن أخبرك عن 16. أنت تتخيل أنه من الممكن التعامل بعقلانية مع 16. لكن لسوء الحظ، ليس هذا واقع الأمر. إن 16 يعارض كل ما يكوّننا، كل ما نعدّه أنا وأنت قيّمًا ونفيسًا. وهذا يتضمن المنطق. المنطق هو أحد الأشياء التي يريد 16 أن يقوّضها».

«كم هذا رهيب!»، قلت.

«أجل».

هوينا في الصمت مجددًا. لم يبدُ أنه ظلَّ ما يقال. صُدمتُ من وصفه لخباثةِ 16. أنه يعارض المنطقَ بذاته!

بعد لحظة تابع الآخر: «لكنني ربما أصيبنا بالتوتر كلينا بلا سبب. إن احتمال قدوم 16 إلى هنا صغير جدًا في الواقع».

«لمَ الاحتمال صغير؟»، سألته.

«16 لا يعرف الطريق»، قال الآخر. ابتسمَ لي. «حاول ألا تترك الأمر يقلقك».

«سوف أحاول»، قلت. باغتتني فكرة جديدة. «متى التقيتَ بـ 16؟».

- اممم؟ أوه، أوّلَ من أمس.

- زرتَ الأماكن البعيدة حيث يعيش 16؟ لم يسبق قط أن قلت هذا. حدثني عنها!

- ماذا تقصد؟

- قلتَ إنك التقيت بـ 16. لكنك قلت أيضًا إن 16 لا يعرف الطريق إلى هنا. ما يعني أنك لا بد التقيت به في قاعاته هو أو، على الأقل، في منطقةٍ قصيّة ما. هذا يفاجئني لأنني لا أعتقد أنك خضت أي رحلات طويلة مذ عرفتك.

ابتسمت للآخَر منتظرًا جوابه، الذي توقعت تمامًا أن يكون مثيرًا لغاية الاهتمام.

بدا مشدوهًا. مشدوهًا ومرتاعًا بعض الشيء.

صمتٌ طويل.

«في الواقع...»، همّ يقول، ثم بدا أنه غير رأيه بشأن ما كان سيقوله: «في الواقع، ليس مهمًا أين التقينا. وليس لدي وقت كي أخوض في هذا الآن. هنالك حاجة إليّ... أقصد أنني لا أستطيع البقاء اليوم. أردت فقط أن أحذرك. كما تعلم، بشأن 16». ثم أومأ لي برأسه بحدّة، والتقط أجهزته الساطعة ومضى نحو الردهة الأولى.

«وداعًا!»، ناديت من خلف ظهره المنسحب: «وداعًا!».

أحدّثُ معلوماتي بشأن 16

مادةُ اليومِ السابع والعشرين من الشهر السادس في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

أنا مهتم جدًا بمسألةِ أن الآخر التقى بـ 16، ومن المؤسف للغاية أنه عازف هكذا عن قول أي شيء بذلك الخصوص. أودّ لو أعرف أكثر بكثير عن الظروف والموقع. لكنني أعتقد أن الآخر لا يرغب أن يسهب في الحديث عن لقاء جمعه بشخص خبيث.

المادة التي كتبتُها في دفتر يومياتي قبل ستة أسابيع (انظر *قائمة بكل الناس الذين عاشوا وبما هو معلوم عنهم*) باتت منتهية الصلاحية الآن، لذا هذا الصباح ألحقتُ ملاحظةً هناك تُحيل القارئ إلى هذه الصفحة.

الشخص السادس عشر

الشخص السادس عشر يقيم في منطقة بعيدة من البيت، ربما في الشمال أو الجنوب. لم يسبق لي أن رأيته، لكن الآخر يقول إنه شخص سافل، يعادي المنطق والعلم والسعادة. يعتقد الآخر أن 16 قد يحاول القدوم إلى هنا من أجل أن يكدّر وجودنا الهانئ وقد حذّرني أنني، إن حدث ورأيت 16 في هذه القاعات، عليّ أن أختبئ.

الردهة الأولى

مادةُ اليومِ الأول من الشهر السابع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

اليوم قررتُ أن أزور الردهة الأولى. إنها، للغرابة بما فيه الكفاية، مكان قلّما أذهب إليه. أقول "للغرابة" لأنني، حين وضعت نظام ترقيم القاعات خاصتي قبل عدة سنوات، اخترت هذه الردهة نقطةً للبدء، مكانًا يُحسَب كلُ شيء آخر انطلاقًا منه. لمعرفتي بنفسي، لا أظن أنني كنت لأختارها لو لم أشعر برابط قوي من نوع ما يربطني بها؛ إلا أنني ما عدت أتذكر ماذا كان ذلك الرابط. (هل الآخر على حق؟ أتراني أنسى أشياء؟ إنها فكرةٌ كريهة وأنا أدفعها عني).

الردهة الأولى مكان مثير للإعجاب، أكبر من معظم الردهات وأكثر عتمة. يهيمن عليها ثمانية تماثيل ضخمة لمينوتورات، يبلغ ارتفاع

كل منها تسعة أمتار تقريبًا. تَلوح فوق الرصيف فتُظلم الردهةَ بضخامتها، قرونها الهائلة تشقّ الهواء الخاوي، تعابيرها الحيوانية مهيبة، ملغزة.

حرارة الردهة الأولى مختلفة عن حرارة القاعات المحيطة. إنها أبرد بعدة درجات وفيها تيار يهب من مكان ما، حاملًا معه رائحة مطر ومعدن ووقود. لقد لاحظت هذا عدة مرات من قبل، لكن يبدو أنني بطريقة ما لا ألبث حتى أنسى ذلك بعدها. اليوم ركّزت انتباهي على الرائحة. لم تكن سارّةً ولا بغيضة، لكنها مثيرة لأشدّ الاهتمام. تبعتُ طريقها. مضيتُ بمحاذاة الجدار الجنوبي للردهة حتى وصلتُ إلى المينوتورَين اللذين يحيطان بالزاوية الجنوبية الشرقية من جانبيها. هنا لاحظتُ شيئًا. كانت الظلال بين التمثالين تصنع نوعًا من الخداع البصري. كدت أستطيع أن أتخيل أنها تمتد إلى الخلف مسافة طويلة وأنني في الحقيقة أحدق إلى داخل ممر يقود إلى نقطة نائية فيها رقعة من الضوء الضبابي. رقعة الضوء هذه كانت تحتوي على أضواء أخرى بدت تومض وتتحرك. من هناك بدا أن التيار والرائحة ينبعثان كلاهما. كان بوسعي سماع أصوات واهية – نوع من الذبذبة وضوضاء مندفعة، مثل الأمواج إنما أقلّ انتظامًا.

فجأةً سمعتُ وقع أقدام، تبعها صوتٌ، عالٍ وساخط: «... ليس ما وُظّفتُ كي أفعله وقلت له: "لا بد أنك تمزح. لا بد أنك تمزح وحق اللعنة يا صاحبي"».

قال صوتٌ آخر أكثر كآبة: «الناس لا يستحون. أعني ما يجول في رؤوسهم عندما...». تلاشى وقع الأقدام.

ارتددتُ قافزًا من أمام الزاوية الجنوبية الشرقية كالملسوع.

ما الذي حدث للتو؟ بحذر، اقتربت من التمثالين مجددًا واختلست النظر من بينهما. لم يبدُ في الظلال الآن ما يميزها. استطعت أن أفهم نوعًا ما كيف قد توحي بشكلِ ممرّ، لكن كان هذا كل شيء. راح التيار البارد يلعب حول كاحليّ وظللت أستطيع أن أشم رائحة مطر ومعدن ووقود، بيد أن الأضواء والضوضاء كانت قد اختفت.

بينما وقفت أفكر في هذه الأشياء، ألقى الهواءُ أربعة أكياس شيبس قديمة على طول الرصيف، واحدًا تلو الآخر. ندّ عني صوتٌ ممتعض؛ هذه مشكلة كنت أظنني تعاملتُ معها. ذات زمان كنت أظل أعثر على أكياس شيبس تتناثر في أنحاء الردهة الأولى. كنت أعثر أيضًا على أكياس أصابع سمك وأغلفة معجنات سجق قديمة. أجمعها وأحرقها حتى لا تُفسد جمال البيت. (لا أعرف من هذا الذي يأكل كل الشيبس وأصابع السمك ومعجنات السجق، لكنني لا أستطيع إلا أن أتمنى لو أنه أو أنها أكثر ترتيبًا!). عثرت أيضًا على كيس نوم تحت المنحنى الرخامي للسلّم. كان متّسخًا جدًا وشنيعَ الرائحة، لكنني غسلته بحرص وهو يخدمني خيرَ خدمة.

ركضت خلف أكياس الشيبس الأربعة والتقطتها. كيس الشيبس الرابع لم يكن كيسَ شيبس على الإطلاق. كان ورقة مكرمشة. سوّيتُها. وجدت ما يلي مكتوبًا عليها:

كل ما أطلب منك فعله هو أن تصف لي الطريق إلى التمثال الذي كنت تحكي لي عنه – ذلك الذي يصور ثعلبًا متقدمًا في السن يعلّم

سناجبَ صغيرة ومخلوقات أخرى. أود أن أراه بنفسي. هذه المهمة ليست صعبة ولا بد أنها ضمن مقدرتك. اكتب وصفَ الطريق في المساحة أدناه. لقد تركتُ قلمًا جافًا بجانب غدائك.

كُلْه قبل أن يبرد - الغداء، لا القلم.

لورنس

ملحوظة: أرجوك حاول أن تتذكر تناوُلَ متعدد الفيتامينات خاصتك.

تحت نص الرسالة كانت توجد مساحة فارغة كبيرة ليكتب المرسَل إليه فيها لكنها ما تزال فارغة، استنتجتُ أنه، أو أنها، لم يُعطِ الكاتبَ المعلومات التي طلبها.

كنت لأودّ أن أحتفظ بالورقة. إنها دليل على اثنين من الناس الذين عاشوا: أولًا، شخص يدعى لورنس، وثانيًا، شخص كتب لورنس إليه ووفّر له غداءه ومتعددَ الفيتامينات خاصته. لكن من يكونان؟ تفكّرتُ ونبذتُ على الفور احتمال أن يكون أيٌّ منهما 16. الآخر قال إن 16 لا يعرف الطريق إلى هنا ومن الواضح أن لورنس وصديقه كليهما كانا يألفان هذه القاعات ذات زمان. من الممكن جدًا أن يكون الشخصان ينتميان إلى موتاي. لكن ثمة احتمال آخر: أن يكونا من سكّان القاعات النائية البعيدة. إن كان لورنس ما يزال حيًا وينتظر المعلومات بخصوص التمثال، فمن الخاطئ أن آخذ الورقة.

أخرجتُ قلمي وكتبت ما يلي في المساحة الخالية.

عزيزي لورنس

تمثال الثعلب الكلبيّ الذي يعلّم سنجابين واثنين من الساطير موجود في القاعة الغربية الرابعة. من هذا المكان اعبر البابَ الغربي. في القاعة التالية اعبر الباب الثالث على اليمين. سوف تكون في القاعة الشمالية الغربية الأولى. اتبع الجدار الجنوبي (على يدك اليسرى) ومجددًا اسلك ثالث بابٍ تصل إليه. سوف تجد نفسك في ممر توجد عند نهايته القاعةُ الغربية الرابعة. التمثال في الزاوية الشمالية الغربية. إنه أحد التماثيل المفضلة لديّ أنا أيضًا!

1 - إن كنتَ حيًّا آملُ أن تجد هذه الرسالة وأن تفيدك المعلومات التي قدمتُها. لعلنا نلتقي ذات يوم. يمكنك أن تجدني في أيٍّ من القاعات الواقعة إلى الشمال والغرب والجنوب من هنا. القاعات الواقعة شرقًا متداعية.

2- إن كنتَ واحدًا من موتاي (وإن مرّت روحك عبر هذه الردهة وقرأتْ هذه الورقة) آملُ أنك تعرف أساسًا أنني أزور مشكاتك أو قاعدتك بانتظام كي أكلّمك وأجلب لك القرابين من الطعام والشراب.

3- إن كنت ميتًا -لكن لست من موتاي- فأرجوك أن تعرف أنني أطوّف في أنحاء العالم وأصقاعه. إن حدث يومًا ووجدتُ رفاتك سوف أجلب لك قرابين من الطعام والشراب. إن بدا لي أنه

لا أحد من الأحياء يعتني بك سوف أجمع عظامك وآتي بها إلى قاعاتي أنا. سوف أضعك في حالة جيدة وأُرقدك مع موتاي. حينها لن تكون وحيدًا.

ليحفظنا البيت كلينا بجماله.

صديقك

وضعتُ الورقة عند قدم أحد المينوتورات -الأقرب إلى الزاوية الجنوبية الشرقية من الردهة- وثبّتُّها بحصاة صغيرة.

القسم الثالث

النّبــيّ

النبي

مادةُ اليومِ العشرين من الشهر السابع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

من نوافذ القاعة الشمالية الشرقية الأولى هبطَت أشعةٌ هائلة من الضوء. داخل شعاع منها كان يقف رجل ويُدير ظهره إليّ. كان ساكنًا بالكامل. يَشخص محدّقًا في جدار التماثيل.

لم يكن الآخر. إنه أنحل، وليس لقامته الطول نفسه.

!16

كنت قد حللت عليه فجأة. دخلتُ من أحد الأبواب الغربية فإذا به هناك.

استدار ينظر إلي. لم يتحرك. لم يقل شيئًا.

لم أهرب مبتعدًا. بل اقتربت منه. (لعلني أخطأت بفعل ذلك، لكن الوقت كان قد فات على الاختباء، فات على الوفاء بوعدي للآخَر).

رحت أسير حوله ببطء، أستوعبه. كان شيخًا. بشرته جافة لها قوام الورق، والعروق ثخينة ومتكتلة في يديه. عيناه كبيرتان وداكنتان ورقراقتان، تعلوهما بصورة بديعةٍ طيّتان من الجلد تحت حاجبين مقوّسين. فمه طويل ومتقلّب، أحمر ورطب على نحو غريب. كان يرتدي بدلةً بنقشةِ مربعاتِ أمير ويلز. لا بد أنه نحيل منذ زمن طويل لأن البدلة، رغم كونها قديمة، تناسب مقاسه بالضبط – أي أنها مكرمشة ومترهلة لأن القماش قديم ومهترئ، لا لخطأ في تفصيلها.

شعرت بخيبة مستغرَبة؛ كنت قد تخيلت أن 16 سيكون شابًا مثلي.

«مرحبًا»، قلت. كان يعتريني فضول لسماع كيف يبدو صوته.

«طاب نهارك»، قال: «بما أنني أظننا في الأصيل. أنا لا أعلم أبدًا». كانت له طريقة متكبّرةٌ ممطوطةُ اللكنةِ قديمةُ الطراز في الكلام.

«أنت 16»، قلت: «أنت الشخص السادس عشر».

«لست أفهمك أيها الشاب»، قال.

«يوجد في العالم حيّان اثنان وموتى ثلاثة عشر والآن أنت»، فسّرت له.

«موتى ثلاثة عشر؟ كم هذا فاتن! لم يسبق أن أخبرني أحد بوجود رُفاتٍ بشريٍّ هنا. من هم، يا ترى؟».

وصفت له رجل علبة البسكويت، ورجل جلد السمك، والشخص المستتر، وأهل الفجوة، والطفلة المضمومة.

«أتعلم؟ إنه لأمرٌ في غاية العجب»، قال: «لكنني أتذكر علبة البسكويت تلك. كانت في ما سبق موضوعة على طاولة صغيرة بجانب الأكواب في زاوية مكتبي بالجامعة. أتساءل كيف وصلتْ إلى هنا؟ حسنًا، بوسعي أن أخبرك بهذا. أحد موتاك الثلاثة عشر هو، في ما لا يكاد يقبل الشك، ذلك الفتى الإيطالي الجذاب الذي كان ستان أوفندن مولعًا جدًا به. ماذا كان اسمه؟». أشاح بوجهه، فكّر لحظة، رفع كتفيه. «لا، غاب عن بالي. وأتخيل أن ميتًا آخر هو أوفندن نفسه. كان لا ينفك يأتي إلى هنا ليرى الإيطالي. قلت له إنه يجلب المتاعب لنفسه، لكنه ما كان يصغي. أنت تعرف، الذنب وما إلى هنالك. ولن يفاجئني أن تكون من بين بقية الموتى سيلفيا داغوستينو. لم أسمع شيئًا عنها بعد أوائل التسعينيات. أما بالنسبة إلى مسألة من أكون أنا، أيها الشاب، فبوسعي أن أرى كيف لك أن تستنتج أنني "16". لكنني لست هو. على كلٍّ ما في هذا المكان من سحر...»، ألقى نظرة في الأنحاء، «... أنا لا أنوي البقاء. إنني أعبُر وحسب. أحدهم أخبرني أنك هنا. كلا»، صوّب نفسه، «هذا ليس صحيحًا تمامًا. أحدهم أخبرني بما يظن أنه حدث لك و*أنا* استنتجت أنك هنا. هذا الشخص أراني صورة لك، وبما أنك بدوت لا تَعدم الجاذبية كما هو واضح، قلت لنفسي أن آتي وألقي نظرة عليك. يسرني أنني فعلت. لا بد أنك كنت تستأهل النظر إليك بحقٍّ قبل، تعرف... قبل أن يحدث كل شيء. آه، حسنًا! الشيخوخة حدثت لي. وهذا حدث لك. والآن انظر إلينا! لكن بالعودة إلى موضوع حديثنا. أنت ذكرت شخصين اثنين حيَّين. أظنّ أن الآخر هو كِترلي؟».

- كترلي؟

- فال كترلي. أطول قامة منك. داكن الشعر والعينين. لحية. إهاب داكن. أمه كانت إسبانية، كما ترى.

«تقصد الآخَر؟»، قلت.

- أيّ آخر؟

- الآخر. الذي ليس أنا.

«ها! أجل! أفهم قصدك. يا له من اسم ممتاز له! الآخر. أيًّا يكن الموقف فهو ليس سوى "الآخر". دائمًا ما تكون الأسبقية لغيره. دائمًا ما يكون هو صاحب الدور الثانوي. وإنه يعرف ذلك. الأمر يقضّ مضجعه. لقد كان أحد طلابي، كما تعلم. أوه، أجل. دجّالٌ تمامًا، بالطبع. على الرغم من أبّهة أسلوب المفكرين والتحديقة الداكنة الثاقبة، هو لا يملك خاطرة واحدة مبتكَرة في رأسه. كل أفكاره مستعملة»، سكت لحظة ثم أردف: «في الواقع كل أفكاره لي. أنا كنت أعظم الباحثين في جيلي. ربما في كل الأجيال. أنا الذي وضعت نظرية تقول بوجودِ...»، فتح يديه في إشارة أريدَ منها أن تدل على القاعة، البيت، كل شيء: «... هذا. وقد ثبتت صحتها. وضعت نظرية تقول بوجود طريق للوصول إلى هنا. وهذه ثبتت صحتها أيضًا. وجئت إلى هنا وأرسلت آخرين إلى هنا. أبقيت كل شيء طيَّ الكتمان. وجعلت الآخرين يقسمون على التكتم هم أيضًا. لم يكن لي يومًا اهتمام يُذكر

بما قد تسميه الأخلاقيات، لكنني رفضت تجاوز الحد واستجلاب انهيار الحضارة. ربما كان هذا خطأً. لا أعلم. لدي بالفعل مسحة عاطفية إلى حد ما».

ثبّت عينًا لامعة خبيثة تعلوها طية من الجلد عليّ.

«جميعنا دفعنا ثمنًا مريعًا في النهاية. الثمن الذي دفعته أنا كان السجن. أوه، أجل. هذا يصدمك، كما أتخيل. أتمنى لو بوسعي أن أقول إن الأمر برمته كان ناتجًا عن سوء فهم، لكنني فعلت كل ما قالوا إنني فعلته. كي أكون صادقًا تمامًا، أنا فعلت أشياء أكثر بكثير لم يعلموا بشأنها قط. غير أن السجن -هل تعلم؟- راقني إلى حد ما. الواحد التقى بأناس فاتنين». سكتَ لحظة. «هل أخبرَك كترلي كيف صُنع هذا العالَم؟»، سألني.

- كلا يا سيدي.

- أتودّ أن تعرف؟

«جدًا يا سيدي»، قلت.

بدا مغتبطًا باهتمامي. «إذًا سوف أخبرك. بدأ الأمر حين كنتُ صغيرًا، كما ترى. كنت دائمًا أشدَّ ذكاءً بكثير من أقراني. أولّ استبصاراتي العظيمة حدث حين أدركتُ مقدار ما خسرَه النوع البشري. ذات زمان، كان الرجال والنساء يمتلكون القدرة على تحويل أنفسهم إلى عقبان والطيران مسافاتٍ شاسعة. كانوا يتواصلون مع الأنهار

والجبال ويتلقّون الحكمة منها. يحسّون بتحوّلات النجوم داخل عقولهم. أبناء جيلي لم يفهموا هذا. كلهم كانوا متيّمين بفكرة التقدم ويؤمنون أن كل جديد لا بد أن يفوق القديم. كأن الجدارة عامل مقترن بالتسلسل الزمني! لكن بدا لي أن حكمة الأوّلين لا يمكن أن تكون اختفت ببساطة. لا شيء يختفي ببساطة. هذا غير ممكن في الواقع. تصوّرتُها نوعًا من الطاقة يتدفق من العالَم، ورأيت أن هذه الطاقة لا بد تذهب إلى مكان ما. حينئذ أدركت أنه لا بد من وجود أماكن أخرى، عوالم أخرى. لذا عقدتُ عزمي على إيجاد هذه العوالم».

«وهل وجدت أيًا منها يا سيدي؟»، سألته.

«أجل. وجدت هذا. هذا ما أسمّيه "عالَم فرعيّ" – لقد خُلق من الأفكار المتدفقة من عالم آخر. ما كان لهذا العالم أن يوجد لو لم يوجد ذلك العالم الآخر أوّلًا. أما إذا ما كان هذا العالم ما يزال تابعًا لاستمرارية وجود العالم الأول، فهذا ما لا أعرفه. كل هذا موجود في الكتاب الذي كتبتُه. لا أظن أنه صادف أن قرأته؟».

– كلا يا سيدي.

– مؤسف. إنه جيد إلى حد رهيب. سوف يعجبك.

طيلة الوقت الذي كان الشيخ يتكلم فيه، كنت أصغي بانتباه كبير وأحاول أن أفهم من يكون. لقد قال إنه ليس 16، لكنني لم أبلغ من السذاجة أن أصدّقه دون المزيد من الأدلة. الآخر قال إن 16 خبيث، لذا من الممكن لـ 16 أن يكذب بشأن هويته. لكن فيما أخذ

الشيخ يتحدث، ازددت يقينًا أكثر فأكثر من أنه يقول الحقيقة. إنه ليس 16. كان استدلالي كما يلي: لقد وصف الآخر 16 بأنه يعارض المنطق والاكتشاف العلمي. هذا الوصف لم ينطبق على الشيخ. الشيخ كان شغوفًا بالعلم مثلنا. كان يعرف كيف صُنع العالَم ويتوق إلى نقل تلك المعرفة إليّ.

«قل لي»، قال: «أما زال كترلي يظن أن حكمة الأولين موجودة هنا؟».

– هل تقصد المعرفة العظيمة والسرية يا سيدي؟

– بالضبط هذه.

– أجل.

– وهل ما زال يبحث عنها؟

– أجل.

«كم هذا طريف»، قال: «لن يجدها أبدًا. إنها ليست هنا. إنها غير موجودة».

«كنتُ قد بدأت أتساءل إذا ما كان هذا هو واقع الأمر»، قلت.

«إذًا فأنت أذكى منه بقدر معتبر. فكرةُ أنها مخبوءة هنا... يؤسفني أنه أخذ هذه أيضًا مني أنا. قبل أن أرى هذا العالم، كنت أظن أن المعرفة التي خلقَته ستكون ما تزال بطريقة ما موجودة هنا، ملقاة في

مكان ما، جاهزةً كي تُلتقَط وتؤخذ. بالطبع، حالما وصلتُ إلى هنا، أدركت مدى سخف ذلك. تخيّلْ ماءً يتدفق تحت الأرض. إنه يتدفق عبر الصدوع نفسها سنة تلو سنة ويحتّ الحجرَ شيئًا فشيئًا. بعد ذلك بآلاف الأعوام سيكون لديك نظام كهفيّ. غير أنّ ما لن يكون لديك هو الماء الذي أحدثَه في الأصل. هذا سيكون اختفى منذ زمن. غارَ في الأرض. الأمر نفسه هنا. لكنّ كترلي متضخّمُ الأنا. إنه يفكر دائمًا بما يتوافق مع المنفعة. لا يستطيع أن يتخيل سببًا لوجود أي شيء ما لم يكن يستطيع الانتفاع به».

«ألهذا السبب توجد تماثيل؟»، سألته.

- لأيّ سبب توجد تماثيل؟

- هل التماثيل موجودة لأنها تجسد الأفكار والمعرفة التي تدفقت من العالم الآخر إلى هذا العالم؟

«أوه! لم يسبق قط أن فكرتُ في هذا!»، قال مسرورًا: «يا لها من ملاحظة ذكية. أجل، أجل! أظن أن هذا محتمل بشدة! ربما، في منطقة قصية ما من المتاهة، ثمة تماثيل لحواسيب عتيقة الطراز تتكوّن الآن فيما نحن نتكلم!». سكت قليلًا. «عليّ ألّا أطيل البقاء. أنا أعي جيدًا عواقبَ التلبُّث في هذا المكان: فقدان الذاكرة، الانهيار العقلي الكامل، إلى آخره، إلى آخره. لكن لا بد لي أن أقول إنك أنت متّزن على نحو مفاجئ. المسكين جيمس ريتر كان بالكاد يستطيع تكوين جملة في نهاية الأمر، وهو لم يبقَ هنا نصف المدة التي لك أنت. كلا، ما جئت إلى هنا

كي أقوله لك حقًا هو هذا». لفّ يدي بيده الباردة بارزة العظام ورقيّة القوام، ثمّ شدّني إليه بحركة حادة. كانت تنبعث منه رائحة ورق وحبر، رائحة عطر مقاديره موزونة من البنفسج واليانسون، وتحت هذه الروائح، أثرٌ واهٍ لكن لا يتوه لشيء غير نظيف، يكاد يكون برازيًّا. «ثمة من يبحث عنك»، قال.

«16؟»، سألته.

- ذكّرني بما تقصده بهذا.

- الشخص السادس عشر.

أمال رأسه جانبًا كي يفكر. «أجل... أجل. لمَ لا؟ لنقل إنه، بالفعل، "16"».

«لكنني كنت أظن أن 16 يبحث عن الآخر»، قلت: «16 هو عدوّ الآخر. هذا ما قاله الآخر».

«الآخر...؟ آه، أجل، كترلي! لا، لا! 16 لا يبحث عن كترلي. أرأيت ماذا قصدتُ حين قلت عنه أنه متضخم الأنا؟ يظن أن كل شيء متعلق به. كلا، أنت من يبحث 16 عنه. لقد سألني 16 كيف يجدك. والآن، مع أنني لا أملك رغبة على وجه الخصوص في إلزام 16... لا أملك رغبة على وجه الخصوص في إلزام أي أحد... أنا أؤيد بشدة أن يُصنع مقلبٌ بكترلي. إنني أكرهه. لقد قضى السنوات الخمس والعشرين الأخيرة يشوّه سمعتي أمام كل من يُلقي إليه أذنًا

صاغية. لذا سوف أعطي 16 وصفًا وافرًا لطريق الوصول إلى هنا. توجيهات دقيقة».

«سيدي، أرجوك لا تفعل هذا»، قلت: «الآخر يقول إن 16 شخص خبيث».

«خبيث؟ ما كنت لأقول هذا. ليس أكثر من معظم الناس. كلا، أنا آسف، لكن عليّ ببساطة أن أدلّ 16 على الطريق. أريد أن أُحدث بلبلةً وما من طريقة أفضل لفعل ذلك من إرسال 16 إلى هنا. بالطبع، هناك دائمًا احتمال قائم -احتمال قوي جدًا في الواقع- بألّا يصل 16 إلى هنا أبدًا. قلة قليلة من الناس هم من يستطيعون المجيء إلى هنا دون أن يدلّهم أحد على الطريق. في الحقيقة، الشخص الوحيد الذي أعرفه واستطاع أن يفعل ذلك -باستثنائي أنا نفسي- كان سيلفيا داغوستينو. لقد بدت تملك موهبة في الانسلال، إن كنت تفهم ما أقوله. كترلي كان سيئًا للغاية في ذلك، حتى بعد أن دللتُه مراتٍ عديدة. لم يستطع قط الوصول إلى هنا دون معدّات - شموع وأعمدة تمثّل بابًا وطقس شعائريّ وما إلى هنالك من هراء. حسنًا، أنت رأيت كل هذا حين أحضرَك إلى هنا، كما أفترض. أما سيلفيا في المقابل فكانت تستطيع أن تنسلّ ببساطة في أي لحظة. تكون تنظر إليها فإذا بها اختفت. بعض الحيوانات يملك هذه البراعة. القطط. الطيور. ولقد كان لديّ قرد كبوشي في أوائل الثمانينيات يستطيع العثور على الطريق في أي وقت. سوف أدل 16 على الطريق وبعد ذلك يتوقف الأمر كله على ما يتمتع به 16 من موهبة. ما يَلزمك أن تتذكره هو أن

كترلي يخاف من 16. كلما اقترب 16 ازدادت خطورة كترلي. في الحقيقة لا ينبغي أن أتفاجأ على الإطلاق إن لجأ إلى شكل من أشكال العنف. لعلك قد ترغب أن تدفع الخطر عن طريق قتله أو شيء ما»، (برزت لكنتُه الممطوطة في جملته هذه). ابتسمَ لي. «أنا ذاهب الآن»، قال: «لن نلتقي من جديد».

«إذًا، يا سيدي، فلتكن السلامة رفيقة دروبك»، قلت: «وليَلزم الثباتُ الأرضياتِ التي تطؤها، وليملأ لك البيتُ عينيك بالجمال».

ظلَّ صامتًا لحظة. بدا يتأمل وجهي، وفيما هو يفعل ذلك، خطرت له خاطرة أخيرة. «تعلم أنني لا آسف على رفضي لرؤيتك حينما طلبتَ مني من قبل. تلك الرسالة التي كتبتها إلي. خلتُ أنك بدوت لي حفنةَ خراءٍ متغطرسة. لعلك كنت كذلك حينذاك. لكن الآن... ساحر. ساحر بحقّ».

التقط معطفًا مَطريًا كان مكوَّمًا على الرصيف. ثم سار في مشية غير متعجلة إلى الباب المفضي إلى القاعة الشرقية الثانية.

أتفكّرُ في كلمات النبي

مادةُ اليومِ الحادي والعشرين من الشهر السابع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

بطبيعة الحال كنت متحمسًا جدًا بخصوص هذا اللقاء غير المتوقع. ذهبت على الفور وأخذت دفتر اليوميات هذا ودوّنت كل

شيء. عنونتُ المادة *النبي*، لأن هذا ما لا بد أنه كانه. لقد شرح خَلْقَ العالم وأخبرني بأشياء أخرى لا يمكن إلا لنبيٍّ أن يعرفها.

أخذتُ وقتًا كي أدرس كلماته بعناية. كان ثمة قدر كبير لم أفهمه، إلا أن هذا، كما أتوقع، أمر معتاد في ما يتعلق بالأنبياء، لأن عقولهم عظيمة جدًا وأفكارهم تسلك مسالكَ غريبة.

أنا لا أنوي البقاء. إنني أعبُر وحسب.

مِن هذا فهمت أنه يسكن القاعات النائية البعيدة وينوي أن يرجع إلى هناك على الفور.

بوسعي أن أرى كيف لك أن تستنتج أنني "16". لكنني لست هو.

كان قراري قد قرَّ أصلًا على أن هذه الإفادة صحيحة. لعل النبي (وهذا افتراض وُضع بِحُرية) يعتقد أن الأشخاص الخمسة عشر الذين يسكنون قاعاتي ينبغي احتسابهم مجموعةً واحدةً من الناس، فيما تعيش في القاعات النائية البعيدة مجموعةٌ أخرى ويَحسن احتسابه واحدًا منها. لعله يكون، بين أناسه هو، الشخصَ الثالث أو العاشر. بل لعله يكون رقمًا مرتفعًا إلى حدٍّ يصيب بالدوار، مثل الشخص الخامس والسبعين!

لكنني أستطرد في ما هو خيالي بالتأكيد.

جئت إلى هنا وأرسلت آخرين إلى هنا.

أيكون النبي هو من أرسل بعضًا من موتاي أنا إلى هذه القاعات؟ رجل جلد السمك أو الطفلة المضمومة؟ هذا محض تخمين. مثل الكثير من الإفادات التي قدمها النبي، يظل هذا، في الوقت الحاضر، مستغلقًا.

جميعنا دفعنا ثمنًا مريعًا في النهاية. الثمن الذي دفعته أنا كان السجن.

لم أستطع استبانةَ شيءٍ من هذا.

... ذلك الفتى الإيطالي الجذاب... ستان أوفندن... سيلفيا داغوستينو... المسكين جيمس ريتر...

ذكر النبي أربعة أسماء. أو، تحريًا لمزيد من الدقة، ثلاثة أسماء وتسمية ("ذلك الفتى الإيطالي الجذاب"). كانت هذه إضافة عظيمة إلى معرفتي بالعالَم. لو لم يقل النبي أكثر من هذا، لظلّت كلماته لا تُقدَّر بثمن. أشار النبي إلى أن ثلاثة من الأسماء ترجع إلى الموتى (ستان أوفندن، وسيلفيا داغوستينو، و"ذلك الفتى الإيطالي الجذاب"). وضعُ "المسكين جيمس ريتر" كان غير واضح لي. هل قصد النبي أنه ينبغي احتسابه من الموتى أيضًا؟ أم هو واحد من أناسِ النبي في القاعات النائية البعيدة؟ لم أستطع الجزم.

الكثير من الأسئلة! الكثير من الأمور التي تمنيت لو أنني سألته عنها. لكنني لم أؤنب نفسي. لقد كان ظهوره مفاجئًا جدًا. لم أكن

متجهزًا له على الإطلاق. الآن وحسب، في العزلة والهدوء، أمكنني أن أعالج المعلومات التي أعطاني إياها.

... أما زال كترلي يظن أن حكمة الأولين موجودة هنا؟... لن يجدها أبدًا. إنها ليست هنا. إنها غير موجودة.

أبهجني أن أحصل على هذا التأكيد على أنني كنت محقًا. لعل هذا زهوٌ مني بعض الشيء، لكني لم أتمالك نفسي. أما النتائج المترتبة عن هذا على عملي وتعاوني المستقبلي مع الآخر، فما يزال عليّ أن أتخذ قرارًا بشأنها.

كان واضحًا من عدة أمور قالها النبي أنه هو والآخر عرفَ واحدُهم الثاني ذات زمان. النبي دعا الآخر "كترلي" وقال إنه طالبُه. بيد أن الآخر لم يسبق أن تكلم عن النبي قط. لقد حدثته في عدة مناسبات عن الأشخاص الخمسة عشر الذين يحتوي عليهم العالَم، لكنه لم يقل لي مرةً: "خمسة عشر رقمٌ غير صحيح! أنا أعلم بوجودِ واحدٍ بعد!". وهذا غريب (خاصةً إن أخذنا بعين الاعتبار كم يروقه أن يفنّد كلامي كلما سنحت له الفرصة). غير أن الآخر لم يسبق قط أن كان مهتمًا بتحديد عدد الناس الذين عاشوا. إن هذا واحد من المجالات التي تتفارق عندها اهتماماتُنا العلمية.

كلما اقترب 16 ازدادت خطورة كترلي.

لم أعلم قط أن الآخر يُبدي أدنى استعداد للعنف.

لعلك قد ترغب أن تدفع الخطر عن طريق قتله أو شيء ما.

النبي، في المقابل، كان شخصًا عنيفًا بوضوح.

تعلم أنني لا آسف على رفضي لرؤيتك حينما طلبتَ مني من قبل. تلك الرسالة التي كتبتها إلي. خلتُ أنك بدوت لي حفنةَ خراءٍ متغطرسة. لعلك كنت كذلك حينذاك.

هذا كان أكثرَ ما نطق به النبي إثارةً للحيرة. أنا لم أكتب له رسالة قط. كيف لي أن أفعل وأنا لم أكتشف وجوده إلا البارحة؟ لعل أحدًا من الموتى كتب له رسالة -ستان أوفندن أو المسكين جيمس ريتر- والنبي خلط بيني وبين ذلك الشخص. أو لعل إدراك الأنبياء للزمن يختلف عن إدراك الناس الآخرين. لعلني سوف أكتب له رسالة في المستقبل.

الآخر يصف الظروف التي سوف يكون من الصائب قتلي في ظلها

مادةُ اليومِ الرابع والعشرين من الشهر السابع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

بطبيعة الحال كنت متلهفًا إلى إخبار الآخر عن لقائي بالنبي. من الضروري جدًا أن يعلم في أسرع ما يمكن بنيّةِ النبي أن يدل 16 على الطريق إلى قاعاتنا. بين الجمعة (اليوم الذي التقيت فيه بالنبي) وبين

هذا اليوم (اليوم الذي يحين فيه موعد لقائي بالآخر) بحثتُ في كل مكان عن الآخر، لكنني لم أجده.

هذا الصباح دخلت إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية. كان الآخر هناك قبلي ورأيت على الفور أنه في حالة من الهياج. يداه مقحمتان في جيبيه، يذرع المكان جيئة وذهابًا ووجهه مُدلهمٌّ من الغضب المكبوت.

«لدي شيء مهم أخبرك به»، قلت.

صنع حركة بيده يدفع بها ما تلفّظتُ به. «سيتوجب أن ينتظر»، قال: «أحتاج أن أكلمك. ثمة شيء لم أخبرك به عن 22».

«من؟»، قلت.

«عدوّي»، قال الآخر: «ذاك القادم إلى هنا».

«تقصد 16؟».

سكتة.

«أوه، أجل. صحيح. 16. لا أستطيع إلا أن أخلط بينها، تلك الأسماء العجيبة التي تطلقها على الأشياء. حسنًا، ثمة شيء لم أخبرك به عن 16. أنت الشخص الذي يهتم 16 به في الحقيقة».

«أجل!»، هتفت: «من الغريب بما فيه الكفاية أنني أعرف بالفعل. كما ترى...».

إلا أن الآخر قاطعني. «إن جاء 16 إلى هنا»، قال: «وقد بدأتُ الآن أظن أن هذا احتمال حقيقي – فستكون أنت من يبحث 16 عنه».

«أجل، أعرف. لكن...».

هز الآخر رأسه. «بيرانيسي! أصغِ إلي! سوف يريد 16 أن يقول لك أشياء – أشياء لن تفهمها، لكن إن سمحتَ بحدوث هذا، إن سمحت لـ 16 أن يكلمك، سيكون لتلك الكلمات أثر مريع. إن استمعت إلى ما يقوله 16 ستكون العواقب رهيبة. جنون. رعب. لقد سبق ورأيتُ هذا يحدث. بوسع 16 أن يفكك أفكارك بمجرد التحدث إليك. بوسع 16 أن يجعلك تشك بكل شيء تراه. بوسع 16 أن يجعلك تشك بي *أنا*».

ارتعبت. هذا مستوًى من الخباثة لم أتخيله قط. إنه أمر مخيف. «كيف أستطيع أن أحمي نفسي؟»، سألته.

«من خلال فعل ما سبق وقلته لك. من خلال الاختباء. من خلال عدم ترك 16 يراك. والأهم من كل ذلك، من خلال عدم الاستماع إلى كلمات 16. لا أبالغ مهما شدّدتُ على الضرورة القصوى لهذا. يجب عليك أن تفهم أنك ضعيف بوجه خاص أمام هذا... هذه القوة التي يمتلكها 16، لأنك أساسًا غير متّزن عقليًا».

«غير متزن عقليًا؟»، قلت: «ما قصدك؟».

عبرَت وجهَ الآخر ومضةُ انزعاج. «أخبرتك»، قال: «أنت تنسى أشياء. أنت تكرر كلامك. لقد تحدثنا في هذا قبل أسبوع. لا تقل لي إنك نسيت بهذه السرعة».

«كلا، كلا»، قلت: «لم أنسَ». سألت نفسي أأخبره بنظريتي التي تقول بأنه هو، لا أنا، الذي ذاكرته غير صائبة، لكن، لانشغالنا بهذا الأمر وذاك، لم يبدُ أن الوقت مناسب.

«حسنًا إذًا»، قال الآخر. تنهّد. «هناك المزيد. ثمة شيء آخر أحتاج أن أقوله وأريدك أن تفهم أن هذا مؤلم لي بقدر ما هو مؤلم لك. إن بلغني أنك استمعت إلى 16 وأن 16 لوّثَ لك عقلك بهذا الجنون، سيعرّضني ذلك للخطر. ترى هذا، أليس كذلك؟ ثمة خطر من أنك قد تهاجمني. في الحقيقة من الوارد جدًا أن تفعل. مما لا يكاد يقبل الشك أن 16 سيحاول التلاعب بك كي تؤذيني».

- أوذيك؟

- أجل.

- كم هذا رهيب.

- جدًا. ثم هنالك أيضًا مسألةُ كرامتك بوصفك كائنًا بشريًا. سوف تكون في هذه الحالة المنحطّة المجنونة. سيكون ذلك مُذلًّا لك غاية الإذلال. لا أستطيع تخيُّل أنك سترغب في المتابعة على هذا الحال، أليس كذلك؟».

«بلى»، قلت: «كلا، لا أظنني سأفعل».

«حسنًا»، قال وأخذ نفسًا عميقًا: «في ظل تلك الظروف، إن وجدتُ أنك جُننت، أظن أن الأفضل أن أقتلك. لمصلحتنا كلينا».

«أوه!»، قلت. كان هذا غير متوقع بتاتًا.

ساد صمتٌ قصير.

«لكن لعلني، إن مُنحت الوقت والمساعدة، قد أتعافى؟»، اقترحت.

«هذا ليس واردًا»، قال الآخر: «وعلى كل حال أنا حقًا لن أستطيع أن أجازف».

«أوه»، قلت.

ساد صمتٌ أطول.

«كيف ستقتلني؟»، سألته.

«لستَ ترغب أن تعرف هذا»، قال.

- كلا. لا أعتقد ذلك.

- لا تفكر هكذا يا بيرانيسي. افعل ما قلته لك. تجنب 16 مهما كان الثمن، وحينها لن نواجه مشكلة.

«لماذا لم تُصَب أنت بالجنون؟»، سألته.

- ماذا؟

- أنت تحدثت إلى 16. لماذا لم تصب بالجنون؟

«سبق وأخبرتك. لدي طرائق معينة لحماية نفسي. أضف إلى ذلك»، قال يزمّ فمه على نحو كئيب: «ليس الأمر أنني منيع كامل المناعة. إنني، يعلم الله، أشعر أني نصف مجنون مع كل ما يحدث هذه اللحظة».

خيّم علينا الصمت من جديد. كنا كلانا في حالة صدمة، كما أظن. ثم اجترح الآخر ابتسامةً مرغَمةً بعض الشيء وبذل جهدًا ليَظهر طبيعيًا أكثر. باغتَته فكرة. «كيف عرفت؟»، سألني.

«ماذا؟»، قلت.

«ظننتك قلت... بدا أنك تقول إنك تعرف أصلًا أن 16 يبحث عنك. عنك أنت على وجه التحديد. لكن كيف أمكنك؟ كيف أمكنك أن تعرف هذا؟». استطعت أن أرى من وجهه أنه يحاول استنباط الجواب.

الآن حان الوقت كي أخبره بشأن النبي. وصل ذلك إلى رأس لساني. ترددت. قلت: «وحيٌ حلَّ عليّ. من البيت. أنت تعلم كيف يوحى إليّ هكذا؟».

«أوه. صحيح. ذلك. وما كان ما أردت أن تقوله لي؟ قلت إن لديك شيئًا مهمًا تخبرني إياه».

سكتة قصيرة أخرى.

«لقد رأيتُ أخطبوطًا يسبح في القاعات السفلية التي يوصَل إليها من الردهة الثامنة عشرة»، قلت.

«أوه»، قال الآخر: «حقًا؟ هذا جميل».

«كان جميلًا فعلًا»، وافقت.

أخذ الآخر نفسًا عميقًا. «إذًا! انأَ بنفسك عن 16! ولا يُصبك الجنون!». ابتسمَ لي.

«كن على يقين أنني سوف أنأى بنفسي عن 16»، قلت: «وأنني لن أصاب بالجنون».

صفقني الآخر على كتفي. «ممتاز»، قال.

ردة فعلي على تصريحِ الآخر بأنه، في ظل ظروف معينة، قد يقتلني

مادةُ اليومِ الخامس والعشرين من الشهر السابع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

لقد حالفني الحظ واستطعت الإفلات! كدت أخبر الآخر عن النبي! وعندئذ كان هو (الآخر) ليقول: "لماذا تحدثت إلى شخص غير معلوم وأنت وعدتني أنك لن تفعل؟ ألم يخطر لك أنه قد يكون 16؟".

وبماذا كنت سأجيبه؟ فأنا فعلًا ظننت أنه 16 حين تحدثت إليه. أخللت فعلًا بوعدي للآخَر. ما من عذر لذلك. حمدًا للبيت أنني لم أخبره! على أفضل تقدير كان سيراني شخصًا غير جدير بالثقة. وعلى أسوأ تقدير كان ذلك سيجعله أكثر ميلًا إلى قتلي.

ومع ذلك لا أستطيع إلا أن أفكر أنني، لو كان الوضع معكوسًا وكانت سلامة عقل الآخَر هي المهددة من قبل 16، ما كنت لأعمد إلى قتله بمثل هذه السرعة. بصراحة لا أظن أنني سأريد أن أقتله على الإطلاق – مجرد الفكرة تصيبني بالاشمئزاز. لا شك أنني كنت سأجرب أمورًا أخرى قبل ذلك، مثل إيجاد علاج لجنونه. لكن الآخر يعدم المرونة إلى حدٍّ ما بطبعه. لن أبلغ أن أقول إنها نقيصة، بيد أنها نزعة واضحة.

أغيّرُ مظهري تحسّبًا لمجيء 16

مادةُ اليومِ الأول من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

أنا الآن تمامًا أتمرّن على الاختباء من 16.

تخيّل (أقول لنفسي) *أنك رأيت شخصًا للتو – 16! – في القاعة الجنوبية الشرقية الثالثة والعشرين. والآن اختبئ!*

ثم أركض بسرعة ودون جلبة إلى أحد الجدران وأثب إلى داخل فجوة بين تمثالين. أقحم نفسي فيها وأظلّ ساكنًا صامتًا. البارحة دخلت سقاوةٌ إلى القاعة التي كنت أختبئ فيها، تبحث عن طيور صغيرة تأكلها. راحت تحوم في القاعة وجثمت على تمثال الرجل والصبي اللذين يضعان خريطة للنجوم. ظلت هناك نصف ساعة لكنها لم تنتبه لوجودي.

ثيابي مثالية للتمويه. حين كنت أصغر سنًا كانت قمصاني وبناطيلي بألوان مختلفة: زرقاء، سوداء، بيضاء، رمادية، بنية زيتونية. أحد القمصان كان بلون أحمر كرزي جميل جدًا. لكنها جميعها نصلت إلى مجرد أشباحِ ألوان. باتت جميعها الآن متماثلة بلون رمادي غير مميز، يتماهى مع ألوان التماثيل الرخامية الرمادية والبيضاء.

غير أن شعري مسألة أخرى. مع مرور السنوات، فيما كان يزداد طولًا، أخذتُ أضع فيه أشياء جميلة أعثر عليها أو أصنعها: أصداف، وخرز مرجان، ولؤلؤ، وحصًى صغير، وحسك مثير للاهتمام. العديد من هذه الحلي لامع وله ألوان فاقعة تلفت النظر. جميعها تخشخش حين أمشي أو أركض. لذا أمضيت أصيلًا الأسبوعَ الماضي أنزعها كلها. لم يكن ذلك سهلًا وأحيانًا كان مؤلمًا. خبّأتُ الحلي خاصتي في الصندوق الجميل الذي عليه أخطبوط، ذاك الذي كان يحتوي على حذائي سابقًا. حين يرجع 16 إلى قاعاته، سوف أضعها من جديد – إنني أشعر بِعُرِيٍ غريبٍ من دونها.

الفهرس

مادةُ اليومِ الثامن من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

من العادات التي ألتزم بها أن أُفهرس مواد يومياتي كل أسبوعين أو نحو ذلك. أجد هذا ناجعًا أكثر من فهرستها على الفور. بعد مرور بعض الوقت يكون من الأسهل التفريق بين المهم والعابر.

هذا الصباح جلستُ متربعًا على رصيف القاعة الشمالية الثانية ومعي دفتر يومياتي وفهرسي. لقد حدث الكثير جدًا منذ آخر مرة أدّيت فيها هذه المهمة.

أدرجتُ مادةً في الفهرس:

النبي، ظهور: دفتر اليوميات رقم 10، ص148–152

أدرجتُ مادةً أخرى:

نبوءات تتعلق بمجيء 16: دفتر اليوميات رقم 10، ص151–152

ثم أعدت قراءة ما قاله النبي في ما يتعلق بهويات الموتى وأدرجتُ مادة:

الموتى، بعض الأسماء التجريبية لهم: دفتر اليوميات رقم 10، ص149 و152

بدأت أُدرج مادة لكل اسم. تحت حرف I، كتبت:

إيطالي، جذاب، فتى: دفتر اليوميات رقم 10، ص149

كنت قد كتبت نصف اسم ستان أوفندن (تحت حرف O) عندما وقعَت عيني على مادة في سطر أعلى.

أوفندن، ستانلي، طالبُ لورنس آرن-سيلز: دفتر اليوميات رقم 21، ص154. انظر أيضًا اختفاء ماوريتسيو جوساني، دفتر اليوميات رقم 21، ص186-187

ذُهلت. ها هو ذا. ستانلي أوفندن. في الفهرس مسبقًا. ومع ذلك لم يكن اسمه، حين نطق به النبي، مألوفًا بالمرة.

قرأت مادةَ الفهرس من جديد.

توقفت قليلًا. علمت فيما أنا أنظر إليها أن هناك شيئًا غريبًا للغاية. غير أن الشيء الغريب كان يبلغ من الغرابة ومن الإبهام أنني وجدت صعوبةً في تشكيل أفكار مترابطة بشأنه. كنت أرى الغرابة بعينيّ، لكنني لم أستطع أن أفكر فيها بعقلي.

دفتر اليوميات رقم 21.

لقد كتبت دفتر اليوميات رقم 21. لماذا بحق السماء فعلت ذلك؟ لم يبدُ الأمر منطقيًا البتة. دفتر اليوميات الذي أكتب فيه الآن هو (كما سبق وشرحت) دفتر اليوميات رقم 10. ما من دفتر يوميات رقم 21. من غير الممكن أن يكون هناك دفتر يوميات رقم 21. ما معنى هذا؟

مررتُ بعينيّ على بقية الصفحة. معظم المواد التي تحت حرف O تتحدث عن الآخَر. كانت هذه كثيرة جدًا، وهذا متوقع تمامًا بما أنه الكائن البشري الوحيد غيري – بالطبع إضافة إلى النبي و16، لكنني لا أعرف عن هذين سوى النزر اليسير. رأيت أن هناك مواد سابقة عن موضوعات أخرى. وهذه كانت بغرابة مادة ستانلي أوفندن. عندما ركزتُ عليها، اختبرتُ الترددَ نفسه في استيعاب ما تراه عيناي. مع ذلك، أرغمت عينيّ على رؤية الأمر؛ أرغمت عقلي على التفكير فيه.

أوركني، التخطيط لصيف 2002: دفتر اليوميات رقم 3، ص11–15، 20–28

أوركني، حفريات أثرية: دفتر اليوميات رقم 3، ص30–39، 47–51

أوركني، رأس برودغار: دفتر اليوميات رقم 3، ص40–47

ارتياب الملاحظة: دفتر اليوميات رقم 5، ص134–135

أوكيف، جورجيا، معرض: دفتر اليوميات رقم 11، ص91–95

طبّ نفس اللامُنتَمين، انظر ر. د. لينغ

فلسفة اللامنتمين: دفتر اليوميات رقم 17، ص19–32؛ انظر أيضًا ج. دبليو. دن (تسلسلية)، أوين بارفيلد، رودلف شتاينر

أفكار اللامنتمين، كيف تتعامل أنظمة المعرفة والمعتقدات المختلفة معها: دفتر اليوميات رقم 18، ص42-57

أدب اللامنتمين، انظر أدب المعجبين

اللامنتمي، *كولن ولسون: دفتر اليوميات رقم 20، ص46-51*

رياضيات اللامنتمين: دفتر اليوميات رقم 21، ص40-44؛ انظر أيضًا سرينفاسا رامانوجان

فن اللامنتمين: دفتر اليوميات رقم 21، ص79-86

توجد هنا إحالات إلى المزيد من دفاتر اليوميات التي لا وجود لها! دفاتر اليوميات ذات الأرقام 11، 17، 18، 20. أما الدفتران 3 و5 فهما موجودان بالطبع، لذا لا مشكلة في تلك المواد. لكن... لكن... كلما أمعنت النظر إليها أكثر، زاد اشتباهي بأن هذه المواد لا تُحيل إلى دفترَي اليوميات 3 و5 الخاصين بي *أنا*، بل إلى دفترين مختلفين. المواد مكتوبة بقلم لم أميّز خطَّه. الحبر أقل سماكة وأكثر ميوعة وسن القلم أعرض من سن أي قلم أملكه. بالإضافة إلى الكتابة نفسها. إنه خط يدي -لا شك في ذلك- لكنه مختلف بقدر ضئيل عن الخط الذي أستعمله حاليًا. أسمك وأكثر استدارة بعض الشيء – بصياغة أبسط: أكثر شبابًا.

ذهبتُ إلى الزاوية الشمالية الشرقية وتسلقت إلى تمثال الملاك العالق في شجيرةِ ورد. أخذتُ حقيبة ساعي البريد الجلدية البنية

خاصتي. أخرجت منها جميع دفاتر يومياتي. كان عددها تسعة. تسعة فقط. لم أجد عشرين دفترًا آخر غفلتُ عنها على نحو يتعذر تفسيره حتى هذه اللحظة.

تفحصت الدفاتر بحرص، موليًا الانتباه على وجه التحديد لأغلفتها والأرقام المكتوبة عليها. دفاتر يومياتي سوداء وأرقّمُ كلًّا منها بقلمِ هلامٍ أبيض على القسم السفلي من كعبه. لدهشتي، اكتشفتُ أن الدفاتر الثلاثة الأولى كانت في الأصل مرقمةً بطريقة مختلفة. كانت مرقمة بـ 21، 22، 23، لكنّ أحدًا ما قد كشط رقم "2" عنها، فتحولت إلى 1، 2، 3. الكشط لم يُنجَز بشكل تامّ (الحبر الهلاميّ صعب الإزالة) وكان ما يزال بوسعي أن أتبيّن طيفَ شكلِ الرقم "2".

جلستُ بعضَ الوقت، أحاول استيعاب هذا، لكنني لم أستطع أن أتوصّل إلى شيء.

لو أن الدفتر رقم 1 (الدفتر رقم 1 بترقيمي أنا) كان في الأصل الدفتر رقم 21، إذًا لا بد أنه يحتوي على المادتين المتعلقتين بستانلي أوفندن. التقطتُه وفتحته على الصفحة 154. ها هي. المادة تحمل تاريخ 22 يناير 2012. عنوانها: *سيرة ستانلي أوفندن*.

ستانلي أوفندن. وُلد عام 1958، في نوتنغهام، إنجلترا. والده، إدوارد فرانسيس أوفندن، كان يملك محل حلويات. اسم الأم ومهنتها غير معلومين. درسَ الرياضيات في جامعة بيرمنغهام. بدأ

بحث الدراسات العليا خاصته عام 1981. في العام نفسه حضر إحدى محاضرات لورنس آرن-سيلز الشهيرة: المنسيّ والحدّيّ والمتعدّي والإلهيّ. بعد ذلك بفترة قصيرة ترك أوفندن الرياضيات وبدأ العمل على رسالة دكتوراه في الأنثروبولوجيا لدى جامعة مانشستر بإشراف آرن-سيلز.

هنا انتهت المادة الأولى، لذا انتقلتُ إلى الصفحة 186، إلى المادة التي تحمل عنوان: *اختفاء ماوريتسيو جوساني.*

في صيف 1987، استأجر لورنس آرن-سيلز منزلَ مزرعة يُدعى كاسالي ديل بينو، يبعد عشرين كيلومترًا عن بيروجيا. رافقه طلابُه الأكثر حظوة لديه (الدائرة المقربة): أوفندن، وبانرمان، وهيوز، وكترلي، وداغوستينو.

كانت التوترات قد بدأت تظهر داخل المجموعة. أصبح آرن-سيلز يُبدي تحسسًا كبيرًا تجاه أي ملاحظة أو سؤال يُظهر نقصًا في التزام المتكلم بـ "التجربة العظيمة" خاصته. أيّ شخص يجرؤ على مساءلته يُصبح موضعًا للتقليب الوحشي في جميع إخفاقاته، الشخصي منها والأكاديمي. نتيجةً لذلك التزم معظم المجموعة بصمتٍ دبلوماسي، لكنّ ستانلي أوفندن، الذي يعاني من صممِ النبرة في ما يتعلق بشخصيات الأشخاص الآخرين، واصلَ التعبير عن الشكوك بخصوص ما كانوا يفعلونه. عندما دافعت تالي هيوز عن أوفندن أمام آرن-سيلز نالت هي الأخرى حصةً سخيّةً من سخطه. تزايد التوتر

في جوٍّ كاسالي ديل بينو، ونتيجةً لذلك، بدأ أوفندن وهيوز يقضيان وقتًا أكثر فأكثر بعيدَين عن الآخرين. نشأت صداقة بينهما وبين شابّ، ماوريتسيو جوساني، طالب فلسفة في جامعة بيروجيا. يبدو أن هذه الصداقة الجديدة سبّبت تخوّفًا كبيرًا لدى آرن-سيلز.

في مساء 26 يوليو، دعا آرن-سيلز جوساني وخطيبتَه، إيلينا مارييتي، إلى حفلة عشاء في كاسالي ديل بينو. خلال العشاء تحدث آرن-سيلز عن العالَم الآخر (مكان تمتزج فيه العمارة والمحيطات) وعن إمكانية الوصول إلى هناك. ظنت إيلينا مارييتي أن آرن-سيلز يتكلم بطريقة مجازية أو أنه يصف تجربةً سيكيديليّةً ما من أجواء أدب هكسلي.

كان لدى مارييتي عمل في اليوم التالي. (كانت طالبة دراسات عليا مثل جوساني، لكنها تعمل خلال الصيف مساعِدةً قانونيةً في مكتبِ محاماةِ والدها في بيروجيا). نحو الساعة 11، تمنّت ليلةً سعيدة للحاضرين وركبت سيارتَها وقادتها إلى المنزل وخلدت إلى السرير. كان الآخرون ما يزالون يتحدثون. المضيفون الإنجليز وعدوا جوساني أن يُقلّه أحدهم إلى منزله.

لم يُشاهَد ماوريتسيو جوساني بعدها قط. ادعى آرن-سيلز أنه خلد إلى السرير بعد انصراف مارييتي بوقت قصير وأنه لا يعلم شيئًا عما حدث. البقية (أوفندن وبانرمان وهيوز وكترلي وداغوستينو) قالوا إن جوساني رفض عرضهم لتوصيله وانطلق إلى منزله سيرًا على

الأقدام بعد منتصف الليل بقليل. (كانت ليلة دافئة يُضيئها القمر؛ وجوساني يسكن على بعد نحو 3 كيلومترات).

بعد ذلك بعشر سنوات، حين أُدين آرن-سيلز باختطاف شاب آخر، أعادت الشرطة الإيطالية فتح قضية جوساني المفقود، غير أن...

توقفتُ عن القراءة ونهضت مُثقَلَ الأنفاس. ألحَّت عليّ رغبةٌ قوية في رمي دفتر اليوميات بعيدًا عني. الكلمات على الصفحة -(بخط يدي أنا!)- بدت كالكلمات، لكنني في الوقت نفسه كنت أعلم أنها عديمة المعنى. إنها سفاسف، محض هراء! أيّ معنًى يمكن أن يكون لكلمات مثل "بيرمنغهام" و"بيروجيا"؟ ما من معنى. لا شيء في العالم كله يحمل هذه الأسماء.

لقد كان الآخر محقًا بعد كل شيء. لقد نسيتُ كثيرًا من الأشياء! بل أسوأ، في اللحظة التي صرّح الآخر فيها أنه سوف يقتلني إن أصبت بالجنون، اكتشفت أنني أصبت بالجنون وانتهى الأمر! أو، إن لم أكن مجنونًا الآن، فلا شك أنني كنت مجنونًا في الماضي. كنت مجنونًا حين كتبت هذه المواد!

لم أرمِ دفتر اليوميات بعيدًا. أسقطته على الرصيف وسرت مبتعدًا. أردت أن تفصل مسافةٌ فيزيائيّة بيني وبين هذه الأدلة على جنوني. راحت أصداء الكلمات عديمة المعنى -بيروجيا، نوتنغهام، جامعة- تتردد في ذهني. أحسست بضغط هائل هناك كأن جيشًا

كاملًا من الأفكار نصف المكتملة يوشك أن يجتاح وعيي، جالبًا معه المزيد من الجنون أو المزيد من الفهم.

عبرتُ عدة قاعات سريعًا، لا أعلم أو أبالي أين أذهب. فجأة رأيت أمامي تمثال الفون، التمثال الذي أحبه أكثر من أي تمثال غيره. هناك كان وجهه الهادئ ذو الابتسامة الواهية؛ هناك كانت سبابته الموضوعة برفق على شفتيه. في الماضي لطالما ظننت أنه يقصد أن يحذّرني من شيء ما بتلك الحركة: *توخَّ الحذر!* لكنه بدا اليوم يقصد شيئًا مختلفًا تمامًا: *على رسلك! اطمئنّ!* اعتليتُ قاعدته وألقيت نفسي بين ذراعيه، ألفُّ ذراعي حول عنقه، أشابك أصابعي بأصابعه. شاعرًا بالأمان في حضنه، أخذت أبكي على عقلي الذي فقدته. نشيج هائل لاهث يصعد، على نحو يكاد يكون مؤلمًا، من صدري.

على رسلك! قال لي: *اطمئنّ!*

مكتبة
t.me/soramnqraa

أقرّرُ أن أوليَ نفسي عنايةً أفضل

مادةُ اليومِ التاسع من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

تركتُ حضنَ الفون ورحت أهيم بتعاسة في أنحاء البيت. صدّقتُ أنني مجنون –أو أنني كنت مجنونًا– وإلا فإنني أجنّ الآن. أيًّا كان الصحيح بينها، فالفكرة مرعبة.

بعد قليل قررتُ أنه لا نفع من المتابعة على هذه الحال إطلاقًا.

أجبرت نفسي على العودة إلى القاعة الشمالية الثالثة حيث أكلت سمكة صغيرة وشربت بعض الماء. ثم زرت جميع تماثيلي المفضلة من جديد: الغوريلا، الصبي الذي يَضرب بالصنوج، المرأة التي تحمل قفيرَ نحل، الفيل الذي يحمل قلعة، الفون، الملِكان اللذان يلعبان الشطرنج. بعث جمالُها فيَّ الهدوءَ وعدّل لي مزاجي؛ ذكّرتني تعابيرُها النبيلة بكل ما هو طيّب في العالم.

أنا هذا الصباح قادر على التفكّر بهدوء أكبر في ما حدث.

أتقبّل أنني كنت مريضًا جدًا في الماضي. لا بد أنني كنت مريضًا حين كتبتُ تلك المواد في يومياتي وإلا لما ملأتُها بكلمات عجيبة مثل "بيرمنغهام" و"بيروجيا". (حتى في هذه اللحظات، بينما أكتب الكلمات، ها أنا قد بدأت أشعر بالقلق من جديد. حشد من الصور يتقلب في ذهني – غريبة، كابوسية، لكنها في الوقت نفسه مألوفة على نحو مستغرَب. كلمة "بيرمنغهام"، على سبيل المثال، تجلب معها دويَّ ضجة، وميضَ حركة ولون، وصورة خاطفة لأبراج وقباب عالية على خلفية من سماء رمادية غامقة. أحاول أن أقبض على هذه الانطباعات، أن أمعن فيها أكثر، لكنها لا تلبث حتى تتلاشى).

على الرغم من كل هذا أعتقد أنني تهوّرت إذ صرفت النظر عن هاتين المادتين وعددتهما مجرد هراء. بعض الكلمات –كـ "جامعة" على سبيل المثال– تبدو تملك بالفعل نوعًا من المعنى. أعتقد أنني، إن

عقدت عزمي، أستطيع أن أكتب تعريفًا واضحًا للـ "جامعة". أفردتُ قدرًا من التفكير لما قد يكون تفسير هذا. إنني أفهم كلمة "باحث" لأن البيت تتناثر في أنحائه تماثيل لباحثين في أيديهم كتب وأوراق. لعلني استنبطتُ فكرة الـ "جامعة" (مكان يجتمع فيه الباحثون) من هذه التماثيل؟ لا تبدو هذه فرضية مُرضية جدًا، لكنها أفضل ما يمكنني فعله في الوقت الحالي.

المواد تحتوي أيضًا على أسماء أشخاص تُثبت وجودَهم أدلةٌ أخرى. النبي تحدث عن ستانلي أوفندن، لذا من الواضح أنه شخص حقيقي. لقد حاول النبي أيضًا أن يتذكر اسم الفتى الإيطالي الجذاب لكنه لم يستطع. ربما يكون ماوريتسيو جوساني. وأخيرًا فقد أتت المادتان كلتاهما على ذكر شخص يدعى "لورنس آرن-سيلز" وأنا عثرت على رسالة من "لورنس" في الردهة الأولى.

بصياغة أخرى، يبدو بالفعل أن بين الهراء الذي في هاتين المادتين معلومات حقيقية. خلال سعيي إلى معرفة كل ما أستطيعه عن الناس الذين عاشوا سيكون من الخطأ أن أتجاهل هذا المصدر المهم.

لقد بات واضحًا أنني نسيت أشياء كثيرة، والآن لديّ -الأفضل أن أواجه هذه الأمور بلا مواربة- أدلة على فترات من الاختلال العقلي الجدي. مهمتي الأولى والأهم تتمثل في إخفاء هذه العيوب عن الآخَر. (فرغم أنني لست أظن أنه سيبلغ حدَّ قتلي بسببها، لا شك أنه سوف ينظر إليّ بريبة أكثر حتى مما يفعل أساسًا). والأمر الذي

يكاد يكون على القدر نفسه من الأهمية هو الحاجة إلى تحصين نفسي من عودة المرض. في سبيل هذا قررت أن أوليَ نفسي عنايةً أفضل. عليّ ألا أغرق في عملي العلمي إلى درجة تُنسيني أن أصطاد السمك فينتهي بي المطاف دون شيء آكله. (البيت يوفر الكثير من الطعام للشخص النشيط المغامر. لا عذر لمن يجوع!). عليّ أن أكرّس المزيد من طاقاتي لرتق ثيابي وصنع أغطية لقدميّ، اللتين كثيرًا ما تكونان باردتين. (سؤال: هل من الممكن حياكة الجوارب من العشب البحري؟ أشك في ذلك).

فكّرت في موضوع إعادة ترقيم دفاتر يومياتي وخلصتُ إلى أنني لا بد فعلت ذلك أنا نفسي. ما يعني أن هنالك عشرين دفترًا (عشرين!) مفقودًا – فكرة تثير أشدّ التخوّف! ومع ذلك، في الوقت نفسه، من المنطقي أن تكون هناك دفاتر مفقودة. إنني (كما سبق وبيّنت) أبلغ تقريبًا خمسة وثلاثين سنة من العمر. الدفاتر العشرة التي أملكها تغطي مدةَ خمس سنوات. أين دفاتر حياتي التي تسبق ذلك؟ وماذا فعلتُ في تلك السنوات؟

البارحة كنت أظن أنني لا أريد أبدًا أن أقرأ أو أبحث عن مواد في يومياتي مرة أخرى. تصورت نفسي أرمي الدفاتر العشرة والفهرس إلى قلبِ مدٍ متعاظم، وتخيلت قدر ما سأشعر به من الراحة بتحرّري منها. لكنني اليوم أكثر هدوءًا. لم أعد تحت رحمة الخوف والذعر بالقدر نفسه. أنا اليوم أستطيع أن أرى أن هنالك أسبابًا وجيهة توجب أن أدرس يومياتي بحرص، حتى الأجزاء المجنونة – ربما

بالذات الأجزاء المجنونة. أولًا، لطالما كنت أتوق إلى معرفة المزيد عن الناس الذين عاشوا، ورغم كل ما فيها من إبهام، يبدو فعلًا أن اليوميات تحتوي على معلومات حقيقية عنهم، وإن كانت تُقدّمها بشكل عجيب للغاية. ثانيًا، أحتاج أن أتعلّم قدر ما أستطيع عن جنوني، لا سيما بشأن ما يستثيره وكيف أستطيع تحصين نفسي منه في المستقبل.

لعلني بدراسة الماضي في صفحات يومياتي سوف أستطيع أن أتبيّن معنًى لهذه الأشياء. ريثما يحدث ذلك من المهم أن آخذ في الحسبان أن قراءة اليوميات بحد ذاتها نشاطٌ مستثير، يحرّك الكثير من العواطف المؤلمة والأفكار الكابوسية. عليّ أن أعمل بأناةٍ وأقرأ على دفعات صغيرة.

لقد أفاد الآخر والنبي كلاهما أن البيت نفسه مصدر للجنون والنسيان. إنهما عالِمان وصاحبا فكر. حين يتفق مثل هذين المرجعين المنزّهين عن الخطأ، أعتقد أن عليّ القبول بحكمها. البيت هو ما يسبّب لي النسيان.

هل تثق بالبيت؟، أسأل نفسي.

أجل، أجيب نفسي.

وإن كان البيت قد جعلك تنسى، فقد فعل ذلك لسبب وجيه.

لكنني لست أفهم السبب.

لا يهم أنك لا تفهم السبب. أنت الابن المحبوب للبيت. اطمئنّ.

فأطمئنّ.

سيلفيا داغوستينو

مادةُ اليومِ العشرين من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

إنني أشعر بفضول شديد بشأن بقية الأشخاص الذين ذكرهم النبي، لذا قررت أن أبدأ دراستي بسيلفيا داغوستينو والمسكين جيمس ريتر، لكنني لم أبحث عن اسميهما على الفور. بناءً على خطتي للاهتمام بنفسي، سمحتُ بانقضاء أسبوع ونصف قبل أن أعاود قراءة اليوميات. أمضيت ذلك الوقت في النشاطات الاعتيادية الباعثة على الهدوء. اصطدت السمك؛ أعددت الحساء؛ غسلت الثياب؛ ألّفت الموسيقى على الناي الذي صنعتُه من عظمةِ بجعة. ثم هذا الصباح أخذتُ دفاتر يومياتي والفهرس إلى القاعة الشمالية الخامسة. هذه القاعة تحتوي على تمثال الغوريلا، وبدا لي أن رؤيته ستمنحني القوة.

تربّعتُ على الرصيف قبالة الغوريلا. فتحت على حرف D في فهرسي. هناك كانت.

داغوستينو، سيلفيا، طالبة آرن-سيلز: دفتر اليوميات رقم 22، ص6-9

فتحت على الصفحة 6 في دفتر اليوميات رقم 22 (الذي كان دفتر اليوميات رقم 2 بترقيمي).

سيرة سيلفيا داغوستينو

وُلدَت عام 1958 في ليث، اسكوتلندا، ابنة إدواردو داغوستينو، الشاعر.

تُظهر الصورُ الفوتوغرافية امرأةً ذات مظهر خنثوي بعض الشيء، جذابة، بل حتى جميلة، بحاجبين داكنين سميكين، وعينين داكنتين، وأنف غليظ، وخطّ فكّ بارز. كان لها شعر داكن كثيف عادةً ما تربطه. وفقًا لأقوال أنغهارد سكوت، لم تكن داغوستينو تقدّم تنازلات للأفكار التقليدية حول الأنوثة ولا تهتم بما ترتديه إلا في ما ندر.

في مراهقتها، أخبرت داغوستينو أحد أصدقائها أنها تريد أن ترتاد الجامعة لتدرس الموت والنجوم والرياضيات. لسببٍ ما، لم تكن جامعة مانشستر تقدم مثل هذه المقررات، لذا قبلَت بالرياضيات. في الجامعة، سرعان ما صادفت لورنس آرن–سيلز ومحاضراته؛ تلك المصادفة صاغت شكلَ ما تبقّى من حياتها.

حديث آرن–سيلز عن التواصل مع عقول الأولين واختلاس النظر إلى عوالم أخرى أجاب جميع رغباتها الكونية – الجزء المتعلق بـ "الموت والنجوم" منها. حالما أنهت شهادةَ الرياضيات خاصتها، انتقلت إلى الأنثروبولوجيا بإشراف آرن–سيلز.

من بين جميع طلاب آرن-سيلز ومعاونيه، كانت داغوستينو الأكثر إخلاصًا بلا منازع. خصّص لها غرفة في منزله الكائن بمنطقة ويلي رينج حيث أصبحت مدبرة منزل وسكرتيرة لديه دون أجر. كانت لديها سيارة (لم يكن آرن-سيلز يجيد القيادة) وتَمثّل جزءٌ من مهامّها في إيصاله إلى حيث يريد الذهاب، بما في ذلك شارع كانال ستريت ليالي السبت كي يُحضر الشبان.

في عام 1984، حصلت على شهادة الدكتوراه. لم تسعَ خلف العمل الأكاديمي أو التدريسي، بل بقيت بجانب آرن-سيلز، متخذةً سلسلةً من الوظائف الحقيرة كي تُعيل نفسها.

كانت وحيدةً لأبويها ولطالما ربطتها بهما علاقة وثيقة، لا سيّما والدها. في مرحلةٍ ما منتصفَ الثمانينيات، أمرها آرن-سيلز أن تتشاجر مع والديها. وفقًا لأقوال أنغهارد سكوت، كان هذا اختبارًا لولائها. قطعت داغوستينو جميع صلاتها بوالديها ولم يَرياها بعد ذلك قط.

تصفها سكوت بأنها شاعرة وفنانة وصانعة أفلام، وتُعدد المجلات التي نُشرت قصائدها فيها: آركتوروس، تورن أسندر، غراسهوبر. (حتى تاريخه لم أستطع أن أعثر على أي نسخة من هذه المجلات). رئيس تحرير مجلة غراسهوبر -رجل يدعى توم تيتشويل- كان أيضًا من أصدقاء إدواردو داغوستينو. ظلّ (تيتشويل) على تواصل مع سيلفيا وكان ينقل أخبارها إلى والديها.

نجا اثنان من أفلامها: قمر / غابة والقلعة. قمر / غابة عمل سينمائي فريد مميز الأجواء حظي بإعجاب النقاد والمعجبين من خارج الدائرة المعتادة التي تتألف من آرن-سيلز ورفاقه المؤمنين بنظريات المؤامرة. مدة الفيلم 25 دقيقة وقد جرى تصويره في الأراضي البراح والغابات المحيطة بمانشستر. استُخدم في تصويره شريط سوبر 8 بالألوان، لكنّ الفيلم يُعطي إحساسًا شبه كامل بالأبيض والأسود -غابات سوداء، ثلج أبيض، سماء رمادية، إلخ...- مع رشقات تظهر من آن إلى آخر باللون الأحمر الدموي. في الفيلم، يستعبد هيروفانت من العصور القديمة مجتمعًا صغيرًا. يُعامل الرجال بوحشية ويعتدي على النساء. تُعارضه إحدى النساء. كي يُظهر سطوته ويعاقبها، يُلقي الهيروفانت تعويذةً سحرية. تعبر المرأة جدولَ ماء. تأخذ خطوةً فتنزل قدمُها في صورة القمر المنعكسة. تَعلق في الجدول؛ لا تستطيع أن تتحرك من صورة القمر المنعكسة. يجيء الهيروفانت ويضربها حيث تقف عاجزة. تظل لا تستطيع أن تتحرك. متروكةً وحدها، تطلب من غابة بِتولا أن تساعدها. بينما يعبر الهيروفانت الغابة، يعلق بين أشجار البتولا المتشابكة؛ تُقيّده الأشجار وتطعنه. لا يستطيع الحراك ويموت في نهاية المطاف. تتحرر المرأة من صورة القمر المنعكسة. لا يحتوي فيلم قمر / غابة إلا على قدر قليل من الحوار، والحوار الموجود مبهم. المرأة والهيروفانت يتكلمان بلغتهما التي لا علاقة لها بلغتنا. اللغة الحقيقية لـ قمر / غابة بسيطة، صور مقفرة: قمر، ظلام، ماء، شجر.

فيلم داغوستينو الآخر الذي نجا أكثر غرابة بعد. ليس له عنوان، لكن عادة ما يشار إليه بـ القلعة. استُخدم في تصويره شريط

بيتاماكس والدقة رديئة جدًا. تتسكّع الكاميرا في أنحاء العديد من الغرف الضخمة، يُفترض أنها من قلاع أو قصور مختلفة (لا يمكن أن يكون ما نراه مبنًى واحدًا؛ إنه شاسع أكثر من أن يكون كذلك ببساطة). تصطف أمام الجدران تماثيل وتحتشد على الأرضية برك ماء. بحسب أقوال الأشخاص الذين يؤمنون بمثل هذه الأشياء، هذا تسجيل لأحد عوالم آرن-سيلز الأخرى، ربما العالَم الذي وصفه في كتابه الصادر عام 2000، المتاهة. حاول أشخاص آخرون أن يعيّنوا مواقع التصوير كي يثبتوا أن هذا ليس تصويرًا لعالم آخر، لكن حتى تاريخه لم يتم تحديد أيّ من المواقع بشكل حاسم. عُثر على ملاحظات بخط يد داغوستينو برفقة القلعة، لكنها مكتوبة بالشفرة الغريبة نفسها التي كُتبت بها مذكراتها الأخيرة وما يزال فكها متعذرًا.

يبدو أن داغوستينو وثّقت في مذكراتها معظم حياتها الراشدة. الأجزاء الأولى (1973-1980) كانت موجودة في منزل والديها في ليث؛ هذه مكتوبة بالإنجليزية. عُثر على دفتر مذكرات آخر، يحمل تاريخًا يقارب تاريخ اختفائها (ربيع 1990)، في العيادة التي كانت تعمل فيها. استُعمل في هذا الدفتر مزيج غريب من طلاسم وتوصيفات لصور (ربما صور من أحلام؟) بالإنجليزية. أقدمت أنغهارد سكوت على عدة محاولات لفك شفرته لكنها لم تتوصل إلى شيء.

في بدايات عام 1990، كانت داغوستينو تعمل موظفةَ استقبال في عيادةِ بويلي رينج. نشأت صداقة بينها وبين أحد الأطباء هناك، رجل في مثل سنها يدعى روبرت أولستيد. في هذه المرحلة يبدو أن افتتانها بلورنس آرن-سيلز قلَّ عما سبق بمقدار معتبر. أخبرت

أولستيد أن حياتها شاقة، لكنها ستظل دائمًا شاكرة لآرن-سيلز لأنه فتح الطريق إلى عالم أجمل وهي سعيدة هناك. لم يعرف أولستيد ماذا يفهم من هذا. أخبر الشرطة لاحقًا أنه متأكد من أنها لم تكن تتعاطى المخدرات. فلو كان ذلك، لما سمح لها قط بالعمل في العيادة.

عندما علم آرن-سيلز بالصداقة التي تجمعها مع أولستيد دخل في إحدى نوبات غيرته العجيبة وأمرها أن تترك الوظيفة. هذه المرة قابلت داغوستينو طلبه بالرفض.

في الأسبوع الأول من أبريل، لم تَحضر إلى الدوام. بعد أن تغيّبت يومين، اتصل د. أولستيد بالشرطة. لم تُشاهَد بعد ذلك قط.

المسكين جيمس ريتر

المادة الثانية لليومِ العشرين من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

كانت هناك مادتان عن جيمس ريتر، كلتاهما في دفتر اليوميات رقم 21: ص46 و ص122. المادة الأولى تحمل عنوان: *عارُ لورنس آرن-سيلز.*

انتهت مسيرة آرن-سيلز المهنية، التي لطالما أثارت الجدل، دون تمهيد في أبريل 1997، حين عثرت امرأةٌ استُؤجرت لتنظف منزله على شيء: سائل بني اللون بدا ينزّ من تحت جدار في إحدى الغرف.

كانت غرفةَ نوم، ولم تكن مستخدمة، وفقًا لأقوال آرن-سيلز. غير أن عاملة التنظيف استطاعت أن ترى أنها قيد الاستخدام، لذلك كانت تنظفها. مسحت السائل بالإسفنجة. ثمّ تشمّمت رائحته. بول وبراز. نزّ القليل بعد من السائل من تحت الجدار. دفعَت الجدار، فانزاح قليلًا. وضعت أذنها عليه. ثم اتصلت بالشرطة. خلف الجدار -الجدار المزيف- عثرت الشرطة على غرفة كان فيها شابّ، مريض جدًا وغير متّزن بتاتًا.

انتهت مسيرة آرن-سيلز الأكاديمية. عقب محاكمة (غطّاها الإعلام بغزارة)، زُجَّ به في السجن مدة ثلاث سنوات في البدء؛ غير أنه، وهو داخل السجن، أُدين بتحريض سجناء آخرين على العنف والشغب. في النهاية قضى أربع سنوات ونصفًا وأُطلق سراحه في عام 2002.

لم يُقرّ آرن-سيلز في محاكمته ولم يقدم أي تفسير لما دفعه إلى احتجاز جيمس ريتر.

وجدتُ هذه المادة مخيّبة؛ لم تكن تحوي على معلومات تُذكر في ما يتعلق بهوية المسكين جيمس ريتر. فتحتُ على المادة الثانية. هذه بدت واعدةً أكثر.

سيرة جيمس ريتر

وُلد عام 1967 في لندن. خلال صباه، كان ريتر حسنَ المظهر جدًا. عملَ عارضَ أزياء ونادلًا وساقيًا وممثلًا، وبائع هوىً في بعض

الأحيان. خلال حياته الراشدة عانى من المرض العقلي فترات طويلة. أُدخِل المصحّ على الأقل مرتين بين عامي 1987 و1994، مرة في لندن، وأخرى في ويكفيلد. كان يبقى بلا مأوىً أحيانًا.

بعد العثور عليه خلف الجدار المزيف في منزل آرن-سيلز، أُخذ إلى المستشفى حيث تلقى العلاج من ذات الرئة وسوء التغذية والتجفاف والاضطراب ثنائي القطب. حاولت الشرطة أن تكتشف مدةَ احتجاز آرن-سيلز له، لكنّ ريتر كان عاجزًا عن تقديم جواب مترابط من أيّ نوع. لذا تحدّث رجال الشرطة إلى أشخاص يعرفونه - مدمنين على مخدرات، اختصاصيين اجتماعيين، أشخاص يديرون مآويَ للمشردين. كل ما استطاعوا (رجال الشرطة) إثباته هو أن ريتر شوهد داخل مانشستر وحولها في القسم الأول من عام 1995، لذا من المحتمل -لكن ليس مؤكدًا إطلاقًا- أنه احتُجز مدةً تصل إلى عامين.

قصة ريتر، حين استطاع بالتدريج أن يرويها بنفسه، لم تزد المسائل إلا إبهامًا. أصرّ أنه لم يكن في منزل آرن-سيلز بويلي رينج إلا فترات قصيرة؛ أما معظم الوقت فقد قضاه في منزل آخر، منزل يحتوي على تماثيل والبحرُ يغمر العديد من غرفه. بدا معظم الوقت يظن أنه ما يزال هناك. عدة مرات خلال إقامته في المستشفى كان يُصاب باهتياج شديد، فيقول إنه بحاجة إلى الرجوع إلى المينوتورات لأنها ستتناول وجبةَ عشائه. رغم إعطائه الدواء لضبط أوهامه، ظل يُصرّ على قصة المنزل ذي التماثيل والقبو المغمور بالماء هذه.

ما يزال الأمر الذي كان آرن-سيلز يحاول تحقيقه من احتجاز ريتر بالضبط موضعَ نقاش. قُدّمت نظريتان اثنتان.

الأولى هي أن آرن-سيلز غسل دماغَ ريتر كي يعطي مصداقيةً لادعاءاته لا بمجرد وجود عوالم أخرى، بل بأنه ذهب إليها هو وأشخاص آخرون. بالتأكيد، وصفُ ريتر للمنزل يماثل الغرف الشاسعة الفارغة في فيلم سيلفيا داغوستينو، القلعة؛ وكذلك يماثل وصف آرن-سيلز نفسه للعالَم الآخر في الكتاب الذي كتبه في السجن: المتاهة. (بالطبع، من الممكن تمامًا أن يكون آرن-سيلز ببساطة استفاضَ في هلوسات ريتر). لكن إن كان هذا هدف آرن-سيلز -أن يفبرك دليلًا على عالَم آخر- فلماذا اختار رجلًا له تاريخ من الوُهام ليكون شاهِدَه؟

النظرية الثانية كانت أن الاختطاف لم تكن له علاقة بنظريات العالم الآخر الخاصة بآرن-سيلز بقدر ما تعلق بميوله الجنسية العجيبة. (هذا هو الخط الذي أخذ به الادعاءُ خلال المحاكمة في أكتوبر 1997). لكن في هذه الحالة لماذا كان ريتر يهذر عن منازل في أقبيتها بُحور؟

حاولت أنغهارد سكوت أن تُجري حوارًا مع ريتر من أجل سيرة آرن-سيلز التي تكتبها، غير أن ريتر كان قد استاء لأن أحدًا لم يصدقه بشأن المنزل ذي المحيط الحبيس داخله ورَفَض التحدث إليها. في عام 2010، قام صحفيٌّ من الغارديان -لايساندر ويكس- بتعقّبه من

أجل مقالة استعاديّة بشأن فضيحة آرن-سيلز. في هذه المرحلة كان ريتر يعمل ناطورًا لدى مبنى بلدية مانشستر. وصفه ويكس بأنه هادئ ومتّزن على نحو يكاد يشبه أتباع طائفةِ الزن. زعم ريتر أنه ترك المخدرات منذ عقد من الزمن. غير أن القصة التي حكاها لويكس كانت القصة التي سبق أن حكاها للشرطة نفسها: أنه لمدة نحو ثمانية عشر شهرًا بين 1995 و1997 سكنَ منزلًا كبيرًا يغمر فيه البحرُ القبوَ وأحيانًا يصعد إلى الطابق الأرضي. قال ريتر إنه كان ينام في ما يشبه كهفًا أبيض نصف شفاف تحت المنحنى الرخامي لسلّمٍ عظيم. قال ريتر إن العمل لدى مبنى بلدية مانشستر هو ما أنقذه؛ فهذا المبنى أيضًا شاسع وفيه غرف وتماثيل وسلالم عظيمة. الشَبه بالمنزل الآخر -الذي أخذه إليه آرن-سيلز- كان يبعث فيه الهدوء.

مواد اليوميات المتعلقة بسيلفيا داغوستينو والمسكين جيمس ريتر: بعض الأفكار المبدئية

مادة اليوم الحادي والعشرين من الشهر الثامن في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

المادة الأخيرة عن المسكين جيمس ريتر هي التي وجدتُها الأكثرَ إثارة للاهتمام. كانت مليئة بالكلمات التي لا معنى لها مثلها مثل المواد الأخرى، لكنّ الجزء المتعلق بالمينوتورات كان إشارة واضحة إلى الردهة الأولى. كذلك ميّزتُ وصفَ ريتر للكهف الأبيض نصف

الشفاف الواقع تحت سلّم. الردهة الأولى تحتوي مثل هذا السلّم تمامًا وتحته مساحة شبيهة بالكهف تُطابق الكلام. وفي تلك المساحة الشبيهة بالكهف عثرتُ على الكثير من القمامة التي كانت تزعجني. من الواضح أن جيمس ريتر هو الشخص الذي كان يأكل الشيبس وأصابع السمك في الردهة الأولى. (هذه النتيجة وحدها تبرّر قراري بمتابعة قراءة يومياتي!).

مادة سيلفيا داغوستينو قدّمَت معلومات أقل، لكن بالاستناد إلى وصف فيلمها، *القلعة*، فهي الأخرى زارت هذه القاعات.

كلمة "جامعة" ترد ثلاث مرات في مادة سيلفيا داغوستينو وثلاث مرات في مادتَي ستانلي أوفندن. قبل أسبوعين كنت قد افترضت أن بوسعي التوصل إلى معنًى لهذه الكلمة التي تبدو عديمة المعنى لأنني رأيت تماثيل لباحثين في البيت. آنذاك كنت أميل إلى صرف النظر عن هذه النظرية باعتبارها ضعيفة، لكنها تبدو معقولةً أكثر الآن. يخطر لي أن هناك الكثير من الأفكار الأخرى التي أفهمها تمامًا، رغم عدم وجود أشياء مماثلة لها في العالم. على سبيل المثال، أنا أعلم أن الحديقة هي مكان يستطيع المرء فيه أن يُنعش نفسه بمشاهدة النباتات والأشجار. لكن الحديقة ليست شيئًا له وجود في العالم وما من تماثيل تُصوّر هذه الفكرة بعينها. (في الواقع لا أستطيع أن أتخيّل تمامًا كيف يمكن أن يبدو تمثالٌ لحديقة). عوضًا عن ذلك، في أنحاء متفرقة من البيت، تتناثر تماثيل فيها أشخاص أو آلهة أو وحوش محاطة بورد أو بفروع لبلاب، أو مختبئة تحت ظلة من الشجر. في الردهة

التاسعة يوجد تمثالُ بستانيّ يحفر وفي القاعة الجنوبية الشرقية التاسعة عشرة يوجد تمثال لبستانيّ آخر يقلّم شجيرة ورد. من هذه الأشياء أستنبط فكرة *الحديقة*. لا أعتقد أن هذا يحدث مصادفةً. هذه هي الطريقة التي يضع بها البيتُ أفكارًا جديدةً برفقٍ وبشكلٍ طبيعيٍّ في عقول البشر. هذه هي الطريقة التي يزيد بها البيتُ من فهمي.

هذا الإدراك مشجِّعٌ جدًا وأنا ما عدت أشعر بالقدر نفسه من التخوف حين تُحرّك كلمةٌ عديمة المعنى في يومياتي صورةً ذهنيةً لا أستطيع تفسيرها. *لا يُصيبنّك القلق*، أقول لنفسي: *إنه البيت. إنه البيت يوسّع لك فهمك.*

جميع مواد اليوميات تحتوي على أسماء. لقد وضعتُ قائمةً بالأسماء التي وجدتُها حتى الآن. إنها خمسة عشر اسمًا. على افتراض أن اسم "كترلي" يرجع إلى الآخَر وأن اسمًا غيره يرجع إلى النبي، يبقى ثلاثة عشر اسمًا. هذا هو بالضبط عدد الموتى في قاعاتي. مصادفة؟ بعد التفكّر الحريص أميل إلى الاعتقاد بأنها قد تكون كذلك. ففي حين يُذكر خمسة عشر شخصًا *بالاسم*، يوجد تلميح إلى عدةٍ آخرين في النص: أشخاص من مثل الصديق الذي قالت داغوستينو له إنها ترغب في دراسة "الموت والنجوم والرياضيات"؛ و"رجال الشرطة" (الذين يرد ذكرهم في جميع النصوص)؛ والمرأة التي كانت تنظف منزل لورنس آرن-سيلز؛ والشبان الذين كان لورنس آرن-سيلز يُحضرهم لياليَ السبت. من المستحيل الجزم في هذه المرحلة الحاسمة بعدد هؤلاء الأشخاص.

القسم الرابع

16

أسترجعُ قصاصات الورق من القاعة الغربية الثامنة والثمانين

مادة اليوم الأول من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

لم أكن نسيت قصاصات الورق التي عثرت عليها في القاعة الغربية الثامنة والثمانين، ولا التي بقيَت هناك، في أعشاش النوارس الفضية.

قبل يومين جمعتُ مؤونةً من أجل الرحلة: طعام، وبطانيات، وقِدر صغيرة أسخّن فيها الماء، وبعض الخرق. انطلقت ووصلت إلى القاعة الغربية الثامنة والثمانين في منتصف الأصيل تقريبًا. لا بد أن النوارس كانت قد خرجت تبحث عن الطعام لأنني لم أجد أيًّا منها في القاعة، غير أن الفضلات الطازجة على التماثيل أظهرت أنها ما زالت تتخذ المكان مسكنًا لها.

على الفور بدأت العمل على استخراج قصاصات الورق من الأعشاش. كانت درجة سهولة القيام بهذا متفاوتة. في بعض الأعشاش كان العشب البحري جافًا وتفكّك حالما شددتُه، لكنّ

قصاصات الورق في أعشاش أخرى كانت شديدة الالتصاق بالعشب البحري بفعلِ زرق النوارس. أشعلتُ نارًا باستخدام عشب بحري جاف من الأعشاش القديمة؛ سخّنت الماء بالقِدر؛ ثم غمستُ خرقةً بالماء ومرّرتُها برفق على الورق العالق في الأعشاش. كان عملًا دقيقًا: إن كانت كمية الماء الساخن أقل من اللازم لن تكفي لتُليِّنَ الزرق القاسي؛ وإن كانت أكثر من اللازم سيتفتّت الورق نفسه. استغرق الأمر عدة ساعات من العمل الشاق، لكن بحلول مساء اليوم الثاني كنت قد استرجعتُ تسعًا وسبعين قصاصة من خمسة وثلاثين عشًّا. تفحّصت كلَّ عش من جديد حتى اقتنعت أنه لم يتبقَّ المزيد.

هذا الصباح عدتُ إلى قاعاتي.

أمضيتُ بعض الوقت أحاول تجميع الكتابة. في النهاية، بعد ساعة، صار لديّ جزء من صفحة -ربما نحو نصفها- وبضع قطع أصغر من صفحات أخرى.

كانت الكتابة رديئة جدًا، مليئة بالشطب. رحت أقرأ:

... الذي فعله بي. كيف أمكنني أن أكون بهذا الغباء؟ سوف أموت هنا. ما من أحد قادم لإنقاذي. سوف أموت هنا. الصمت [جزء مفقود] *ما من صوت، لا شيء سوى خبط البحر في الغرف بالأسفل. ما من شيء آكله. أنا أعتمد عليه في أن يجلب لي الطعام والماء – وهذا يؤكد وحسب حالتي بوصفي سجينًا، عبدًا. هو يترك لي الطعام في الغرفة التي تحتوي على تماثيل المينوتورات. إنني أطلق*

العنان لنفسي في تخيّلات طويلة أرى نفسي أقتله فيها. في إحدى الغرف المدمرة عثرتُ على قطعة مسنّنة من الرخام بحجم قرميدة سطوح تقريبًا. لقد فكّرت في تحطيم رأسه بها. هذا سيُشعرني برضًى عظيم...

كانت هذه كتابةٌ لشخص غير سعيد يملؤه الغضب. تساءلت من تراه يكون؟ تمنيت لو أن بوسعي أن أمدّ يدي عبر كتابته كي أواسيه، كي أريه السمكَ الذي تعجّ به كل ردهة، أمهدةَ المحار التي تنتظر من يجمعها، كيف أنه بالقليل فقط من البصيرة لن يضطر أن يجوع أبدًا، كيف أن البيت يوفّر لأبنائه قُوتَهم ويحميهم. تساءلت عن مضطهِده، الرجل الذي استعبده. شعرت بالحزن الشديد من فكرة أن خصومةً كهذه وُجدت بين كائنين بشريين، بل ربما حتى بين اثنين من موتاي أنا. أيكون الشخص المستتر عذّبَ رجلَ علبة البسكويت؟ أو العكس؟

بحذر شديد قلبتُ القصاصات وعاينتُ الوجهَ الآخر. هنا كانت الكتابة أسوأ بعد.

إنني أنسى. إنني أنسى. البارحة لم أستطع أن أتذكر عبارة "عمود إنارة". هذا الصباح خلتُ أن أحد التماثيل يكلّمني. قضيتُ بعض الوقت (نحو نصف ساعة كما أظن) أتحدث إليه. إنني ***أفقد عقلي****. كم هو مريع، كم هو رهيب أن أكون في هذا المكان البغيض وأكون* ***مجنونًا****. أنا* ***مصمّم على أن أقتله*** *قبل حدوث هذا. قبل أن أنسى لماذا أكرهه.*

تنهّدتُ حين انتهيتُ من هذا. أخذتُ ثلاثة ظروف أعطاني الآخر إياها ذات مرة. في الأول وضعت القصاصات التي نجحتُ في تجميعها معًا. على الظرف من الخارج كتبتُ بحذر نسخةً من النصَّين. في الظرف الثاني وضعت بعض القصاصات التي تتصل وتشكّل أجزاء من جُمل. في الظرف الثالث وضعت القصاصات التي لم أستطع أن أجد أخرى تكمّلها.

مشكلة

مادة اليوم الثاني من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

ثمة مشكلة ملحّة تشغلني في اللحظة الحالية: إذا ما كان يجدر بي أن أسأل الآخَر عن ستانلي أوفندن وسيلفيا داغوستينو والمسكين جيمس ريتر وماوريتسيو جوساني أم لا. النبي دعا الآخَر "كترلي". في مادة اختفاء ماوريتسيو جوساني يظهر اسم "كترلي" بجوار اسمَي داغوستينو وأوفندن، واسمِ جوساني نفسه. من هذا أستنتجُ أن الآخَر كان على معرفة بهؤلاء الأشخاص. إنني أتوق إلى أن أعرف المزيد عنهم، وقد وصل السؤال إلى طرف لساني عدة مرات. لكنني كنت أتردد في اللحظة الأخيرة كل مرة. لنفترض أنه قال: *من أين سمعت بهؤلاء الأشخاص؟ من أخبرك؟*، لن أعرف ماذا أقول. يجب ألا يعلم أنني تحدثت إلى النبي. يجب ألا يعلم بشأن المواد التي في يومياتي.

إن الريبة تملؤه. لا يفكر في شيء سوى اقتراب 16. قبل شهرين أعلن عن نيته الذهاب إلى القاعة الغربية المئة والثانية والتسعين وتأدية الطقس الشعائري، الذي يعتقد أنه سوف يستحضر المعرفة العظيمة والسرية، لكن في الوقت الحاضر كل هذا بات طيَّ النسيان.

ليمون

مادة اليوم الخامس من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح كنت في طريقي من القاعة الشمالية الثالثة إلى الردهة السادسة عشرة. خرجتُ من القاعة الشمالية الأولى ودخلت إلى الردهة الأولى. تقدمتُ خطوة أو اثنتين، ثم توقفت.

كان شيء ما قد حدث لتوه. ما هو؟ ما الذي حدث للتو؟

تراجعت بضع خطوات عبرَ الباب وتنفّست. ها هو ذا مجددًا! رائحة. عطر ليمون وورق جيرانيوم وجَوثن ونرجس.

كانت قوية بحق في هذه الرقعة تحديدًا. أحدهم –شخص يضع عطرًا جميلًا– وقف مدةً في الباب، ربما كان ينظر إلى الأفق الطويل من القاعات المتضائلة. رجعتُ إلى القاعة الشمالية الأولى لكنني لم أجد للرائحة أثرًا هناك. عدت إلى الردهة الأولى ومررتُ جنوبًا بمحاذاة

الجدار تحت أحد تماثيل المينوتورات. أجل، كانت الرائحة ظاهرة هنا أيضًا. تتبّعتُ الطريق الذي سلكه الشخص وصولًا إلى نقطة بين باب القاعة الغربية الأولى وباب الممر المفضي إلى القاعة الجنوبية الغربية الأولى. وهناك أضعتها.

مَن هذا الشخص الذي مر من هذا الطريق؟ ليس الآخر. أنا أعرف العطر الذي يضعه: رائحة حادة من الكزبرة والورد وخشب الصندل. النبي؟ كنت أتذكر عطره جيدًا. هو الآخر مختلف جدًا – البنفسج كان الرائحة السائدة، مع أثر من القرنفل والكشمش الأسود والورد.

كلا، هذا شخص جديد.

لقد جاء 16. إن 16 هنا.

بدأ قلبي يخفق بسرعة أكبر. نظرت في أنحاء الردهة. كانت المساحة الهائلة مظلمة بفعل الظلال المخملية للمينوتورات مع شظايا من الضوء الذهبي بينها. لم يخرج 16 من مخبأ ما ليبدأ بإصابتي بالجنون. غير أنه كان هنا، وربما قبل وقت لم يتجاوز الساعة.

فاجأني أن شخصًا مثل 16، شخصًا شغوفًا هكذا بالدمار والجنون، يضع عطرًا بهذا الجمال، يعبق بنور الشمس والسعادة. لكنني سرعان ما قلت لنفسي إن من الحماقة التفكير بهذه الطريقة. *تعاملْ مع الأمر على أنه تحذير*، قلت: *كن متيقظًا. لن يُظهر 16 نواياه الشريرة على وجهه. من الراجح جدًا أنه سيكون لطيف المظهر. سوف يكون أسلوبه ودودًا ولمّاحًا. بهذه الطريقة ينوي أن يدمرك.*

المزيد من الأشخاص الذين ينبغي قتلهم

مادة اليوم السابع من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح أخبرتُ الآخر عن العطر في الردهة الأولى. لدهشتي، تلقّى الخبر بهدوء إلى حد كبير.

«أجل، حسنًا، لقد بدأت أفكر أن من الأفضل أن ننتهي من الأمر»، قال: «عوضًا عن البقاء في مكاننا ننتظر حدوثه. إضافة إلى ذلك، لعل الموضوع ليس بهذا السوء بعد كل شيء».

«لكنني ظننتك قلت إن 16 يشكل تهديدًا عظيمًا لنا»، قلت: «ظننتك قلت إنه يهدد سلامتك وعقلي؟».

- هذا صحيح.

- إذًا كيف يمكن أن يكون قدومه إلى هنا أمرًا جيدًا؟

- لأن التهديد الواقع علينا عظيم إلى درجة لا تترك لنا خيارًا سوى أن نقوم بتصفية 16 نهائيًا.

- كيف نفعل هذا؟

على سبيل الجواب، وضع الآخر إصبعيه بجانب رأسه مقلدًا المسدس وأصدر صوتًا: *بووم!*

ذُهلت. «لا أظن أن بوسعي قتل شخصٍ مهما بلغ من الشر»، قلت: «حتى الأشرار يستحقون الحياة. وإن كانوا لا يستحقونها، فليسلبهم إياها البيت. لا أنا».

«أنت محق على الأرجح»، قال: «لست متأكدًا أنني أستطيع قتل شخصٍ بيديّ». عاين يدَيه مستغرقًا في التفكير، يفرد أصابعه ويقلّبها. «غير أن المحاولة ستكون أمرًا مثيرًا للاهتمام. طيب، اسمع. سأحضر مسدسًا. ذلك سيجعل الأمر أسهل، أيًا كان الذي سيفعلها منا. وهذا يذكّرني، ثمة احتمال -احتمال صغير- أن يأتي شخص آخر إلى هنا. إن حدث ورأيت شيخًا...».

«... شيخ؟»، قلت مجفلًا.

«... أجل، شيخ. إن رأيتَه، أخبرني على الفور. هو ليس بمثل طول قامتي. نحيل جدًا. شاحب. تعلو عينيه طيّتان من الجلد، وله فم أحمر رطب». صدرت عن الآخر رعدة لاإرادية ثم قال: «لا أعرف لماذا أصفه لك. ليس الأمر كما لو أن حشودًا من الشيوخ ستبدأ بالظهور».

«لماذا؟ هل ستقتله هو أيضًا؟»، سألته قلقًا. لم يكن لديّ شك أن الآخر يتحدث عن النبي.

«حسنًا، كلا»، قال. سكت قليلًا. «لكن بما أنك ذكرت الأمر، فإن الوقت قد حان كي يفعل أحدٌ ما ذلك. لطالما أذهلني أن أحدًا لم يقتله حين كان في السجن. على كل حال، أخبرني إن رأيته».

أومأت بطريقة غير ملزمة قدر ما استطعت. لقد طلب الآخر مني أن أخبره إن رأيت النبي في المستقبل، لا إن كنت قد رأيته في الماضي، لذا لم أكن أكذب بالضبط. الأمر الجيد الوحيد في ما يتعلق بهذا التطور الجديد هو أن النبي قد رجع إلى قاعاته وقال بحسمٍ كبير إنه لا ينوي أن يعود.

أعثرُ على كتابة لـ 16

مادة اليوم الثالث عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

طيلة خمسة أيام تساقط مطر رمادي غزير مستمر في جميع الردهات. صار العالَم رطبًا وباردًا وتجمعت برك ماء على الأرصفة الحجرية عند أبواب الردهات. امتلأت القاعات بزقزقة الطيور التي قصدَتها طلبًا للمأوى.

شغلت نفسي قدر ما استطعت. كنت أرتق شباك صيدي وأتمرن على موسيقاي. لكن طوال الوقت تدور في خلفية ذهني فكرةُ أن 16 هنا وينوي أن يصيبني بالجنون. لم أملك أدنى فكرة عن موعد حلول الأزمة، وهذا لم يكن شعورًا سارًّا.

اليوم توقف المطر. عاد الهناء إلى العالَم من جديد.

سلكتُ طريقي إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة، التي كانت تؤوي سربًا من الغدفان. ما إن أبصرَتني حتى نزلَت عن مجاثمها على التماثيل العالية، محوّمةً تصفق أجنحتها وتتصايح. نثرتُ فُتاتًا من السمك لأطعمها. حطّ اثنان منها على كتفيّ. أخذ أحدهما ينقر أذني، محاولًا اكتشاف إذا ما كانت صالحة للأكل. جعلني ذلك أضحك. واقفًا وسط خشخشة الأجنحة السوداء ودورانها، لم أكن أعير انتباهًا لموجودات محيطي ولم أرَ للوهلة الأولى أنه، على باب إلى يميني، كانت توجد علامة، خطّ بالطبشور الأصفر الفاقع. ثم رأيتها. أبعدت الطائرين عن كتفيّ وذهبت أنظر.

قبل وقت طويل اعتدتُ أن أعلّم الأبواب والأرضيات بالطبشور على هذا النحو لأنني كنت أخاف أن أضل طريقي. لم أفعل ذلك منذ سنوات، لكنني حين نظرت إلى هذه العلامة الصفراء ظننت أول الأمر أنها لا بد واحدة من علاماتي، نجَت بشكلٍ ما من الفيضانات والمدود والرياح والأمطار والضباب. غير أنني في الوقت نفسه كنت أعلم أنني لم أمتلك يومًا طبشورًا أصفر. لدي بعض الطبشور الأبيض، وبعض الطبشور الأزرق، والقليل من الطبشور الوردي. أما طبشور أصفر؟ لا، لم يكن لديّ مثل هذا قط.

ثم رأيت أنه يوجد على الرصيف قرب الباب المزيد من علامات الطبشور، هذه المرة بالأبيض.

كلمات! ليست كلمات الآخَر. هو قلّما يغامر بالابتعاد حتى هذه المسافة عن الردهة الأولى. كلا، هذه الكلمات لشخص غيره. 16!

وقفتُ لحظةً أحاول استيعاب ذلك. هذا أمر لم يخطر لي بتاتًا: أنّ 16 قد يترك كلمات مكتوبة ليصيب الناس بالجنون! (لا بُدَّ لي من أن أحيّي إبداعه. لست متأكدًا أن هذا كان ليخطر لي أنا).

لكن أيمكن لها حقًا أن تصيبني بالجنون؟ جميع تحذيرات الآخر كانت بشأن تحدّثي مع 16، بشأن استماعي إليه. أليس من الممكن أن يكون الخطر كامنًا في شيء متعلّق بصوت 16؟ ربما تكون الكلمات المكتوبة آمنة؟ (أدركت أن كلام الآخر كان يفتقر إلى التحديد على نحو مزعج).

اتّجهت عيناي إلى الأسفل بحذر. رحت أقرأ:

الغرفة 13 بدءًا من المدخل. طريق العودة هو كما يلي. ندخل من هذا الباب وننعطف إلى اليسار مباشرةً. ندخل من الباب الذي أمامنا ثم ننعطف إلى اليمين. نلزم الجدار الأيمن. نترك أول بابين ثم...

توجيهات. ما هي إلا توجيهات.

لم يبدُ هذا شديد الخطورة. وقفت لحظة وفحصت نفسي بحثًا عن علامات على جنون وشيك أو ميلٍ إلى أذيّة الذات. إذ لم أعثر على أيٍّ من ذلك، تابعت القراءة.

كانت توجيهات من القاعة الشمالية الغربية السادسة إلى الردهة الأولى. رغم أن المسار بحد ذاته متعرج بعض الشيء، فالتوجيهات واضحة ودقيقة ووافية، والحروف نفسها منتظمة الاصطفاف وسارّة المظهر.

باستخدام هذه التوجيهات، تتبّعت مسارَ 16 وصولًا إلى الردهة الأولى. كان كل باب أعبر منه معلّمًا بحرصٍ بالطبشور الأصفر. العلامات أخفض من مستوى عينيَّ بقليل. (أقدّر أنّ 16 أقصر قامةً مني بـ 12 إلى 15 سنتيمترًا). لقد كرّر، تحت إطار كل باب، كتابة توجيهاته من جديد بحيث، إذا تعرض أيٌّ منها للتلف بفعل المدود أو ما شابه، تظل لديه البقية. كم هو منظَّم في عمله!

ذهبت إلى القاعة الشمالية الثانية وأحضرت بعض الطبشور الأزرق. ثم رجعت إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة حيث رأيت توجيهات 16 أول مرة. (يبدو أن هذا أبعد مكان بلغه). تحت كتابته كتبتُ:

عزيزي 16

لقد حذّرني الآخَر من نيّتك أن تصيبني بالجنون. لكن حتى تصيبني بالجنون، عليك أولًا أن تجدني، وكيف ستفعل هذا؟ الجواب هو أنك لن تفعل. أنا أعرف كل مشكاة من هذه القاعات، كل حَنيّة، كل مكان يمكن الاختباء فيه. ارجع إلى قاعاتك يا 16، وتفكَّرْ في شرّك.

كتابة هذه الرسالة خففت ما كنت أختبره من شعور بأني مطارَد. شعرت أن سيطرتي على الوضع باتت أكبر بكثير – تكاد تكون مثل سيطرة 16 . الصعوبة الوحيدة التي واجهتها كانت أنني لم أعرف بماذا أوقّع الرسالة. لم يكن بوسعي أن أكتب "صديقك" مثلما سبق وكتبت

للآخَر أو للورنس (الشخص الذي كان يريد أن يرى تمثال الثعلب المتقدم في السن الذي يعلّم سناجب). أنا و16 لسنا صديقين. حاولت أن أوقّع "عدوّك"، لكنّ هذا بدا صِدامِيًّا من غير ضرورة. فكّرت في "الشخص الذي لن يُذعن أبدًا لمحاولتك إصابته بالجنون"، لكنّ هذا كان طويلًا جدًّا (ويتّسم بقدرٍ غير قليل من الغرور). في النهاية، اخترت ببساطة أن أوقّع:

بيرانيسي

بما أن هذا هو الاسم الذي يدعوني الآخَر به.

(لكنني لا أظن أنه اسمي).

أسألُ الآخَرَ عن كتابة 16

مادة اليوم الرابع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

التقيتُ بالآخر هذا الصباح في القاعة الجنوبية الغربية الثانية. كان يرتدي بدلة صوف بدرجة متوسطة من الرمادي وقميصًا لا تشوبه شائبة بدرجة أغمق من الرمادي. كان في مزاج هادئ وجادٍّ وشديد التركيز. حين أخبرته عن الكلمات التي وجدتها مكتوبة بالطبشور على رصيف القاعة الشمالية الغربية السادسة، اكتفى بالإيماء.

«هل بوسع 16 أن يسبّب الجنون بواسطة الكلمة المكتوبة؟»، سألته: «أما كان يحسن بي أن أقرأها؟».

«كلمات 16 خطيرة كيفما كان الشكل الذي تتخذه»، قال: «كان الأفضل ألا تقرأها. لكنني لا ألومك. الأمر باغتك. لم تكن تتوقع رسالةً مكتوبة. إن أردتَ الصراحة فالأمر لم يخطر لي أنا أيضًا. لكن هذا وقتٌ حرج. علينا أن نتوخّى المزيد من الحذر».

«سوف أفعل. أعدك»، قلت.

ربّت على كتفي بضع مرات مشجّعًا. «ثمة خبر جيد أيضًا»، قال: «حسنًا، نوعًا ما. لقد تمكنت من الحصول على مسدس. لم يكن الأمر بالصعوبة التي تخيلتُها نهائيًا. لكن - وأظن أن هذا هو الخبر السيئ...»، اكتسى وجهه بتعبير كئيب، «... تبيّنَ أنني سيئ للغاية في الرماية. لا يبدو أنني قادر على إصابة أي شيء على الإطلاق. سيتوجب علي أن أتمرن، كما أظن. لست متأكدًا تمامًا كيف سيمكن لي هذا، لكن على كل حال... ما أريد قوله هو، يا بيرانيسي، حاول ألا تقلق. بطريقة أو بأخرى سوف ينتهي هذا الكابوس عما قريب».

«أوه، أرجوك!»، توسّلتُ إليه: «دعنا لا نقتل 16!».

ضحك. «وما البديل؟ أن نترك أنفسنا نصاب بالجنون؟ لا أظن ذلك».

قلت: «لكن عندما يرى 16 أن خطته لا تنفع، عندما يرى كيف نتجنبه، ربما يرجع إلى قاعاته».

هزّ الآخر رأسه. «هذا غير محتمل أبدًا يا بيرانيسي. أنا أعرف هذا الشخص. 16 عنيد. 16 سوف يظل يأتي».

نورٌ في الظلمة

مادة اليوم السابع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

مضت ثلاثة أيام. ظللت أترقّب علامات تدل على أن 16 مرّ في قاعاتنا، إلا أنني لم أعثر على أيّ من ذلك. ثم في منتصف الليلة الثالثة استيقظتُ على حين غرة. كان شيء ما قد أيقظني، لكنني لم أعرف ما هو.

نهضتُ جالسًا. نظرتُ حولي. النجوم تتقد ساطعةً في جميع النوافذ. التماثيل الألف في القاعة الشمالية الثالثة، مضاءةً بالنجوم على نحوٍ واهٍ، تُطلّ على القاعة كأنها تُباركها. كل شيء على حاله المعهود؛ ومع ذلك لم أستطع أن أتخلص من الشعور بأن هنالك شيئًا يحدث.

كان البرد شديدًا. انتعلتُ حذائي وارتديتُ كنزةَ صوف، وسرتُ إلى القاعة الشمالية الغربية الثانية. كلها فارغة؛ كلها هادئة؛ كلها غارقة في السكينة.

عبرتُ من باب على يميني إلى داخل قاعة أخرى. هنا سمعتُ صوتًا واهيًا. كان الصوت يتكرر بإيقاع غير منتظم، وإذ تابعتُ المشي، ازداد ارتفاعًا. بدا أشبه بجؤارٍ بعيدٍ لحيوان.

انبعثت بدايةُ ضوءٍ واهية تتفتّح من باب عند الطرف الآخر من القاعة. كنت للتو لاحظتُ هذا عندما راح الضوء يتغير ويزداد سطوعًا إلى أن صار شعاعًا يشقّ الظلمة وينير التماثيل على الجدار المقابل! حينها، على نحو مفاجئ بالقدر نفسه، خبا مجددًا.

سرتُ إلى الباب واختلستُ النظر إلى الداخل.

كان يوجد شخصٌ في القاعة التالية – شخص يحمل مصباحًا يدويًا ينقّل ضوءه بسرعة من جدار إلى جدار، من زاوية إلى زاوية، مفتشًا في الظلام عن شيء ما أو عن شخص ما. (هذا هو ما جعل الضوء يزداد قوةً فجأةً ثم يخبو من جديد). كان الشخص يصيح: «رافاييل! رافاييل! أعلم أنك هنا!».

إنه الآخر.

«رافاييل!»، صاح مجددًا.

صمْت.

«ما كان يجدر بك القدوم إلى هنا قط!»، صاح.

صمت.

«أنا أعرف كل إنش من هذا المكان! لا يمكنك الفرار! سأجدك في النهاية».

صمت.

انسللتُ إلى داخل القاعة، وفعلتُ هذا بأقصى اقتصاد في الحركة. غير أن الآخر لا بد لمح ذلك بزاوية عينه لأنه استدار بسرعة وسلط ضوء المصباح على الباب الذي عبرت منه لتوي، لكن المصباح، بسبب فجائية حركته، أفلت من يده وراح يتدحرج على الرصيف. أخمد الضوءُ نفسَه.

«سحقًا!»، هتف الآخر.

عاد الظلام إلى القاعة. كانت المدود تتحرك في القاعات بالأسفل. نظر الآخر حوله مفتشًا عن مصباحه يغمغم لنفسه.

بدأت عيناي، اللتان لم تريا إلا القليل حين أبهرهما المصباح، تتأقلمان مع ضوء النجوم من جديد. في بادئ الأمر، لم أكن أرى شيئًا سوى القاعة الهادئة، لكن سرعان ما مرّت رقّةُ حركةٍ بمحاذاة الجدار الجنوبي، من الشرق إلى الغرب. كانت مجرد لمحة من ظل رمادي أمام التماثيل التي تومض وميضًا واهيًا وكدت أصدق أنني أتخيلها وحسب. لكنني لم أكن أتخيلها. مرَّت عبر باب يفضي إلى القاعة الشمالية الغربية الخامسة.

16!

كان الآخر قد وجد المصباح. جعله يُصدر شعاعَه مجددًا. ثم خرج من القاعة عن طريق أحد الأبواب الشمالية.

انتظرت حتى انصرف ثم ركضتُ بسرعة، وبلا جلبة، خلف 16. اختبأت في باب القاعة الشمالية الغربية الخامسة.

كان 16 واقفًا في القاعة. مثل الآخر، كان معه شعاع من الضوء؛ لكن على عكس الآخر، لم يكن يقلّبه في الأنحاء على غير هدًى. كان يسلّطه بثبات على جدران القاعة. أنار الضوءُ الأبيض الفضي القوي التماثيلَ الجميلة ومنح كلًا منها ظلًا جديدًا غريبًا، حتى بدت الجدران كأنها مكسوة بريش أسود كثيف. راح 16 يحرك المصباح ببطء، جاعلًا الظلال الريشية تستطيل وتتضاءل وتنقضّ وتدور. أما عن 16 نفسه، فما كنت أستطيع أن أرى شيئًا منه. كان مجرد لطخة خلف الضوء المُبهر.

تأمل 16 التماثيل عدةَ دقائق. ثم وجّه الضوء بعيدًا عن الجدران وسار نحو باب يفضي إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة. تفقّد عضادة الباب ليطمئن أن علامة الطبشور التي رسمها ما تزال هناك، وعبرَ منه. تبعتُه واختبأتُ في المدخل التالي.

في القاعة الشمالية الغربية السادسة، كان 16 يسلط ضوء مصباحه على الرسالة التي كتبتها. وقف بلا حراك لحظةً طويلة. كنت قد قلت له أن يتفكر في شرّه. أكان هذا ما يفعله؟ فجأةً جثا على ركبتيه وبدأ يكتب بسرعة.

لم يسبق لأي أحد أن كتب إليّ من قبل.

ظلَّ 16 يكتب وقتًا طويلًا، وهذا سرّني بطريقة مبهمة. لكنني لم ألبث أن قلت لنفسي: *لماذا أنت مسرور؟ فيمَ يهم أكانت الرسالة طويلة أم قصيرة؟ أنت تعلم أنك لا تستطيع أن تقرأها. إن قرأتها*

سوف تصاب بالجنون. شعر جزءٌ مني (جزء أحمق للغاية) أن قراءة الرسالة تكاد تستحق الإصابة بالجنون.

التأمَ الظلامُ أمام 16 متخذًا شكلين أسودين جامحين راحا يرفرفان ويضربان الهواء. مجفلًا، نطّ 16 في مكانه وأفلتَ صيحة فزع.

كانا مجرد غدافَين أيقظتهما الحركةُ غير المعتادة وجاءا ليريا ما الذي يحدث.

«اغربا عن وجهي!»، صاح 16: «اغربا عن وجهي! ابتعدا! لديّ ما يشغلني».

لم يكن صوت 16 مثل ما توقعتُه على الإطلاق.

انصرفتُ بلا جلبة مثلما جئت. سلكت طريقي عائدًا إلى القاعة الشمالية الثالثة واستلقيت في فراشي. غير أن ذهني كان ممتلئًا أكثر من أن يسمح لي بالنوم.

أمحو رسالةً من 16

المادة الثانية لليوم السابع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

ما إن طلعت الشمس حتى أخذتُ فهرسي ويومياتي. فتحت الفهرس على حرف R، لكن لم تكن ثمة مادة لـ "رافاييل".

تناولت بعض الطعام سريعًا وحمدتُ البيتَ على إحسانه. كان لدي سؤال أحتاج أن أطرحه على الآخَر، لكن اليوم ليس من الأيام التي نلتقي فيها أنا والآخر، لذا علمت أن على سؤالي أن ينتظر.

انطلقت إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة. حيّتني الغدفان بصخب، لكن لم يكن لدي وقت كي أتحدث إليها اليوم. كانت رسالة 16 تغطي من الرصيف مساحةَ 60 سنتيمترًا بـ 80 سنتيمترًا تقريبًا.

أخذ قلبي يخفق بسرعة في صدري. ألقيت نظرة:

رأيت الكلمات التالية:

اسمي هو...

رأيت الكلمات التالية:

... لورنس آرن-سيلز...

رأيت الكلمات التالية:

... الغرفة ذات تماثيل المينوتورات...

ماذا يجدر بي أن أفعل؟ كنت أعلم أنني، ما دامت الرسالة موجودة، سأشعر برغبة ملحّة في قراءتها. قررت أن خياري الوحيد هو أن أتلفها.

ركضت عائدًا إلى القاعة الشمالية الثالثة وأخذت قميصًا قديمًا وبعض الطبشور. أقول "قميص"؛ في الحقيقة، كانت قطعة الملابس

هذه رثّة إلى درجة أنها لا تكاد تستأهل الاسم. مزقتها نصفين. ثم ركضت عائدًا إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة. عصبتُ عينيَّ بأحد نصفَي القميص. ممسكًا النصف الآخر بيدي، جثوت على ركبتيّ وبدأت أمسح به سطح الرصيف، ماحيًا كلمات 16.

بعد بضع دقائق، أزلت العصابة عن عينيّ ونظرت. كانت أجزاء من الرسالة قد بقيَت هنا وهناك.

يمكن فهمه؟ اسمي هو

شُرطـ قراءة الملفات التي تتحدث عن اختـ

هو فالنتاين كِتر كيد تمت

استمالة ضحايا محتملين آخرين وأنا من أتباع المشعوذ لورنس

آرن–سيـ ـن أنه يعرف أنني اخترقتُ الـ ـود

هنا منذ ما يقارب ست سنوات، هل تـ مخرَج

تمَّ تحديـ ـني أنك ربما تعاني من

بما أن شيئًا من هذا الكلام لم يبدُ مفهومًا –على الأقل من النظرة الأولى– فقد أملتُ أنه لن يؤثّر فيّ. (حتى الآن أنا أشعر أنني على ما يرام). جثوتُ وكتبتُ ردًّا.

إلى 16

ما دمت في قاعاتنا سوف يحاول الآخَر أن يقتلك. لديه مسدس!

لقد محوتُ رسالتك دون أن أقرأها. كلماتك لم تمسّني. لم أُصَب بالجنون منك. لقد فشلَت خطتُك.

فضلًا! أرجو منك العودة إلى القاعات النائية البعيدة التي أتيت منها!

بيرانيسي

أُسائلُ الآخَر

مادة اليوم الثامن عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

اليوم عند الساعة العاشرة ذهبتُ إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية لألتقي بالآخر.

كان واقفًا عند القاعدة الخالية. يرتدي بدلة من الصوف البني الداكن وقميصًا بلون زيتوني داكن. حذاؤه اللامع كستنائيّ اللون.

«أريد أن أسألك سؤالًا»، قلت.

- حسنًا.

- لماذا لم تكن صادقًا معي؟

أظهر الآخرُ تعبيرًا باردًا. «أنا صادق معك دائمًا»، قال.

«لا»، قلت: «غير صحيح. لماذا لم تخبرني أن 16 امرأة؟».

ترجرجَ التعبيرُ على وجه الآخر منقلبًا من الإنكار المتغطرس، إلى الاهتياج، إلى الإذعان المتردد في غضون ما لا يتجاوز نصفَ ثانية. «حسنًا»، سلّم قائلًا: «أظنّ أن معك حقًا. لكنني لم أقل قط إنها ليست امرأة».

قلبتُ عينيّ من هذا الدفاع الضعيف للغاية. «إنني أتحدث عن 16 بضمير المذكر منذ شهور»، قلت: «وأنت لم تُخالفني – ولو مرة واحدة. لماذا؟».

تنهد الآخر. «حسنًا. السبب الذي جعلني لا أقول شيئًا هو أنني أعرفك يا بيرانيسي. أنت رومانسي. أوه، تتكلم عن أنك عالِمٌ تُناصر المنطق – وأنت كذلك معظم الوقت. لكنك رومانسي أيضًا. كنت أعلم أن إقناعك بالتهديد الذي تشكله 16 سيكون صعبًا بما فيه الكفاية أصلًا. غير أنني ارتأيت أنه سيكون أصعب حتى حالما تعرف أنها امرأة. المرأة ستثير اهتمامك أكثر بكثير. فكّرتُ أنك ربما حتى تقع في غرامها. لم أرَ أنك ستكون قادرًا على منع نفسك من التحدث إليها. أعلم أنك قد تجد هذا صعبَ التصديق، لكنني كنت في الحقيقة أعتني بك. كان من المهم جدًا ألا تثق بـ 16، لأن 16 بطبعها غير جديرة بالثقة. أترى؟».

ساد سكوت.

«حسنًا»، قلت: «شكرًا لك على الاعتناء بي. لستُ أعتقد أنني سأميل إلى صف امرأة بالسهولة التي يبدو أنك تلمّح إليها. أرجوك لا تُخفي الأمور عني في المستقبل».

«الحق معك»، قال الآخر. عبس. «على كل حال، كيف عرفت؟»، احتدّ صوتُه من التخوُّف، «أنت لم تكلمها، أليس كذلك؟».

«كلا. لقد رأيتُها في القاعة الشمالية الغربية السادسة وسمعتُ صوتها. هي لم ترني».

«سمعتَها؟»، بات الآخر أكثر تخوفًا بعد، «مع من كانت تتكلم؟».

«مع الغدفان».

«أوه»، سكت، «يا للعجب».

أقرر أن أبحث عن اسم لورنس آرن-سيلز في الفهرس

مادة اليوم التاسع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

الآخر محق بشأن شيء واحد. أنا لست عقلانيًا بالقدر الذي كنت أظنه. لقد كنت أبتسم (سرًا) من الآخَر كلما رأيتُه يتصرف بدافعٍ من حب الذات أو الغطرسة أو الغرور. أما تصرفاتي أنا فكانت، كما كنت متأكدًا، تتبع المنطق وحده. لكنني كنت أخدع نفسي وحسب. الشخص العقلاني ما كان ليكلم النبي في القاعة الشمالية الشرقية الأولى قط. الشخص العقلاني كان ليتابع تنظيف رصيف القاعة الشمالية الغربية السادسة حتى يُمحى كل أثر لرسالة 16.

ليس كون 16 امرأة هو ما يفتنني ويثير حماستي – أو على الأقل، ليس وحده؛ بل كونها كائنًا بشريًا آخر. أريد أن أعرف كل ما أستطيعه عنها – أو القدر الذي أستطيع معرفته دون أن أصاب بالجنون. (هذا هو الجزء الشائك).

لم أخبر الآخر عن الرسالة التي كتبَتها 16. ولا أخبرتُه أنه، بعد أن محوتُها، تبقّى القليل من أنصاف العبارات والجُمل التي تركتُها على حالها.

... **هو فالنتاين كِتر(لي)**... هذه إشارة إلى الآخر. النبي قال إن اسم الآخر هو فال كِترلي. ليس من المفاجئ أن تكتب 16 عن الآخر بما أنها، وفقًا لأقوال الآخر، مهووسة به وتريد أن تدمره.

... **(بالتأ)كيد تمت استمالة ضحايا محتملين آخرين وأنا**... هل تتفاخر 16 بضحاياها؟ بالأذى الذي ألحقَته وتنوي أن تُلحقه؟ غير واضح.

... **من أتباع المشعوذ لورنس آرن–سيـ(لز)**... كل الأمور تظل تقود إلى هذا الشخص لا غيره، لورنس آرن–سيلز، الذي أظن أنه النبي ذاته.

... **(موجـ)ـود هنا منذ ما يقارب ست سنوات، هل تـ**... غير واضح ما يشير هذا إليه.

مخرَج تمَّ تحديـ(ـده)... مقطع محيّر. يبدو أن 16 تريد أن تخبرني عن مخرَج. لكنني أعرف هذه القاعات، بكل مداخلها ومخارجها. أما هي فلا.

لقد بحثتُ عن 16 في فهرسي، باستخدام الاسم الذي ناداها الآخر به. ليست موجودة. لذا سوف أبحث عن لورنس آرن-سيلز.

لورنس آرن-سيلز

المادة الثانية لليوم التاسع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

مرةً أخرى أخذتُ فهرسي ودفاتر يومياتي إلى القاعة الشمالية الخامسة وقعدتُ قبالةَ تمثال الغوريلا. فلتهبْ لي قوتُه وتصميمُه الشجاعة! فتحتُ الفهرس على حرف A.

كانت توجد تسع وعشرون مادة عن لورنس آرن-سيلز. بعضها يتكون من سطر أو اثنين فقط؛ بعضها الآخر يمتد على عدة صفحات. تصفحتُ نصفها تقريبًا، لكنني لم أخلص إلى شيء. كانت المعلومات التي تحتويها متنوعةً بشدة: قوائم منشورات، سيرة، اقتباسات، وصف لأشخاص التقاهم آرن-سيلز شخصيًا. صادفتُ مادةً تحمل عنوان: *لورنس آرن-سيلز: إيجابيات كتابةِ كتاب*

وسلبياتها، وبما أن فكرة كتابة كتاب تستهويني للغاية، قرأتُ هذه المادة باهتمام.

مشروع محتَمل: كتاب عن آرن-سيلز، يتقصّى فكرةَ المفكّرين المُتعدّين - الأشخاص الذين تتجاوز أفكارُهم ما يُعَدّ مقبولًا ضمن فرعٍ من فروع المعرفة (أو حتى ممكنًا). المهرطقون.

لست متأكدًا إذا ما كان هذا استثمارًا جيدًا لوقتي أم لا. الإيجابيات والسلبيات.

- لقد قامت أنغهارد سكوت بعملٍ مقبولٍ بكتابها، ملعقة طويلة[1]: لورنس آرن-سيلز ودائرته. *(أمر سلبي)*

- رغم ذلك، مجال قوة سكوت هو السيرة، لا التحليل. هي أول من يعترف بهذا. (أمر إيجابي؟ حيادي؟)

- سكوت نفسها شخص كريم، مشجِّع، مستعد للمساعدة. سوف تود أن ترى كتابًا آخر مكتوبًا. لقد أعطتني الكثير من المعلومات عن الخلفية ووضحت لي أن هناك المزيد. انظر ملاحظات على مكالمة هاتفية مع أنغهارد سكوت، ص153. (أمر إيجابي)

---

(1) نسبةً إلى المقولة الإنجليزية: "من يتعشى مع الشيطان يجب أن تكون بحوزته ملعقة طويلة"، التي تشير إلى ضرورة التعامل بحذر مع الأشخاص السيئين. (المترجم)

- آرن-سيلز موضوع مثير إلى حد بعيد؟ فضيحة كبرى، محاكمة، حكم بالسجن... إلخ. (أمر إيجابي)

- آرن-سيلز مثال ممتاز على المفكرين المتعدّين - هو متعدٍّ من أكثر من ناحية - أخلاقيًا، فكريًا، جنسيًا، جنائيًا. (أمر إيجابي)

- التأثير الاستثنائي الذي كان له في أتباعه، إذ جعلهم يصدقون أنهم رأوا عوالم أخرى... إلخ. (أمر إيجابي)

- آرن-سيلز يرفض التحدث إلى الأكاديميين/ الكتّاب/ الصحفيين. (أمر سلبي)

- رفاقه المقربون -الأشخاص الذين عرفوه في الفترة التي ادعى أنه كان يتنقل فيها ذهابًا وإيابًا بين هذا العالَم وعوالم أخرى- قليلون. والعديد منهم اختفوا، ومعظم الآخرين لن يتحدثوا إلى صحفيين. (أمر سلبي)

- كانت تالي هيوز طالبة آرن-سيلز الوحيدة التي أبدت استعدادًا للتحدث إلى أنغهارد سكوت. وفقًا لأقوال سكوت، هيوز غير مستقرة عاطفيًا وربما تعاني من الأوهام. جيمس ريتر تحدث إلى صحفي (لايساندر ويكس) عام 2010. أتراه يستحق إجراء محادثة؟ وفقًا لأقوال ويكس، ريتر يعمل ناطورًا في مبنى بلدية مانشستر. هل من الجدير التحقق إذا ما كان ويكس نفسه يشتغل على كتاب؟ (ليس أمرًا إيجابيًا ولا سلبيًا - حيادي)

- الغموض المحيط بالأشخاص ذوي الارتباط بآرن-سيلز الذين اختفوا: ماوريتسيو جوساني، ستانلي أوفندن، سيلفيا داغوستينو. (هذا عامل جذب قوي للقراء ولذا فهو أمر إيجابي دون شك. إلا إذا اختفيتُ أنا نفسي، في هذه الحالة يكون أمرًا سلبيًا)

- قضاء وقت طويل في الكتابة عن رجل كريه للغاية قد يكون مسألةً شاقّةً من الناحية العاطفية. مما لا يختلف فيه اثنان أن آرن-سيلز خبيث، انتقامي، مراوغ، حقود، متغطرس، وغد منقطع النظير. (أمر سلبي) مكتبة سُر مَن قرأ

لست متأكدًا ماذا تكون نتيجة هذا. ترجح كفةُ السلبيات بقدر طفيف جدًا؟

لم يُعلمني هذا سوى بقدر شحيح عن لورنس آرن-سيلز بحد ذاته. المادة الأخيرة تمامًا كانت الأغزر بالمعلومات. وهي تُدعى:

ملاحظات من أجل خطاب سيُلقى في "ممزَّق ومَعميّ": مهرجان للأفكار البديلة، غلاستونبري، 24-27 مايو 2013

بدأ لورنس آرن-سيلز بفكرةِ أن الأوّلين كانت لهم طريقة مختلفة في التواصل مع العالَم، إذ قامت تجربتهم معه على أنه شيء يتفاعل معهم. حين يراقبون العالَم، كان العالَم يراقبهم هو الآخر. على سبيل المثال، إن أبحروا على متن قارب في نهر، فالنهر كان بالطريقة نفسها يعي أنه يحملهم على ظهره ويوافق على ذلك في الواقع. حين ينظرون إلى النجوم، لم تكن الكوكبات مجرد أنماط تمكّنهم من تنظيم ما يرونه،

بل كانت حواملَ للمعنى، تدفقًا لا ينتهي للمعلومات. كان العالَم يتكلّم بلا انقطاع مع البشر الأوّلين.

كل هذا لم يتجاوز حدود التاريخ الفلسفي التقليدي بقدر أو بآخر، لكنّ الأمر الذي يتمايز فيه آرن-سيلز عن نظرائه هو إصراره على أن هذا الحوار بين الأوّلين وبين العالَم لم يكن مجرد شيء يحدث في رؤوسهم، بل هو شيء يحدث في العالم الحقيقي. الأوّلون كانوا يدركون العالَم مثلما هو في حقيقته. هذا منحهم نفوذًا وسلطةً استثنائيَّين. لم يكن الواقع قادرًا على المشاركة في حوار وحسب -على نحوٍ مفهوم وواضح- بل كان قابلًا للإقناع كذلك. كانت الطبيعة تُبدي استعدادًا للاستجابة لرغبات البشر، لإسباغ خصائصها عليهم. يمكن للبحار أن تفترق، يمكن للبشر أن يتحولوا إلى طيور تحلّق، أو إلى ثعالب تختبئ في الغابات المظلمة، يمكن صنع قلاع من الغيوم.

في نهاية المطاف كف الأوّلون عن التكلم مع العالم والإصغاء إليه. حين حدث هذا، لم يخيم الصمت على العالم وحسب، بل تغير. هذه النواحي من العالم التي كانت في تواصل مستمر مع البشر -سواء أأسميناها طاقات، قوّى، أرواحًا، ملائكة أم شياطين- لم يعد لها مكانٌ ولا سبب للبقاء لذا رحلَت. من وجهة نظر آرن-سيلز، حدث نزعٌ فعليٌّ حقيقيٌّ للسحر.

في أول أعماله المنشورة عن الموضوع (صيحة الكروان، آلين وأنوين للنشر، 1969)، قال آرن-سيلز إن قوى الأولين هذه

ضاعت إلى غير رجعة، لكنه بحلول الوقت الذي كتب فيه كتابه الثاني (ما أخذَته الريح، آلين وأنوين للنشر، 1976) لم يعد واثقًا بالدرجة نفسها. كان قد جرّب في السحر الشعائري وبات يظن أنه ربما يكون من الممكن للمرء استعادة بعض القوى، في حال كان لديه رابط فيزيائي ما مع شخص امتلكها ذات زمان. أفضل نوع من الروابط هو الرفات ذاته – جثمان الشخص المذكور أو جزء منه.

في عام 1976 ضمّت مجموعةُ مقتنيات متحفِ مانشستر أربعةَ جثامين حُفِظَت في مستنقع، يعود تاريخها إلى ما بين عامَي 10 ق.م. و200 م، سُمِّيَت على اسم المستنقع الذي عُثر عليها فيه: ميربول في تشيشير. كانت:

- ميربول I (جثمان بلا رأس)
- ميربول II (جثمان كامل)
- ميربول III (رأس، لكنه ليس الرأس الذي يرجع إلى ميربول I)
- ميربول IV (جثمان كامل آخر)

انصبّ معظم اهتمام آرن–سيلز على ميربول III، الرأس. قال آرن–سيلز إنه أجرى تكهُّنًا كشف له أن الرأس يرجع إلى ملك وعرّاف. المعرفة التي امتلكها العرّاف كانت بالضبط ما يحتاج آرن–سيلز إليه كي يؤيد أبحاثه. بالتضافر مع نظرياته، ستَنتج عن الموضوع لحظةٌ مفصليةٌ للفهم البشري. في مايو 1976 كتب آرن–

سيلز رسالة إلى مدير المتحف، يطلب منه أن يستعير الرأس كي يُجري عليه طقسًا سحريًا من ابتكاره، فينقل معرفة العرّاف إلى نفسه ويفتتح بذلك عصرًا جديدًا لبني البشر. لمفاجأة آرن-سيلز، جاء رد المدير بالرفض. في يونيو أقنع آرن-سيلز نحو خمسين طالبًا بالتظاهر خارج المتحف ضد هذا التفكير ضيّق الأفق الذي عفا عليه الزمن. حمل الطلاب لافتات كُتب عليها "الحرية للرأس". بعد عشرة أيام أقيمت مظاهرة ثانية، كُسرت خلالها نافذة وجرى اشتباكٌ مع الشرطة. بعد هذا، بدا أن آرن-سيلز فقد اهتمامه بجثامين المستنقع.

في نهاية ديسمبر أغلق المتحف أبوابه من أجل عيد الميلاد. حين فتحها مجددًا في العام الجديد، اكتشف أفراد الطاقم أن اقتحامًا قد حدث. كانت ثمة أدلة على قيام أشخاص بالتخييم داخل المتحف. ثمة فتات طعام وأغلفة بسكويت ومخلفات أخرى تتناثر في الأنحاء. ثمة رائحة حشيش. ظهرت جملة "الحرية للرأس" من جديد مكتوبة بالطلاء على أحد الجدران، وكانت ثمة أعقاب شموع ذائبة ملتصقة بالأرضية. الشموع تشكّل دائرة. لم يبدُ أن شيئًا قد أُخِذ لكن الخزانة التي يُعرض فيها ميربول III كُسرت وعُبِثَ بالرأس. التصق به بعض الشمع وآثار من نبات الهدال.

بطبيعة الحال اشتبه الشرطة والطاقم بآرن-سيلز. غير أن آرن-سيلز كانت لديه حجة غياب؛ لقد أمضى مهرجانَ منتصف الشتاء مع بعض الوثنيين الجدد الأثرياء في منزل مزرعة في إكسمور. جرى تأكيد هذا من قبل الوثنيين الجدد (أشخاص يُطلق عليهم اسم

آل بروكر). كان آل بروكر يوقّرون آرن-سيلز بوصفه عبقريًا استثنائيًا وقديسًا وثنيًا من نوع ما. لم تعدّ الشرطةُ شهادتَهم موثوقة لكنها لم تمتلك وسيلةً لدحضها.

لم يُتهم أحد باقتحام المتحف، بيد أن آرن-سيلز في كتابه التالي (الباب نصف المرئي، آلين وأنوين للنشر، 1979) تحدث عن عرّاف روماني بريطاني يُدعى آديدوماروس كان يستطيع أن يسلك طريقًا بين العوالم.

في عام 2001، حين كان لورنس آرن-سيلز في السجن، دخل رجلٌ يدعى توني مايرز إلى مخفر شرطة في لندن وطلب أن يقدّم إفادة. قال إنه حين كان طالبًا في جامعة مانشستر أقدم على اقتحام المتحف في يوم عيد الميلاد عام 1976. لقد حطم نافذة ودخل منها ثم فتح الباب ليُدخل أشخاصًا آخرين. شهد إجراءَ آرن-سيلز لطقس شعائري مع رجلَين آخرَين. قال إنه يعتقد أن الرجلين هما فالنتاين كترلي وروبن بانرمان، لكنّ الأمر مضى عليه زمن طويل وما عاد بوسعه أن يجزم.

قال مايرز إنه في لحظة معينة شاهد شفتَي ميربول III تتحركان إلا أنه لم يسمع أي كلمة.

لم تتم مقاضاة مايرز.

آرن-سيلز عن نفسه لم يكتب قط عن الطقس الشعائري الذي أجراه على ميربول III. في نهاية السبعينيات كان قد بدأ يغير أفكاره

على كل حال. لم يعد مضمون المعتقدات والقوى الضائعة يشغله بالقدر نفسه، وزاد اهتمامه بالمكان الذي ذهبت إليه. بناءً على فكرته السابقة التي تقول بأن المعتقدات والقوى الضائعة تشكّل نوعًا من الطاقة، قال إن هذه الطاقة لا يمكن أن تكون زالت من الوجود ببساطة، بل لا بد أنها ذهبت إلى مكان ما. هذه كانت بدايةَ فكرته الأَشهر، نظرية العوالم الأخرى. بصياغة بسيطة، تقول النظرية إن المعرفة أو القوة حين تخرج من هذا العالَم تفعل أمرين اثنين: أولًا، تخلق مكانًا آخر؛ وثانيًا، تُخلّف ثقبًا، بابًا بين هذا العالم الذي كانت توجد فيه ذات زمان وبين المكان الجديد الذي صنعته.

يمكن تشبيه الأمر، كما قال آرن-سيلز، بمياه مطر تغمر حقلًا. في اليوم التالي يكون الحقل جافًّا. أين ذهبت مياه المطر؟ تبخرَ بعضُها في الهواء. شرِبَت بعضَها النباتاتُ والحيوانات. لكنّ بعضها الآخر غار في التربة. هذا يحدث مرارًا وتكرارًا. طوال عقود، قرون، ألفيات، يُحدث الماء الغائر صدعًا في الصخر تحت التربة؛ ثم يحتّ الصدعَ فيحوله إلى ثقب: ثم يحتّ الثقبَ فيحوله إلى مدخل كهف - إلى باب من نوعٍ ما في الواقع. خلف الباب يستمر الماء في التدفق ويحفر كهوفًا وينحت أعمدة. في مكان ما، كما قال آرن-سيلز، لا بد من وجود ممر، باب بيننا وبين المكان الذي ذهب السحر إليه أيًّا كان. قد يكون صغيرًا جدًا. قد لا يكون مستقرًا تمامًا. مثل مدخل كهف تحتأرضي، قد يكون مهددًا بالانهيار. لكنه سيكون موجودًا. وإن كان موجودًا، فمن الممكن العثور عليه.

في عام 1979 نشر كتابه الثالث والأشهر، الباب نصف المرئي، الذي ناقش فيه هذه الأفكار المتعلقة بالعوالم الأخرى ووصف الطريقة التي استطاع بها، بعد قدر من الكفاح، أن يدخل إلى أحدها.

مقتطف من كتاب الباب نصف المرئي لـلورنس آرن-سيلز

حالما تعثر على الباب، يظل معك دائمًا. تبحث عنه ببساطة فإذا به هناك. العثور عليه للمرة الأولى هو الأمر الذي تكمن فيه الصعوبة. باتّباع الأفكار التي نوّرني آديدوماروس بها، ما خلصتُ إليه في نهاية المطاف هو أنه من الضروري أن يُطهّر المرءُ بصَره كي يرى الباب. في سبيل هذا على المرء أن يرجع إلى المكان، إلى الموقع الجغرافي الذي شهد آخر لحظة آمنَ فيها أن العالَم مرنٌ يطاوعه. بالمختصر، على المرء أن يرجع إلى آخر مكان وقف فيه قبل أن تقبض اليد الحديدية للعقلانية الحديثة على عقله.

بالنسبة إلي، هذا المكان كان حديقة المنزل الذي ترعرعتُ فيه في لايم ريجيس. لسوء الحظ، بحلول عام 1979 كانت أيدٍ عديدة قد مرّت على المنزل. لم يُبدِ مُلّاكُه آنذاك (وهُم نماذج بليدة على الضحالة السائدة) تعاطفًا مع طلبي منهم أن يسمحوا لي بالوقوف في الحديقة بضع ساعات لأؤدي طقسًا شعائريًّا كِلتيًّا قديمًا. ليس مهمًّا. عرفتُ من بائع حليب لطيف الموعدَ الذي سيأخذون إجازتهم فيه، وعدت حينئذٍ و"اقتحمت".

كان يوم دخولي إلى الحديقة باردًا ممطرًا مكفهرًا. وقفت على المرج تحت المطر المنهمر، محاطًا بالورد الذي زرعته أمي (إلا أنه الآن بات مرغمًا على مشاركة مساكبه مع أزهار سوقية لا تطاق). خلف المطر كتلٌ من الألوان - أبيض، مشمشيّ، ورديّ، ذهبيّ وأحمر.

ركّزت على ذكريات طفولتي في تلك الحديقة، على آخر مرة كان فيها العالم وعقلي متحرّرَين من القيود كلاهما. كنت أقف أمام الورد مرتديًا رداء اللعب الصوفي الأزرق خاصتي. أقبض بيدي على لعبة جندي معدنية، طلاؤها آخذٌ في التقشر بعض الشيء.

للمفاجأة اكتشفتُ أن عملية التذكر كانت فعالة بشدة. تحررَ عقلي على الفور، وتطهّر بصري. لم يعد ثمة داعٍ إلى الطقس الشعائري المعقد الطويل الذي كنت قد حضّرته بتاتًا. لم أعد أرى المطر أو أحس به. كنت واقفًا في ضوء شمس طفولتي المبكرة الصافي القوي. ألوان الورد زاهية على نحو فائق للطبيعة.

في كل مكان حولي بدأت تظهر أبواب مُفضية إلى عوالم أخرى، لكنني كنت أعرف الباب الذي أريده، الباب الذي يتدفق عبره كل شيء منسيّ. حواف ذلك الباب كانت بالية ومهترئة بفعل مرور الأفكار القديمة التي تغادر هذا العالم.

بات الباب مرئيًا تمامًا الآن. كان في فجوة بين ورد أنطوان ريفوار وورد كوكيت دي بلونش. عبرتُ منه.

صرتُ واقفًا في حجرة شاسعة لها أرضية من الحجر وجدران من الرخام. تحيط بي ثمانية تماثيل ضخمة، يختلف واحدها عن الآخر، يُصوّر كلٌّ منها مينوتورًا. ثمة سلّم رخاميّ عظيم يرتفع ارتفاعًا عظيمًا ثم ينحدر انحدارًا يُفقد المرءَ إدراكَه للمكان بالدرجة نفسها. امتلأت أذناي بهدير مُدوٍّ غريب - كأنّه هدير بحر...

أحافظ على هدوئي

المادة الثالثة لليوم التاسع عشر من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

كان وصف نظريات لورنس آرن-سيلز في يومياتي يتوافق بشدة مع ما قاله النبي بنفسه. (دليل آخر على أنهما شخص واحد!). سرّني أن أعيد اكتشاف اسم آديدوماروس، وأن أطّلع على إملائه الصحيح. هذا هو الاسم الذي ناداه الآخر في طقسه الشعائري قبل ثلاثة أشهر! أشعر أنني موقن أن الآخر علم عن آديدوماروس من لورنس آرن-سيلز. ("كل أفكاره لي"، هكذا قال النبي).

ثمة جملة واحدة تصيبني بالحيرة: *كان العالَم يتكلّم بلا انقطاع مع البشر الأوّلين*. لست أفهم لماذا هذه الجملة مكتوبة بصيغة الماضي. العالم ما زال يتكلّم معي كل يوم.

أعتقد أنني بتُّ أمهرَ في قراءة مواد اليوميات هذه مما كان أول الأمر. أحافظ على هدوئي حتى حين تواجهني لغةٌ مبهمةٌ على نحوٍ لا نظير له. الكلمات والعبارات التي تنبض بطاقة غامضة -مثل "مانشستر" و"مخفر شرطة"- ما عادت تُفقدني اتّزاني. يبدو أنني، على نحوٍ يكاد يكون لاواعيًا، اعتدتُ عادةَ أن أعامل هذه المواد كما لو كانت كتابات وسيطٍ روحيٍّ أو عراف، شخصٍ في نوبةٍ من الجنون أو من الوحي يُقدّم معرفة، وإن كانت بشكلٍ غريب لا يسهل استيعابه.

لعلني كنت فعلًا في حالة وعيٍ متغيّرٍ حين كتبتها؟ أجد هذه النظرية مُقنِعة، لكنها تترك عدة أسئلة بلا جواب. ما الذي فعلتُه حتى أحقق حالة الوعي المتغير هذه؟ ولماذا، رغم أنني لطالما عددتُ نفسي عالِمًا، بدأتُ هذه الممارسة من الأساس؟

سوف يجيء طوفان عظيم

مادة اليوم الحادي والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

إحدى مهامي المعتادة هي الإبقاء على جدولٍ مدود. في سبيل هذا أعتمد على ملاحظاتي وعلى مجموعة من المعادلات التي ابتكرتُها. كل بضعة أشهر أُجري حساباتي وأتوثق من خلو الأسابيع التالية من الحوادث الاستثنائية. لقد انشغلتُ مؤخرًا إلى حد أهملتُ معه هذا

العمل بدرجة ما. هذا الصباح جلست كي أنكبّ عليه فاكتشفتُ مباشرةً شيئًا مُقلقًا بشدة - تلاقي أربعة مدود في غضون أقل من أسبوع!

صُدمت إذ فكّرتُ كم أوشك هذا الحدث أن يفوتني بجملته! آخر مجموعة حسابات أجريتُها كانت عن مدةٍ انتهت قبل أكثر من أسبوعين. إنني أهملت واجباتي ووضعتُ نفسي والآخر في خطر مميت!

من اهتياجي وثبتُ ناهضًا ورحتُ أذرع أنحاء القاعة ذهابًا وإيابًا. *أوه، سحقًا! سحقًا! سحقًا! سحقًا! سحقًا!*، غمغمتُ لنفسي. *سحقًا! سحقًا! سحقًا!*. بعد دقيقة أو اثنتين من الذهاب والإياب بلا جدوى، كلّمتُ نفسي بحزم، قلت لنفسي إنه لا جدوى من النواح على الماضي؛ ما يلزمني الآن هو أن أخطط للمستقبل.

عاودتُ الجلوس وعقدت العزم على إجراء المزيد من الحسابات كي أفهم ما يُحتمل أن يحدث بدقة أكبر. بناءً على قوة المياه وحجمها -اللذين يصعب التنبؤ بهما على نحوٍ دقيق- سوف تطوف قاعاتٌ عددها بين أربعين ومئة.

لحسن الحظ كان اليوم يوم جمعة، من الأيام التي أُجري فيها لقاءاتي المنتظمة مع الآخر. وصلت إلى القاعة الجنوبية الغربية الثانية قبل الموعد بنحو نصف ساعة، من فرط تلهّفي إلى الحديث معه.

فور ظهوره قلت: «لديّ شيء أخبرك به».

عبس وفتح فمه ليعترض؛ هو لا يحب أن أتولى أنا توجيه دفّة اللقاء، لكنني في هذه الحالة تجاهلته. «سوف يجيء طوفان عظيم!»، أعلنت: «إن لم نحضّر أنفسنا كما ينبغي، ثمة خطر حقيقي جدًا أن تجرفنا المياه ونغرق».

على الفور بات منتبهًا أشد الانتباه. «نغرق؟ متى؟».

«في غضون ستة أيام. يوم الخميس. سيبدأ الطوفان يرتفع تقريبًا قبل منتصف النهار بنصف ساعة. مد مرتفع من القاعات الشرقية، يتبعه...».

«الخميس؟»، استرخى من جديد، «أوه، لا بأس. لن أكون هنا يوم الخميس».

«أين ستكون؟»، سألته متفاجئًا.

«في مكان آخر»، قال: «ليس مهمًا. لا تشغل بالك».

«أوه، فهمت»، قلت: «حسنًا، هذا جيد. سيكون مركز الطوفان في نقطة تبعد نحو 0.8 كيلومترًا إلى الشمال الغربي من الردهة الأولى. من الضروري جدًا أن تكون خارج طريق المياه».

«سأكون على ما يرام»، قال الآخر: «هل ستكون بخير أنت؟».

«أوه، أجل»، قلت: «شكرًا على سؤالك. سوف أسير إلى القاعات الجنوبية».

«هذا جيد».

«هكذا لا يبقى سوى 16»، قلت دون أن أفكر: «عليّ أن...»، توقفت. «هذا...»، بدأت وتوقفت مجددًا.

سادت سكتة.

«ماذا؟»، قال الآخر بحدة: «ما الذي تتحدث عنه؟ ما شأن 16 بأي من هذا؟».

«أقصد فقط أن 16 ليست من سكّان هذه القاعات»، قلت: «لن تعرف أن هناك طوفانًا عظيمًا قادمًا».

«كلا، لا أظن ذلك. ماذا إذًا؟».

«لا أريدها أن تغرق»، قلت.

«ثق بي، يا بيرانيسي. هذا سوف يتكفل بحل كل المشكلات. لكن، على أي حال، لا يهم أصلًا. ليس لديك سبيل إلى التواصل مع 16 لذا ليس بوسعك أن تحذرها حتى لو أردت».

ساد صمت.

«هذا صحيح، أليس كذلك؟»، قال الآخر: «أنت لم تكلمها؟». حدجني بنظرة حادة متفكرة.

«لم أكلمها»، قلت.

– لا الآن؟ ولا في ما مضى؟

- لا الآن. ولا في ما مضى.

- حسنًا، ها أنت ذا إذًا. أيًا كان ما سيحدث فهو ليس مسؤوليتك. ما كنت لأقلق بهذا الشأن.

سكتة أخرى.

«طيب»، قال الآخر أخيرًا: «أتوقع أن لديك أمورًا تفعلها».

- الكثير من الأمور.

- تحضيرات لهذا الفيضان وما إلى هنالك.

- أوه، أجل.

«حسنًا، سأتركك لعملك إذًا»، استدار وسار نحو الردهة الأولى.

«وداعًا»، ناديتُ: «وداعًا!».

هل أنت ماثيو روز سورنسن؟

المادة الثانية لليوم الحادي والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

كانت خطة عملي واضحة. عليّ أن أذهب من فوري إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة وأكتب رسالة إلى 16 أحذرها من الطوفان القادم!

بينما أنا أمشي رحت أفكر في الرسالة الأخيرة التي كنت قد تركتها لها – التي ترجّيتها فيها أن تغادر هذه القاعات. لعلها ردّت في هذه الفترة. لعل الرد يكون شيئًا من قبيل:

عزيزي بيرانيسي

أنت على حق. اليوم سوف أرجع إلى قاعاتي.

مودّتي

16

إن كانت الحالة كذلك سأستطيع أن أكف عن القلق بشأن غرقها في الطوفان.

لكنني في أعماقي كنت أرجو ألا تكون عادت إلى قاعاتها. رغم أن هذا قد يبدو غريبًا، كنت أعلم أنني سأفتقدها لو أنها فعلت. في ما خلا 16، لا يوجد غيري أنا والآخر في العالم، والآخر (قد يفاجئك أن تقرأ هذا) ليس أفضل رفيق دائمًا. كنت أتطلع إلى رؤية إذا ما كانت 16 قد كتبت لي رسالة أخرى، وإن كنت لن أجرؤ على قراءتها. أظن أن ما رجوتُه حقًا هو أن تكون كتبت شيئًا من قبيل:

عزيزي بيرانيسي

بعد قراءة رسائلك المفيدة وفيرة المعلومات، توصلتُ إلى إدراك أننا، إن أنا تخليت عن شرّي، سنستطيع أن نكون صديقين. دعنا نلتقِ

ونتحدث. أعدك ألا أصيبك بالجنون. في المقابل، هل تعلّمني كيف أكون غير شريرة؟

كلّي أمل

16

مكتبة
t.me/soramnqraa

وصلتُ إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة. رحّبت بي الغدفان بصخب. على الرصيف وجدتُ بقايا رسالة 16 الأخيرة ورسالتي. لكن لم يكن ثمة شيء جديد. 16 لم تكتب لي. شعرت بالخيبة، بيد أنني قلت لنفسي إنه ليس لي أن أتوقع غير ذلك؛ إن ظللتُ أمحو رسائل 16 دون أن أقرأها فمن المستبعد جدًا أن تظل تكتب.

أخرجتُ طبشوري وجثوت. تحت رسالتي الأخيرة، كتبت:

عزيزتي 16

في غضون ستة أيام سيرتفع طوفان عظيم في هذه القاعات. سيغمر الماء كل مكان بعمق أكبر من طولك أو طولي.

وفقًا لتقديراتي، ستمتد منطقة الخطر إلى حدود:

ست قاعات إلى الغرب من هنا

أربع قاعات إلى الشمال من هنا

خمس قاعات إلى الشرق من هنا

ست قاعات إلى الجنوب من هنا

سوف يستمر الطوفان ثلاث ساعات أو أربعًا يبدأ بالهبوط بعدها.

أرجوك تغيّبي عن هذه القاعات في هذا الوقت وإلا ستكونين في خطر. سوف تكون ثمة تيارات قوية. إن وجدتِ أن الطوفان سحبك، تسلقي بسرعة! التماثيل رؤوفة وسوف تحميك.

بيرانيسي

تفكّرتُ في الرسالة بحرص. كانت الصياغة أوضح ما أستطيع باستثناء شيء واحد. لن يكون لعبارة "في غضون ستة أيام" معنًى إلا إذا عرفت 16 اليوم الذي كتبتُ فيه الرسالة، وكيف ستعرف هذا؟

بوسعي أن أكتب تاريخ اليوم، لكن التاريخ يتبع تقويمًا من ابتكاري أنا ويبدو من غير المحتمل أن تكون 16 قد ابتكرت التقويم نفسه.

ملحوظة: اليوم هو اليوم الثاني من طور المحاق. يوم الطوفان سيكون اليوم الأول من طور التربيع.

كل ما بوسعي أن أرجوه هو ألا تكون 16 قد توقفت عن زيارة هذه القاعة بالمطلق وأن ترى هذا التحذير.

قبل أن يأتي الطوفان يلزمني أن ألمّ كل أوعيتي البلاستيكية -التي أستخدمها لجمع الماء العذب- كيلا تجرفها المياه. كنت أعلم

أن اثنين منها موجودان في مكان غير بعيد عن القاعة الشمالية الغربية السادسة، في القاعة الشمالية الغربية الثامنة عشرة على الطرف الآخر من الردهة الرابعة والعشرين. رأيت أن آخذهما الآن بما أنني في الجوار.

سرتُ إلى الردهة الرابعة والعشرين. يُميز هذه الردهةَ ركامٌ منحدرٌ ضحلٌ من الحصى الرخاميّ الأبيض، يسدّ جزئيًا مدخلَ السلّم المُفضي إلى القاعات السفلية. تجمّعَ الحصى هنا مع الزمن بفعل المدود. له أشكال دائرية ملساء، ملمسها مبهج؛ لونه أبيض نقيّ بنصف شفافية متوهجة جميلة. تسلقتُ هذا الركام مرات عديدة كي أصطاد السمك وأجمع المحار. كل مرة أزحزح القليل من الحصى، لكن العدد لا يكون كافيًا لتغيير الشكل الكلّيّ للركام.

أول شيء رأيته اليوم هو أن بعض الحصى أزيل. يوجد تجويف في جنب الركام لم يسبق أن كان له وجود. أدهشني هذا. من تراه يكون الذي فعله؟ لقد رأيت غدفانًا وغربانًا تأخذ حصًى صغيرًا لتكسر به المحار، لكن الطيور لا تحرك عددًا ضخمًا من الحصى من غير سبب.

نظرت حولي. يوجد شيء أبيض متناثر على الرصيف في الزاوية الشمالية الشرقية من الردهة.

اقتربتُ. بعد فوات الأوان أدركت أن الحصى يشكّل أشكالًا. كلمات! كلمات من صنع 16! قبل أن يتسنى لي وقت كي أزيح عينيَّ

كنت قد قرأت الرسالة كلها! بحروف يبلغ طولها تقريبًا 25 سنتيمترًا، كانت الرسالة تقول:

هل أنت ماثيو روز سورنسن؟

ماثيو روز سورنسن. اسم. ثلاث كلمات تكوّن اسمًا.

ماثيو روز سورنسن...

طفت صورةٌ أمامي، مثل ذكرى أو رؤيا.

... بدا أنني أقف عند ملتقى طرقٍ عديدة في مدينة. مطر داكن ينهمر عليّ من سماء داكنة. أضواء، أضواء، أضواء تتألق في كل مكان! للأضواء ألوان عديدة وكلها تنعكس على الزفت المبلل. المباني ترتفع على جميع الجوانب. السيارات تمر مسرعة. ثمة كلمات وصور منقوشة على المباني. أشكال داكنة تملأ الشوارع؛ ظننت أول الأمر أنها تماثيل، لكنها كانت تتحرك ورأيتُ أنها أشخاص. آلاف وآلاف من الناس. أناس أكثر مما تصوّرتُ يومًا. الكثير الكثير من الناس. لا يمكن للعقل أن يحيط بفكرة عدد بهذا الحجم. وكل شيء رائحته مطر، ومعدن، وركود. كان لهذه الرؤيا اسم، واسمها هو...

لكن، ما إن ارتعشَت الكلمةُ على حافة الفكر الواعي حتى اختفت، وكذلك فعلت الصورة. بتُّ في العالم الحقيقي من جديد.

ترنّحتُ وكدتُ أقع. أحسست بالدوار، بالظمأ، بانقطاع النفَس.

شخصتُ أنظر إلى التماثيل على جدران الردهة. «أحتاج إلى الماء»، قلتُ لها بصوت أجشّ: «أحضري لي شربة ماء».

لكنها كانت مجرد تماثيل ولم تستطع أن تحضر لي ماء. لم تستطع إلا أن تُطلّ عليّ بنُبلٍ هادئ.

أنـــا...

المادة الثالثة لليوم الحادي والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

لقد عثَرت 16 على طريقة لتُحقق غايتها السوداء وتصيبني بالجنون! كنت قد محوتُ رسالتها الأخيرة وما الذي حدث؟ شكّلَت رسالةً يستحيل عليّ أن أمحوها دون قراءتها!

هل أنت ماثيو روز سورنسن؟

أنا... تأتأتُ: *أنا*...

أول الأمر لم أستطع أن أزيد على هذا.

أنا... أنا الابن المحبوب للبيت.

أجل.

على الفور شعرتُ بهدوء أكبر. هل من ضرورة حتى لأي هوية أخرى؟ لم أعتقد ذلك. خطرت لي فكرة أخرى.

أنا بيرانيسي.

لكني كنت أعلم أنني لا أصدق هذا حقًا. بيرانيسي ليس اسمي. (أنا شبه موقن أن بيرانيسي ليس اسمي).

ذات مرة سألتُ الآخر لماذا يناديني بيرانيسي.

ضحك بطريقة تشي بشيء من الإحراج. *أوه، بهذا الشأن* (قال). *حسنًا، كان الأمر في الأصل مزحة من نوع ما كما أعتقد. عليّ أن أناديك باسمٍ ما. وهو يناسبك. إنه اسم مرتبط بالمتاهات. لستَ تمانع، صحيح؟ سأكفّ عن مناداتك به إن كان لا يروقك.*

لا أمانع، قلت: *وكما تقول، عليك أن تناديني باسمٍ ما.*

صمتُ البيت يعطي إحساسًا بأنه مشحونٌ بالترقب فيما أنا أكتب هذه الكلمات. يبدو كأنه ينتظر حدوث شيء استثنائي.

هل أنت ماثيو روز سورنسن؟

أنّى لي أن أجيب عن هذا السؤال وأنا لا أملك أدنى فكرة عمّن يكون ماثيو روز سورنسن؟ لعل ما عليّ فعله هو أن أبحث عن ماثيو روز سورنسن في الفهرس؟

ذهبتُ إلى القاعة الشمالية الغربية الثامنة عشرة وشربتُ شربة ماء طويلة. كانت لذيذة ومنعشة (غيمة مرّت قبل سويعات). استرحتُ لحظة. ثم شققتُ طريقي إلى القاعة الشمالية الثانية حيث أخذتُ فهرسي ودفاتر يومياتي.

هل أنت ماثيو روز سورنسن؟

حقيقةُ أنّ لماثيو روز سورنسن ثلاثة أسماء جعلت إيجاده في الفهرس مسألةً غير بسيطة. بحثتُ عنه أولًا تحت حرف S. لا شيء. بحثت عنه تحت حرف R. كانت هناك ثلاث مواد.

روز سورنسن، ماثيو: منشورات 2006-2010، دفتر اليوميات رقم 21، ص6

روز سورنسن، ماثيو: منشورات 2011-2012، دفتر اليوميات رقم 22، ص144-145

روز سورنسن، ماثيو، نبذة من أجل "ممَزَّق ومعميّ": دفتر اليوميات رقم 22، ص200

بدت المادة الأخيرة واعدةً أكثر مما سواها.

ماثيو روز سورنسن هو الابن الإنجليزي لأبٍ نصف دنماركيّ ونصف اسكوتلنديّ وأمّ غانيّة. درس الرياضيات في الأساس، لكن اهتمامه سرعان ما انتقل (عن طريق فلسفة الرياضيات وتاريخ الأفكار) إلى مجال دراسته الحالي: التفكير المتعدّي. هو بصدد كتابة كتاب عن لورنس آرن-سيلز، رجلٍ تعدّى على العلم، وعلى المنطق، وعلى القانون.

أثار اهتمامي أن ماثيو روز سورنسن اعتقد أن لورنس آرن-سيلز نبذ العلم والمنطق. في هذا الأمر لم يكن مصيبًا. النبي عالِمٌ ومُحبّ للمنطق. تحدّثتُ جهرًا إلى الهواء الخاوي.

«لست أتفق معك»، قلت.

كنت أحاول أن أستحضر ماثيو روز سورنسن، أن أحتال عليه كي يكشف نفسه. إن كان حقًّا جزءًا ما منسيًّا مني، فلن يروق له أن يُناقَض؛ سوف يُدافع بالحجة عن موقفه.

إلا أن ذلك لم ينفع. لم ينهض من تجويفٍ ما تسكنه الظلال في عقلي. ظلّ فراغًا، صمتًا، غيابًا.

انتقلت إلى المادتين الأخريين.

الأولى كانت مجرد قائمة.

´"الآن، هنا، الآن، دائمًا": مسرحيات الزمن لـج.ب. بريستليَ، مجلة تيمبوس، *المجلد 6: ص85-92*

تقبَّلْ/ تَسامحْ/ ذُمّ/ دَمِّرْ: كيف تتعامل الأكاديميا مع أفكار اللامُنتمين، *مطبعة جامعة مانشستر، 2008*

"مَصادر رياضيات اللامُنتمين: سرينفاسا رامانوجان والإلهة"، فصليّة التاريخ الفكري، *المجلد 25: ص204-238، مطبعة جامعة مانشستر*

المادة الثانية كانت فقط المزيد من الشيء نفسه.

"الزمن العجيب[1]: نظريات الزمن لـ ستيفن موفات وبلينك وج. دبليو. دن"، مجلة الفضاء والزمن وكل شيء، *المجلد 64: ص42-68، مطبعة جامعة مينيسوتا*

"الدوائر التي تجدها في طواحين عقلك[2]": أهمية المتاهات في استغلال لورنس آرن-سيلز لأنصاره، مجلة مراجعة السايكدليا والثقافة المضادة، *المجلد 35، العدد 4*

"الغرغول على سطح الكاتدرائية: لورنس آرن-سيلز والأكاديميا"، فصليّة التاريخ الفكري، *المجلد 28: ص119-152، مطبعة جامعة مانشستر*

تفكير اللامنتمين: مقدمة قصيرة جدًا، *مطبعة جامعة أكسفورد، نُشِر في 31 مايو 2012*

"عمارة السفر عبر الزمن": مقالة عن بول إينوك وبرادفورد لصحيفة الغارديان، *28 يوليو 2012*

أفلتُّ شخرةَ إحباط طويلة. ليس في هذا جدوى بالمرة! عدا عن حقيقة أن ماثيو روز سورنسن كان مهتمًا بلورنس آرن-سيلز (وهذا أمر لا يميّزه بأي طريقة عن أي شخص آخر في العالم)، لم أتوصل إلى

(1) وردت في النص الأصلي "Timey-Wimey "، وهي عبارة مقتبسة من مسلسل Doctor Who البريطاني الشهير. (المترجم)

(2) عنوان المقالة هو سطر من أغنية The Windmills of Your Mind. (المترجم)

شيء. شعرت برغبة ملحّة في هزّ دفتر يومياتي، كما لو كان يمكنني بطريقة ما أن أهرهر منه مزيدًا من المعلومات.

جلست وقتًا طويلًا أفكر.

ثمة شخص واحد لم أبحث عنه بعد في الفهرس وهو الآخر. لم يخطر ذلك ببالي قبل الآن. لكن لعلني إن قرأت عن الآخر ووجدتُ ماثيو روز سورنسن مذكورًا سوف... توقفتُ قليلًا. سوف ماذا؟ ربما سوف أتمكن من تقدير ما إذا كان الآخر يعرف ماثيو روز سورنسن، ومن ثم ما إذا كان ماثيو روز سورنسن هو أنا.

لم يبدُ لي أنّ في المحاولة أي ضير. في الحقيقة، من بين جميع الأسماء التي يمكنني البحث عنها في العالم، كان الآخر يبدو الأكثر ضمانًا. أنا وهو صديقان منذ سنين. فتحت الفهرس على حرف O. أحصيتُ أربعًا وسبعين مادة عن الآخر. لقد كتبت عن الآخر أكثر بكثير مما كتبت عن أي موضوع سواه. في الحقيقة، إنني أُجبرتُ بالفعل أن أستخدم صفحتين من الصفحات المخصصة لحرف P كي أفسح مكانًا لكل المواد.

وجدت:

الآخر، طقوس شعائرية أدّاها

الآخر، أحاديث عن المعرفة العظيمة والسرية

الآخر، يُعيرني كاميرا كي أستطيع التقاط صور للقاعات الغارقة

الآخر، يطلب مني أن أضع له خريطة للنجوم

الآخر، يطلب مني أن أرسم خريطة للقاعات التي تحيط بالردهة الأولى مباشرة

الآخر، يقترح أن التماثيل تشكّل شفرةً من نوعٍ ما قد نستطيع فكّها

وهكذا دواليك... إلى أن وصلتُ إلى المواد الأحدث بينها:

الآخر، يستخدم كلمةً بلا معنى هي "باتر-سي" ليختبر ذاكرتي

الآخر، يُهديني حذاء

تصفحتُ بضع مواد. قرأت عن طقوس شعائرية مختلفة أدّاها الآخر وساعدتُ أنا فيها. قرأت عن ذكاء الآخر، وعِلميّته، ونفاذ بصيرته، ووسامته. قرأت وصفًا تفصيليًا لملابسه. كان هذا مثيرًا للاهتمام بقدرٍ ما، لكنه لم يساعدني إطلاقًا في مشكلتي الحالية. على عكس المواد عن ستانلي أوفندن، وماوريتسيو جوساني، وسيلفيا داغوستينو، ولورنس آرن-سيلز، لم تكن أي مادة من المواد المتعلقة بالآخر جديدة علي. لم تحتوِ أيَّ كلمات أو عبارات ملغزة بدت تنبض بمعنًى خفيّ (مثل "ويلي رينج" أو "عيادة"). جميع الأحداث أحداث أتذكرها بوضوح. واسم ماثيو روز سورنسن لم يظهر في أي مكان.

تذكرت أن النبي كان قد دعا الآخر كترلي. لذا انتقلت إلى حرف K.

كانت ثمة ثماني مواد. الأولى في الصفحة 187 من دفتر اليوميات رقم 2 (دفتر اليوميات رقم 22 سابقًا).

د. فالنتاين أندرو كترلي. وُلد عام 1955 في برشلونة. نشأ في بلدة بول بمقاطعة دورست. (آل كترلي عائلة قديمة من دورست). ابن العقيدِ رانولف أندرو كترلي، عسكريّ ومشعوذ.

كان فالنتاين كترلي من طلاب لورنس آرن-سيلز وصار بعد ذلك زميلًا باحثًا بالأنثروبولوجيا الاجتماعية في مانشستر. تزوج من كليمنس هيوبرت عام 1985. تطلّقا عام 1991. طفلان. في عام 1992 غادر كترلي مانشستر وشغل وظيفةً تدريسية في كلية لندن الجامعية. في شهر يونيو من العام نفسه كتب رسالة إلى صحيفة التايمز تبرّأ فيها علنًا من آرن-سيلز، متهمًا إياه بتضليل الطلاب والتلاعب بهم عمدًا، وتشريبهم بالباطنية الروحانية الزائفة وبقصص عن عوالم أخرى. ناشدَ كترلي جامعةَ مانشستر أن تطرد آرن-سيلز. (لم تفعل الجامعة ذلك حتى عام 1997 حين اعتُقل آرن-سيلز بتهمة الاحتجاز غير القانوني).

في السنوات الأخيرة رفض كترلي أن يجيب أي أسئلة عن آرن-سيلز.

سؤال: هل يستأهل الأمرُ أن أتواصل مع كترلي كي أرى إذا ما كان سيقبل التحدث إليّ؟ هو يعيش في مكانٍ ما قرب متنزه باترسي.

مهمة تالية: وضعُ قائمة أسئلة لـ د. كترلي.

ها قد عدتُ إلى أرضية مألوفة. كانت المادة عبارة عن الخليط المعتاد من كلمات تحمل معنًى واضحًا وكلمات معناها مبهم – على فرض أنها تعني أي شيء أساسًا. لفتَت نظري عودةُ ظهور الكلمة الغامضة "باترسي" (ورأيت أنها كلمة واحدة وليست عبارة "البحر العنيف").

رجعت إلى الفهرس لأحدد موضع المادة التالية وعندها لاحظتُ شيئًا غريبًا بالأحرى. المواد المتبقية –وهي سبع مواد– كلها تقع في صفحات متتالية. آخر عشر صفحات من دفتر اليوميات رقم 22 وأول اثنتين وثلاثين صفحة من دفتر اليوميات رقم 23 كلها تتحدث عن كترلي.

فتحت دفتر اليوميات رقم 2 (دفتر اليوميات رقم 22 سابقًا). كانت آخر عشر صفحات –الصفحات التي أريدها تحديدًا– مفقودة؛ ليس إلا بضع حواف ممزقة بقيت متصلة بكعب الدفتر. فتحت دفتر اليوميات رقم 3 (دفتر اليوميات رقم 23 سابقًا) ووجدت الشيء نفسه. الصفحات الاثنتان والثلاثون التي فيها معلومات عن كترلي غير موجودة.

اعتدلتُ في جلستي مُشوَّشَ الذهن.

من تراه فعل هذا؟ أيمكن أن يكون النبي؟ أعلم أنه يمقت كترلي. لعل كراهيته تجعله يُتلف كتابةً عن عدوّه؟ أم يمكن أن تكون

16؟ 16 تكره المنطق. لعلها كذلك تكره الكتابة، وهي وسيلة يمكن بواسطتها نقل المنطق من شخص إلى آخر. غير أن هذا لم يبدُ معقولًا. لقد استخدمت 16 الكتابة كي تترك لي رسالة طويلة. وعلى كل حال كيف يمكن للنبي أو لـ 16 أن يعثرا على دفاتر يومياتي؟ إنني أحتفظ بها (كما سبق وشرحت) في حقيبة ساعي البريد خاصتي، التي أخبئها خلف تمثال الملاك العالق في شجيرةِ ورد في الزاوية الشمالية الشرقية من القاعة الشمالية الثانية. إنه تمثال من بين ألوف، من بين ملايين. كيف لأيٍّ منهما أن يعرف أين يبحث؟

جلستُ وقتًا طويلًا ورحت أفكر. لا أتذكر أبدًا أنني مزقت الصفحات. لكن، بواقعية، من غيري يمكن أن يكون فعلها؟ وأنا أعلم منذ مدة أن أمورًا كثيرة حدثت ولا أتذكر عنها شيئًا. لقد *فعلتُ* أمورًا كثيرة لا أتذكر عنها شيئًا (مثل كتابة هذه المواد الغامضة). ما يعني أنه من الممكن أن أكون مزقت الصفحات.

لكن إن كنت قد مزقت الصفحات، فما الذي حل بها؟ أين ذهبَت؟

أحضرتُ قصاصات الورق التي عثرت عليها في القاعة الغربية الثامنة والثمانين. فردتُ بضعًا منها أمامي كي أعاينها. إحداها –قطعة من زاوية– تحمل الرقم 231. إنه رقم صفحة من دفتر اليوميات رقم 2.

بسرعة -على نحو شبه محموم- بدأت أجمّع القطع بعضها مع بعض. كانت توجد تقريبًا ثلاثون مادة تغطّي مدةً بين 15 نوفمبر 2012 و20 ديسمبر 2012. المادة الأطول بينها تحمل عنوان: *أحداث 15 نوفمبر 2012.*

القسم الخامس

فالنتاين كِترلي

أحداث 15 نوفمبر 2012

زُرته في منتصف نوفمبر. كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة للتو، شفقٌ أزرق بارد. لقد كان الأصيل عاصفًا وأضواء السيارات مُبَكسَلة بفعل المطر؛ أوراق الشجر السوداء المبتلّة تصنع لوحاتٍ كولاج على الأرصفة.

حين وصلت إلى منزله سمعتُ موسيقى تُعزف. قدّاس موتى. انتظرتُه حتى يردّ على الباب على أنغامٍ مصاحبةٍ لِبيرليوز.

فُتح الباب.

«د. كترلي؟»، قلت.

كان بين الخمسين والستين من العمر، طويل القامة نحيلها. رجل وسيم. له رأس متقشف الهيئة بعظمَي وجنة وجبهة عالية. شعره وعيناه داكنة وبشرته زيتونية اللون. شعره آخذ في الانحسار، لكن قليلًا فقط، وله لحية مشذبة بأناقة ومدببة بعض الشيء فيها شيبٌ أكثر مما في شعره.

«أجل»، قال: «وأنت ماثيو روز سورنسن».

وافقتُ على ذلك.

«تفضل»، قال.

أتذكّر كيف أن رائحة المطر التي كانت تسود الشوارع لم تتلاشَ مع دخولي، بل تكثّفت بطريقة ما؛ داخل المنزل كانت توجد رائحة مطر وغيم وهواء، رائحة مساحةٍ لا حد لها. رائحة للبحر.

وهذا أمر غير معقول بالمرة داخل المنازل الفيكتورية المتلاصقة في باترسي.

قادني إلى غرفة جلوس. كانت أنغام بيرليوز تُعزف. أخفض الصوتَ لكنها ظلت تُعزف في خلفية محادثتنا، موسيقى تصويرية لكارثة.

وضعتُ حقيبة ساعي البريد خاصتي على الأرض. أحضرَ قهوة.

«أنت أكاديميّ، كما فهمت»، قلت.

«كنتُ أكاديميًّا»، شرح بشيء من الملل: «حتى نحو خمس عشرة سنة خلَت. إنني أمارس عملي الخاص في علم النفس الآن. لم تُبدِ الأكاديميا ترحيبًا كبيرًا بي قط. كان لدي الصنف الخاطئ من الأفكار والصنف الخاطئ من الأصدقاء».

- أظن أن صلتك بآرن-سيلز لم تُسدِ إليك أي معروف؟

- حسنًا، إلى حد بعيد. الناس ما زالوا يظنون أنني كنت أعلم بشأن جرائمه دون شك. لم أكن أعلم.

«أما زلت تراه؟»، سألته.

«رباه، لا! ليس منذ عشرين عامًا»، نظر إليّ متأملًا، «هل تحدثت أنت إلى لورنس؟».

- كلا. لقد كتبتُ إليه بالطبع. لكنه حتى الآن رفض أن يراني.

- ليس غريبًا.

«قلت لنفسي هو ربما لا يريد التحدث إلي لأنه يستحي من ماضيه»، قلت.

ندّت عن كترلي ضحكة قصيرة حادة خالية من الدعابة. «أستبعد. لورنس ليس لديه حياء. هو فقط يهوى المعاندة. إن قال أحدهم أبيض، سيقول هو أسود. إن قلت إنك تريد أن تراه، لن يريد أن يراك. هكذا هو طبعه».

رفعتُ حقيبة ساعي البريد خاصتي إلى حِجري وأخرجت منها دفتر يومياتي. إلى جانب دفتر يومياتي الحالي، كان معي دفتر يومياتي السابق (أرجع إليه كل يوم تقريبًا)، وفهرس يومياتي، ودفتر فارغ سيشكّل دفتر يومياتي التالي (كنت قد اقتربت جدًا من نهاية الدفتر الحالي).

فتحت دفتر يومياتي الحالي وبدأت أكتب.

راقبني باهتمام. «تستخدم ورقًا وقلمًا حقيقيين؟».

«أنا أستخدم نظام يوميات من أجل جميع ملاحظاتي. أجد أن هذه هي الطريقة الأفضل تمامًا لتتبُّع المعلومات».

«وهل أنت ماهر في التوثيق؟»، سألني: «بوجه العموم؟».

- أنا ممتاز في التوثيق. بوجه العموم.

«مثير للاهتمام»، قال.

«لماذا؟ هل تريد أن تعرض عليّ عملًا؟»، سألته.

ضحك. «لا أدري. ربما». سكت قليلًا. «ما الذي تسعى خلفه فعليًا؟».

شرحتُ أنني مهتم بشكل أساسي بالأفكار المتعدّية، بالأشخاص الذين يصوغونها، وبنظرة فروع المعرفة المختلفة إليها - الدين، الفن، الأدب، العلوم، الرياضيات وما إلى هنالك. «ولورنس آرن-سيلز هو خير مثال للمفكر المتعدّي. لقد تجاوز الكثير من الحدود. كتب عن السحر وادّعى أنه علم. أقنع مجموعة من الأشخاص شديدي الذكاء بوجود عوالم أخرى وبقدرته على أخذهم إليها. كان مثليًّا حين كان الأمر ما يزال غير قانوني. اختطف رجلًا وحتى يومنا هذا لا أحد يعرف السبب».

لم يقل كترلي شيئًا. كان وجهه خلوًا من التعبير على نحو يثبط الهمة. بدا ضجِرًا أكثر من أي شيء آخر.

«أنا أدرك أن هذا كله حدث قبل زمن طويل»، قلت له مُجرّبًا إظهار التعاطف.

«لدي ذاكرة ممتازة»، قال بجفاء.

«أوه. حسنًا، هذا جيد. الأمر أنني في الوقت الحالي أحاول أن أبني صورة عمّا كان عليه الوضع في مانشستر خلال النصف الأول من الثمانينيات. العمل مع آرن–سيلز. كيف كان الجو. ما نوع الأشياء التي كان يقولها لك. ما نوع الإمكانيات التي كان يستحضرها. أشياء من هذا القبيل».

«أجل»، تأمل كترلي، متحدثًا إلى نفسه كما يظهر: «الناس يستخدمون دائمًا كلمات كهذه للحديث عن لورنس. *استحضار*».

«تعترض على الكلمة؟».

«بالطبع أعترض على الكلمة اللعينة»، قال مستثارًا: «كلامك يوحي أن لورنس كان ساحرَ مسارح من نوعٍ ما وجميعنا كنا معجبيه السُّذَّج المفتونين. الأمر لم يكن كهذا على الإطلاق. هو كان يُحب أن يُناقشه الناس بالحجة. كان يُحب أن يُجابهوه بوجهة النظر العقلانية».

«ثم...؟».

«ثم يدحض كلامهم. لم تكن نظرياته خدعًا مضللة. بل أبعد ما يكون عن ذلك. كان يفكر في كل شيء مليًّا. ويكون كلامه متماسكًا تمامًا مهما طال. ولم يكن يخاف من الدمج بين الفكر والخيال. وصفُه

لتفكيرِ إنسانٍ ما قبل الحداثة كان أكثر إقناعًا من أي شيء آخر صادفتُه»، سكت قليلًا، «لست أقول إنه لم يكن متلاعبًا. لقد كان كذلك دون شك».

- لكنني أظنك قلت لتوك...؟

- على المستوى الشخصي. في علاقاته كان متلاعبًا. على المستوى الفكري كان صادقًا، أما على المستوى الشخصي فقد كان متلاعبًا إلى حد رهيب. خذ سيلفيا على سبيل المثال.

- سيلفيا داغوستينو؟

- فتاة غريبة. شديدة الإخلاص للورنس. كانت ابنةً وحيدة. مقربة جدًا من والديها، لا سيما من أبيها. هي وأبوها كانا شاعرين موهوبين كلاهما. قال لها لورنس أن تختلق شجارًا مع والديها وتقطع جميع صِلاتها بهما. وهي فعلت ذلك. فعلته لأن لورنس أمرها بفعله ولأن لورنس كان الحكيم العظيم، العراف العظيم الذي يوشك على إرشادنا جميعًا إلى عصر البشرية القادم. لم يكن قطعُها عن عائلتها يشكل أي مكسب له على الإطلاق. الأمر لم يَعُد عليه بأدنى فائدة. فعل ذلك لأنه كان يستطيع. فعل ذلك كي يسبب الكرب لها ولوالديها. فعل ذلك لأنه كان قاسيًا.

«سيلفيا داغوستينو كانت من الأشخاص الذين اختفوا»، قلت.

«لا أعرف أي شيء عن ذلك»، قال كترلي.

«لا أظن أن بوسعك أن تزعم أنه كان صادقًا على الصعيد الفكري. لقد قال إنه ذهب إلى عوالم أخرى. قال إن أشخاصًا آخرين ذهبوا أيضًا. هذا ليس صادقًا بالضبط، صحيح؟». لعل صوتي لم يخلُ من أثر للتكبر، ما أظن أنه كان الأفضل لو كبحتُه، لكنني لطالما كنت أحب الفوز في المجادلات.

عبس كترلي. بدا يتصارع مع شيء ما. فتح فمه ليقول شيئًا، غيّر رأيه، ثم: «أنت لا تروق لي كثيرًا»، قال.

ضحكت. «يمكنني أن أتعايش مع هذا»، قلت.

ساد صمت.

«لماذا متاهة، باعتقادك؟»، سألته.

- ماذا تقصد؟

- لماذا تظنه وصف العالَمَ الآخر -الذي قال إنه يذهب إليه أكثر المرات- بأنه متاهة؟

رفع كترلي كتفيه. «تصوّرٌ للفخامة الكونية، أعتقد. رمز للتمازج بين مجد الوجود ورعبه. لا أحد يخرج حيًا».

«طيب»، قلت: «لكن الأمر الذي ما زلت لا أفهمه تمامًا هو كيف أقنعك بوجوده. أقصد العالَمَ-المتاهة».

- لقد جعلنا نؤدي طقسًا شعائريًا افتُرِض به أن يأخذنا إلى هناك. كان للطقس جوانب... محركة للعواطف، أعتقد. موحية.

- طقس شعائري؟ حقًا؟ ظننت أن موقف آرن-سيلز من الطقوس الشعائرية هو أنها هراء. ألم يقل شيئًا من هذا القبيل في *الباب نصف المرئي*؟

- هذا صحيح. لقد زعم أنه شخصيًا قادر على الوصول إلى العالم-المتاهة ببساطة عن طريق إجراء تعديل لحالته الذهنية، عن طريق العودة إلى حالةٍ طفولية من العجب، وعيٍ ما قبل عقلاني. زعم أنه قادر على فعل هذا ساعةَ يشاء. مما لا يثير المفاجأة، أن معظمنا -طلابه- لم نصل إلى أي شيء على الإطلاق بهذا، لذا ابتكر طقسًا شعائريًا نؤديه في سبيل الوصول إلى المتاهة. لكنه وضّح أن هذا تنازلٌ نتيجةَ انعدام قدرتنا.

- فهمت. معظمكم؟

- ماذا؟

- قلت إن معظمكم لم يكن يستطيع دخول المتاهة دون الطقس. بدا لي أن في هذا تلميحًا إلى أن بعضكم كان يستطيع.

سكتة قصيرة.

- سيلفيا. سيلفيا ظنت أنها استطاعت الوصول إلى هناك بالطريقة التي يفعل بها لورنس ذلك. بهذه العودة إلى حالة من العجب. كانت فتاة غريبة، كما قلت. شاعرة. كانت تعيش داخل رأسها إلى حد كبير. من يدري ما ظنت نفسها تَراه.

- وهل حدث ورأيتها أنت؟ المتاهة؟

تفكّرَ في الأمر. «في المعظم كانت تراودني ما يمكن أن تسميها إلماعات، إحساس بالوقوف في مكان ضخم – ليس شاسعًا فحسب، بل كذلك مرتفع بشكل هائل. و... من الصعب إلى حد بعيد الاعتراف بهذا، لكن أجل، رأيتها بالفعل مرة. أقصد ظننتُ أنني رأيتها مرة».

- كيف بدت؟

- تشبه وصف لورنس كثيرًا. مثل سلسلة لانهائية من المباني الكلاسيكية المتحابكة.

«وما كان معنى هذا برأيك؟»، سألته.

«لا شيء. لا أظنه كان يعني أي شيء على الإطلاق».

صمت قصير. ثم قال فجأة: «هل يعرف أحدٌ أنك هنا؟».

«المعذرة؟»، قلت. بدا سؤالًا غريبًا.

«قلتَ إن صلتي بلورنس آرن–سيلز شكّلت عقبةً في وجه مسيرتي في الأكاديميا. لكن مع ذلك ها أنت ذا، أكاديميّ، تطرح أسئلة عن كل ذلك، تفتح تلك السيرة من جديد. كل ما في الأمر أنني أتساءل لماذا لم تتوخَّ المزيد من الحذر. ألا تخشى أن يُلطّخ هذا مسيرتَك اللامعة؟».

«لستُ أظن أن أحدًا ستكون لديه مشكلة مع مقاربتي»، قلت: «كتابي عن آرن–سيلز هو جزء من مشروع أوسع عن التفكير المتعدّي. كما أظن أنني شرحت سالفًا».

«أوه، فهمت»، قال: «إذًا فقد أخبرتَ أشخاصًا كثرًا أنك قادم إلى هنا اليوم لتراني؟ جميع أصدقائك».

عبست. «كلا، لم أخبر أحدًا. أنا لا أخبر الناس عادةً عما أفعله. لكن ليس هذا لأن...».

«مثير للاهتمام»، قال.

نظر واحدنا إلى الآخر بنوعٍ من النفور المتبادل. كنت أهمّ بالنهوض والذهاب، حين قال فجأة: «هل تريد حقًا أن تفهم لورنس والسطوةَ التي كانت له علينا؟».

«أجل»، قلت: «بالطبع».

«إذًا في هذه الحالة، يجدر بنا أن نؤدي الطقس الشعائري».

«الطقس الشعائري؟»، قلت.

- أجل.

- الطقس الذي...

- الطقس الذي يفتح الطريق إلى المتاهة. أجل.

«ماذا؟ الآن؟». أجفلت بعض الشيء من الاقتراح. (لكنني لم أخَف. ممَّ أخاف؟). «ما زلت تتذكره؟»، قلت.

«أوه، أجل. كما قلت لك، لديّ ذاكرة ممتازة».

«أوه، حسنًا، أنا... هل سيستغرق وقتًا طويلًا؟»، سألته: «الأمر أن عليّ...».

«يستغرق اثنتي عشرة دقيقة»، قال.

«أوه! أوه، طيب. بالتأكيد. لمَ لا؟»، قلت. نهضت واقفًا. «ليس عليّ أن آخذ أي عقاقير، صحيح؟»، قلت: «لأن هذا حقًا ليس...».

ضحك تلك الضحكةَ التي لا تخلو من ازدراءٍ مجددًا. «لقد تناولتَ كوبًا من القهوة. أظن أن هذا سيكون كافيًا».

أنزلَ ستائر النوافذ. أخذ شمعةً في شمعدان من على رف المدفأة. الشمعدان قديم الطراز من النحاس الأصفر وله قاعدة مربعة الشكل. لا يتماشى كثيرًا مع بقية الأثاث في المنزل، الذي كان عصريًا، أدنَويًّا، أوروبيًا.

جعلني أقف في غرفة الجلوس أواجه الباب المفضي إلى الردهة. كانت هذه المساحة قد تُركت خالية من الأثاث.

التقطَ حقيبة ساعي البريد خاصتي -الحقيبة التي تحوي يومياتي وفهرسي وأقلامي- ووضعها على كتفي.

«لِمَ هذا؟»، سألته عابسًا.

«سوف تحتاج إلى دفاترك»، قال: «كما تعلم. حين تصل إلى المتاهة».

كان لديه حس دعابة غريب.

(بينما أكتب هذا، أشعر بشيء من الرعب يحل علي. أنا أعرف الآن ما سيأتي. يدي ترجف وعليّ أن أتوقف عن الكتابة لحظةً كي أحاول أن أسيطر على الرجفة. لكنني آنذاك لم أشعر بشيء، لا بهاجس بالخطر، ولا بأي شيء).

أشعلَ الشمعة ووضعها على أرضية الردهة، بعد الباب تمامًا. أرضية الردهة كانت مثل أرضية غرفة الجلوس: خشب سنديان مصمت. انتبهتُ إلى بقعة في الموضع الذي وضع فيه الشمعدان، كأن السنديان هناك تبقّع بالشمع مرارًا، وداخل البقعة الداكنة يوجد مربع أفتح غير متبقّع انطبقت عليه قاعدة الشمعدان بدقة.

«عليك أن تركز على الشمعة»، قال.

وهذا ما فعلته.

لكن في الوقت نفسه، كنت أفكر في ذلك المربع الشاحب داخل الرقعة الداكنة وفي الشمعدان الذي انطبق عليه. وهذه كانت اللحظة التي أدركت فيها أنه يكذب. الشمعة وُضعت في تلك الرقعة بالتحديد مرات ومرات وهو أدّى هذا الطقس الشعائري مرارًا

وتكرارًا. إنه ما يزال يؤمن. ما يزال يظن أنه يستطيع الوصول إلى العالَم الآخر.

لم أكن خائفًا، كنت فقط لا أصدق الأمر وأجده مسليًا. وبدأت أراجع في عقلي الأسئلة التي يمكن لي أن أطرحها عليه بعد الطقس في سبيل كشف تدليسه.

أطفأ الأضواء في المنزل. بات المكان مظلمًا في ما خلا الشمعة المتقدة على الأرضية والرهج البرتقالي الذي يصدر عن أعمدة الإنارة في الخارج وينفذ من الستائر.

وقف ورائي بقليل وطلب مني أن أُبقي عينيّ على الشمعة. ثم بدأ يترنم بلغة لم أكن قد سمعتها من قبل. خمّنتُ، مِن تشابهها مع الويلزية والكورنية، أنها بريتونية. أظن أنني لو لم أكن اكتشفت سره سلفًا، لحزرته حينها. كان يترنم باقتناع، بحميّة، كأنه يؤمن مُطلقَ الإيمان بما يفعله.

سمعت اسم "آديدوماروس" عدة مرات.

«أغمض عينيك الآن»، قال.

فعلت ذلك.

المزيد من الترنم. التسلية التي أشعر بها من اكتشاف سره جعلتني أتحمل بعضَ الوقت، لكنني بعد ذلك بدأت أملّ. تخلى عن اللغة نهائيًا وبدا يسحب من داخله زمجرةً حيوانية من نوعٍ ما انطلقت

في معدته، من عمقٍ سحيق للغاية، وصارت أعلى، أكثر جموحًا، أصخب، أشد استثنائية.

تبدّلَ كل شيء.

بدا الأمر كما لو أن العالَمَ توقف ببساطة على نحو ما. خيم الصمت على كترلي. انقطعت معزوفة بيرليوز في منتصف مقطع الكورس. كانت أجفاني ما تزال مغمضة لكنني استطعت أن أعرف أن نوعية الظلام تغيرت؛ بات رماديًا أكثر، ازداد برودةً. أحسست بالهواء يصبح أبرد وأشد رطوبة بكثير، كأننا غطسنا في ضباب. تساءلت إذا ما كان بابٌ قد فُتح على عرضه في مكان ما؛ لكن هذا لم يبدُ معقولًا لأن غمغمةَ لندن توقفت في الوقت نفسه. ثمة صوتُ فراغ شاسع، ومن كل صوب حولي أمواج تضرب جدرانًا بخبطات باهتة. فتحتُ عينيّ.

جدران غرفة شاسعة ترتفع حولي. تماثيل مينوتورات تَلوح مُطلةً عليّ وتُضفي ظلمةً على المساحة بكتلتها الضخمة، قرونها الهائلة تشقّ الهواء الخاوي، تعابيرها الحيوانية مهيبة مستغلقة.

استدرتُ غيرَ مصدق على الإطلاق.

كان كترلي يقف بقميصه المجرد. كان على سجيته تمامًا. ينظر إلي ويبتسم كأنني تجربة سارت على خير ما يرام للمفاجأة.

«سامحني لأنني لم أقل شيئًا قبل الآن»، ابتسم، «لكنني حقًا مبتهج برؤيتك. رجل فتيّ وافر الصحة، هذا هو ما كنت أريده تمامًا».

«أرجِع الأمور كما كانت!»، صرخت به.

بدأ يضحك.

ويضحك، ويضحك، ويضحك.

القسم السادس

مــوجة

لقد كنتُ على خطأ!

المادة الرابعة لليوم الحادي والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

كنت أجلس متربّعًا ودفتر يومياتي في حِجري والقصاصات أمامي. استدرتُ قليلًا، إذ لم أُرد أن ألوّث أيًا منها، وتقيّأتُ على الرصيف. رحت أرتجف.

جلبت لنفسي شربة ماء، وكذلك خرقة والقليل بعد من الماء لأمسح القيء.

لقد كنتُ على خطأ. الآخر ليس صديقي. لم يكن صديقي يومًا. إنه عدوّي.

لم أزل أرتجف. كوب الماء في يدي، لكنني لا أستطيع أن أمسكه بثبات.

لقد كنت أعرف ذات زمان أن الآخر عدوّي. أو بالأحرى ماثيو روز سورنسن هو الذي كان يعرف ذلك. غير أنني حين نسيتُ ماثيو روز سورنسن، نسيت هذا أيضًا.

لقد نسيت، لكن الآخر يتذكر. فهمت الآن أنه كان يتخوف من أن أتذكر يومًا ما. كان يناديني بيرانيسي كيلا يحتاج أن يستعمل اسم ماثيو روز سورنسن. كان يختبرني عن طريق التلفظ بكلمات من قبيل "باترسي" ليرى إن كانت تقدح أي ذكريات. لم أكن مصيبًا حين قلت إن باترسي كلمة بلا معنى. هي ليست بلا معنى. إنها كلمة كانت تعني شيئًا لماثيو روز سورنسن.

لكن لماذا كان الآخر قادرًا على التذكر وأنا لا؟

لأنه لم يكن يبقى في البيت بل يرجع إلى العالم الآخر.

باتت الرؤى تجيء كثيفةً متتاليةً الآن. بدا رأسي يرتعد من وزنها. طوّقتُ رأسي بيديّ ورحت أتأوّه.

عليّ ألّا أطيل البقاء، كان النبي قد قال، *أنا أعي جيدًا عواقبَ التلبُّث في هذا المكان: فقدان الذاكرة، الانهيار العقلي الكامل، إلى آخره، إلى آخره*. مثل النبي، لم يكن الآخر يتلبث قط. لم يكن يسمح قط للقاءاتنا أن تستمر أكثر من ساعة يَمضي في نهايتها؛ وحين يفعل هذا كان يَمضي إلى العالم الآخر.

لكن كيف أضمن ألا أنسى مجددًا؟ تصورت نفسي أنسى وأصير صديق الآخر من جديد وأركض في أنحاء البيت آخذ القياسات وألتقط الصور وأجمع البيانات من أجله، فيما هو طيلة الوقت يضحك عليّ! لا لا لا لا لا لا لا لا لا لا! لم أُطِق مجرد الفكرة! ضغطتُ رأسي بين يديّ كما لو أن بوسعي فيزيائيًا أن أمنع الذكريات من الهرب.

سوف أتعلم من 16 وأجمع الحصى الرخامي من الردهات وأشكّل حروفًا به. سوف أكتب بحروف طولها متر! ***تذكّر! الآخر ليس صديقك! لقد احتال على ماثيو روز سورنسن ليجيء به إلى هذا العالم من أجل مصلحته هو!***. إن دعت الضرورة، سوف أملأ القاعة تلو القاعة بالكتابة الضخمة!

... *من أجل مصلحته هو*... أجل، أجل! هذا هو المفتاح. هذا هو ما جعله يجلب ماثيو روز سورنسن إلى هنا. لقد كان الآخر بحاجة إلى أحد ما -إلى عبد!- يعيش في هذه القاعات ويجمع المعلومات عنها؛ هو لا يجرؤ على فعل هذا بنفسه خشيةَ أن يجعله البيت ينسى.

تصاعد الغضب الفائر المهتاج في داخلي.

لماذا، لماذا أخبرتُه عن الطوفان؟ ليتني عرفت كل هذا قبل أن أعلم بأمر الطوفان! حينها لاستطعت أن أبقيه سرًا. لاستطعت أن أنتظر قدوم الخميس وتسلقت إلى مكان مرتفع في مأمنٍ من المياه وتفرجت على دماره. أجل! هذا هو ما أريده الآن! لعل الأوان لم يَفُت بعد! سوف أرجع إلى الآخر. سوف أبتسم وأبدو بالمظهر المعتاد وسأخدعه مثلما خدعني. سوف أقول إنني ارتكبت خطأً بشأن الطوفان. ما من طوفان قادم. كُن هنا الخميس! كن في منتصف هذه القاعات تمامًا!

لكن بالطبع، الآخر قال إنه لن يكون هنا الخميس. هو لا يكون هنا أيام الخميس أبدًا. سوف يكون بأمان في العالم الآخر. هذا لا يهم!

الغضب يجعلني واسع الحيلة! يوم الثلاثاء سيجيئ الآخر كي يقابلني – إنه يوم لقائنا المعتاد. سوف أخطفه وأقيده بشباك الصيد. بهاتين اليدين سأفعلها! لديّ شبكتا صيد اثنتان. إنهما مصنوعتان من البوليمر الاصطناعي وقويتان جدًا. سوف أقيده إلى التماثيل في القاعة الجنوبية الغربية الثانية. سوف يظل مقيدًا يومين. سوف يتناهبُه العذابُ لمعرفته أن الطوفان قادم. ربما أعطيه ماءً يشربه. ربما لا. ربما أقول له: «قريبًا سيكون لديك ماء وفير!». ويوم الخميس سوف يتفرج على المدود تنصبّ من الأبواب ويصرخ ويصرخ. وأنا سوف أضحك وأضحك. سوف أضحك مُطوّلًا وبصوت عالٍ مثلما ضحك هو على ماثيو روز سورنسن حين جلبه إلى هنا...

وحينئذٍ فقدتُ زمام نفسي.

فقدتُ زمام نفسي وتهتُ في تخيُّلات انتقامٍ طويلة مريضة. لم أفكر أن أستريح. لم أفكر أن آكل. لم أفكر أن أشرب الماء. مرت ساعات – لا أعرف كم عددها. رحت أهيم مرارًا وتكرارًا في تخيُّلي الآخرَ يموت في الطوفان أو يرتمي من شاهق. وأحيانًا أهتاج في انفعالي وأكيل له التهم؛ وأحيانًا أظل باردًا وصامتًا، وهو يتوسل إلي أن أخبره لماذا انقلبت عليه، لكنني لا أفعل. وكان بوسعي أن أنقذه في كل مرة، لكنني لم أفعل قط.

هذه التخيلات هشّمَتني. لا أظن أنه كان يمكن لي أن أشعر بإنهاك أكبر لو أني قتلت أحدًا ما بحقٍّ مئة مرة. باتت فخذاي تؤلمانني، ظهري يؤلمني، رأسي يؤلمني. تقرّحت عيناي وحلقي من البكاء والصياح.

حين حل الليل، شققتُ طريقي عائدًا إلى القاعة الشمالية الثالثة. انهرتُ على فراشي ونِمت.

16 هي صديقتي ، لا الآخر

مادة اليوم الثاني والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

استيقظتُ هذا الصباح مُنهَكًا من فظائع اليوم السابق. ذهبت إلى الردهة التاسعة كي أجمع العشب البحري والمحار لأصنع مرقًا للفطور. كنت أشعر بالفتور والخواء وليست لديّ شهية للمزيد من الغضب. مع ذلك، رغم هذا الخلو من العواطف، من وقت إلى آخر يُفلت نشيجٌ أو صيحة من شفتيّ – صوت خفيض يشي بالوحشة.

لم أعتقد أنني أنا من كنت أصيح. إنه، حسب ظني، ماثيو روز سورنسن الذي يضطجع في حالة من الغياب عن الوعي بمكانٍ ما داخلي.

لقد عانى. لقد كان وحده مع عدوّه. كان الأمر أكثر مما يطيق. لعل الآخر استهزأ به. ماثيو روز سورنسن مزّق وصف استعبادِهِ الذي كتبه في يومياته إلى قطع بعثَرَها في القاعة الغربية الثامنة والثمانين. ثم جعله البيت برحمته الواسعة يغط في النوم –الأمر الذي كان أفضل شيء له بلا منازع– ووضعَه في داخلي.

لكن رؤية اسمه مكتوبًا بالحصى في الردهة الرابعة والعشرين جعلته يتقلب من الضيق، ولم يزد انكشافُ ما فعله الآخر الأمورَ إلا سوءًا. خشيتُ أن يستيقظ بالكامل ويبدأ كربُه من أول وجديد.

وضعت يدي على صدري. *على رسلك!*، قلت: *لا تخف. أنت بأمان. ارجع إلى النوم. سوف أعتني بنا كلينا.*

بدا لي أن ماثيو روز سورنسن غط في النوم من جديد.

فكرت في كل مواد اليوميات التي قرأتها تلك – التي تتحدث عن جوساني وأوفندن وداغوستينو والمسكين جيمس ريتر. لقد ظننت أنني كنت مجنونًا حين كتبتها. لكن الآن يتبين لي أن هذا الاستنتاج لم يكن صحيحًا. أنا لم أكتب المواد أصلًا؛ هو الذي كتبها. وعلاوة على ذلك، لقد كتبها في عالم مختلف تنطبق عليه، دون شك، قواعد وظروف وأوضاع مختلفة. إلى حدٍّ ما يتضح لي، فإن ماثيو روز سورنسن كان سليم العقل حين كتبها. لم يكن أيٌّ منا مجنونًا قط.

حل عليّ وحيٌ آخر: الآخر هو الذي أرادني أن أجن، لا 16. لقد كذب الآخر عندما قال إن 16 تحاول أن تقودني إلى الجنون.

أعددت مرق العشب البحري والمحار خاصتي وشربته. كان من المهم أن أحافظ على قوّتي. ثم أخذت دفتر يومياتي من جديد. عدت إلى الرسالة التي كتبَتها 16 والتي محوتُها ولم أترك منها سوى متفرقات.

هو فالنتاين كِتر(لي) **(بالتأ)كيد تمت**
استمالة ضحايا محتملين آخرين وأنا **من أتباع المشعوذ لورنس**
آرن-سيـ(لز)

اتضح لي الآن أن هذه الفقرة كلها كانت عن كترلي. الضحايا الذين تحدثت 16 عنهم لم يكونوا ضحاياها هي، بل (على أغلب الظن) ضحايا كترلي. أتراه احتال على آخرين وجاء بهم إلى هذا العالَم؟ أم أن ماثيو روز سورنسن كان الضحية الوحيدة؟ كلمة "محتملين" توحي أن 16 تعتقد أنني الوحيد.

(أظـ)ـن أنه يعرف أنني اخترقتُ الـ

هذه أيضًا تشير إلى كترلي. كانت 16 تقول إن كترلي يعرف أنها وصلت إلى هذه القاعات. (وهو يعرف هذا لأنني أنا أخبرته. لعنتُ غبائي في سرّي).

إذًا لماذا جاءت 16؟

لأنها كانت تبحث عن ماثيو روز سورنسن. لأنها أرادت إنقاذه من استعباد الآخر له. رأيت ذلك بوضوح الآن. 16 هي صديقتي، لا الآخر.

اغرورقت عيناي بالدموع من الفكرة. صديقتي الوحيدة وأنا اختبأتُ منها!

«أنا هنا! أنا هنا!»، صحت في الهواء الخاوي: «ارجعي! لن أختبئ بعد الآن!».

مرات عديدة كان بوسعي أن أعثر عليها. كان بوسعي أن أكلمها تلك الليلة حين جئت لتكتب لي في القاعة الشمالية الغربية السادسة. كان بوسعي أن أنتظر عند أثر عطرها في الردهة الأولى. لعلها تخلت عن البحث عني! لعلها اشمأزت حين رأت كيف اختبأتُ منها، كيف محوت رسالتها.

لكن لا. لقد شكّلَت تلك الجملةَ في الردهة الرابعة والعشرين: *هل أنت ماثيو روز سورنسن؟*. لا بد أن ترتيب ذلك الحصى استغرق وقتًا طويلًا. 16 صبورة وقوية العزيمة وحاذقة. 16 ما تزال تبحث عني.

لعلها بحلول هذا الوقت عثرت على رسالتي التي أحذرها فيها من الطوفان. لعلها كتبت ردًا ما. غسلتُ زبديتي وقِدري اللتين صنعت بهما حسائي؛ أعدت ممتلكاتي إلى وضعها؛ ثم انطلقت إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة.

أثارت الغدفان جلبةً لدى اقترابي. *أجل، أجل. وأنا أيضًا تسرني رؤيتك*، قلت لها: *غير أن لدي اليوم أشياء أفعلها ولا أستطيع التوقف من أجل حديث طويل.*

لم تكن ثمة رسالة جديدة من 16. لكنّ شيئًا مقلقًا جدًا كان قد حدث. رسالتي التي أحذرها فيها من الطوفان اختفت. جميع رسائلنا الأخرى موجودة هنا، إلا تلك الرسالة. حدقت إلى الرصيف الخاوي مرتبكًا. ما الذي حدث؟ أعرف أنني سبق ونسيت أشياء كثيرة؛ هل

بدأت الآن أتذكر أشياء لم تحدث؟ أتراني، في الحقيقة، لم أكتب تلك الرسالة من الأساس؟

انتقلتُ من القاعة الشمالية الغربية السادسة إلى الردهة الرابعة والعشرين حيث شكّلت 16 الرسالة التي تقول: ***هل أنت ماثيو روز سورنسن؟***. الحصى الذي كان يكوّن الكلمات متبعثر في أنحاء الرصيف. الكلمات خُرِّبَت تمامًا.

الآخر. الآخر هو من فعل هذا. كنت متأكدًا من ذلك جدًا.

عدت إلى القاعة الشمالية الغربية السادسة وتفحصتُ الرصيف بحرص. استطعت أن أرى الآثار الواهية للطبشور في الموضع الذي كان يشغله تحذيري. لقد محا الآخر هذه الرسالة أيضًا.

لماذا؟

لقد بعثر الحصى كي يمنعني من اكتشاف أمر ماثيو روز سورنسن: المسألة واضحة إلى هذا القدر. لكن لماذا يمحو الرسالة التي كتبتها إلى 16؟ على أمل أن تدخل صدفةً إلى منطقة الخطر ويُهلكها الطوفان؟ لا. الآخر لا يأمل؛ هو يخطط ويتصرف. إنه يريدها أن تغرق وسوف يحاول أن يضمن حدوث ذلك.

قبل ثلاثة أشهر، حين أخبرني الآخر عن 16 للمرة الأولى، قال إنه كان قد تحدث إليها؛ لكن عندما سألته أين دارَ هذا الحديث، ارتبك وما كان يخبرني. هذا لأن الحديث دار في العالم الآخر، الذي يريد الآخرُ أن يظل وجودُه خفيًّا عني.

سوف يتواصل الآخر مع 16 في العالم الآخر ويقنعها بالقدوم إلى هذه القاعات في ساعة الطوفان. لعله فعل ذلك وانتهى الأمر. 16 في خطر.

جثوتُ وانكببت بسرعة وفعالية على إصلاح الرسالة التي محاها الآخر. إن أتت 16 إلى هنا بين هذه اللحظة ويومِ الخميس سترى الرسالة وتتلقى التحذير من الطوفان. ومع ذلك... لم يتبقَّ سوى خمسة أيام بين هذه اللحظة والخميس. وإن لم تأتِ في هذه المدة؟ هذا يبدو لي ممكنًا تمامًا؛ بعد أن صرت أعرف أنها تأتي من مكان آخر (عالم آخر)، يبدو لي أن زياراتها غير منتظمة ولا يمكن التنبؤ بها. ثمة مجازفة في ألا تراها، لذا أنا في حالة من بعض القلق بشأنها. أفكاري ترجع باستمرار إليها وإلى سلامتها، مع ذلك لا أستطيع أن أفكر في أي شيء آخر أفعله كي أحميها.

تحضيرات للطوفان

مادة اليوم السادس والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

باستثناء الشخص المستتر، جميع الموتى موجودون في طريق مياه الطوفان. يوم الأحد بدأتُ العمل على حملهم إلى بر الأمان.

أخذتُ بطانيةً ونقلت جميع عظام رجل علبة البسكويت إلى داخلها – جميعها ما عدا تلك التي في داخل علبة البسكويت. عقدتُ البطانية بحبل من العشب البحري محولًا إياها إلى صرة، وحملتها إلى الردهة الثانية ثم على السلم إلى القاعات العلوية. هناك أفرغتُ البطانية ووضعت العظام على قاعدة تمثال راعية غنم تضم حَملًا بين ذراعيها. ثم رجعت من أجل علبة البسكويت.

فعلت الأمر نفسه مع أهل الفجوة والطفلة المضمومة، أحمل كلًا منهم وأصعد به سلّمًا –أيّ سلّم يكون الأقرب إلى مَسكنه المعهود– وأحفظه بحرص في إحدى القاعات العلوية. لم أُخرِج رجل جلد السمك من البطانية، بل تركته ملفوفًا بها (لديه كِسَرٌ ضئيلة الحجم من العظم عددها كبير إلى حدٍ أخاف معه أن أضيع بعضها). على نحو مماثل، تركتُ الطفلة المضمومة مستكنّةً في بطانية، لكن هذا كان بالأحرى لأنني أردتها أن تشعر بالأمان في مكان غير مألوف.

استغرقتُ جُلَّ ثلاثة أيام لإتمام المهمة. يبلغ وزن عظام كل واحد من الموتى بين 2.5 و4.5 كيلوغرامًا، وارتفاعُ السلالم 25 مترًا. مع ذلك وجدت أن القيام بعمل بدني شاقّ كان أمرًا جيدًا، فقد منع هوَسي المستمر بالجراحات التي ألحقها الآخر بي وبمخاوفي بشأن 16.

لم أكن نسيت فرخ القطرس (الذي صار الآن طائرًا كبير الحجم جدًا!). أجريتُ سلسلة من الحسابات لأكتشف حجم الأثر الذي سيكون للطوفان في الردهة الثالثة والأربعين، وارتحت عندما تبيّن لي

أن الماء هناك لن يزيد بأعلى تقدير على مجرد طبقة رقيقة. طائرا القطرس يعدّانني صديقًا، لكنني لم أظن أنهما سيسمحان لي بحمل فرخهما على سلّم - وفي أي صراع ينشب بيننا هما اللذان سيفوزان بالتأكيد!

البارحة كانت الثلاثاء، اليوم الذي أذهب فيه في الحالة الطبيعية للقاء الآخر. لم أذهب. هل ارتاب يا ترى؟ أم أنه ببساطة ظن أن انشغالي بالتحضير للطوفان منعني من القدوم؟

تمثال الملاك العالق في شجيرةِ ورد (الذي أحتفظ خلفه بدفاتر يومياتي وفهرسي) يرتفع عن الأرضية 5 أمتار تقريبًا؛ ارتفاع يكفي على الأرجح ليبقيني في مأمن من الطوفان. لكن، بما أن دفاتر يومياتي وفهرسي تكاد تكون غالية عليّ مثل حياتي، فقد وضعتها كلها في حقيبة ساعي البريد الجلدية البنية خاصتي، ولففت حقيبة ساعي البريد بالبلاستيك السميك وحملتها إلى القاعات العلوية ووضعتها بجانب رجل علبة البسكويت. لقد خبّأتُ كل عدة صيدي وأكياس نومي وقدوري ومقاليَّ وزبدياتي وملاعقي وممتلكاتي الأخرى في أماكن مرتفعة لا يبلغها الطوفان. كانت مهمتي الأخيرة هي أن ألمّ بقية الأوعية البلاستيكية (التي أستخدمها لجمع الماء العذب).

كنت قد أحضرت لتوي آخر الأوعية من القاعة الجنوبية الغربية الرابعة عشرة واتجهتُ عائدًا إلى القاعة الشمالية الثالثة. في طريقي مررت عبر القاعة الغربية الأولى. هذه هي القاعة التي تحتوي على تمثالَي العملاقين الأقرنين، ذينك الجسدين الهائلين اللذين ينبثقان،

مُكافحَين بقوة وقسماتُ وجهيهما ملتوية، من الجدار على جانبَي الباب الشرقي.

لاحظتُ شيئًا قرب الزاوية الشمالية الشرقية من القاعة وذهبت أنظر إليه. كان حقيبة مصنوعة من قماش رمادي، وبجانبها على الأرض غرضان مصنوعان من الجنفاص الأسود. تبلغ الحقيبة تقريبًا 80 سنتيمترًا طولًا و50 سنتيمترًا عرضًا و40 سنتيمترًا عمقًا. لها مسكتان مصنوعتان من الجنفاص، رماديتان أيضًا. حملتها؛ كانت ثقيلة جدًا. وضعتها أرضًا من جديد. كانت مغلقة بحزامين من الجنفاص يثبّتهما إبزيمان معدنيان. فككتُ الإبزيمين وفتحت الحقيبة. أخرجت كل المحتويات. كانت كما يلي:

- مسدس

- كمية من مادة مطوية مصنوعة من البلاستيك السميك الكثيف. هذا هو الغرض الأكبر حجمًا في الحقيبة بلا منازع؛ يملأ معظم الحقيبة وألوانُه زرقاء وسوداء ورمادية.

- حافظة أسطوانية صغيرة بغطاء محكم. هذه تحتوي على أغراض صغيرة أخرى الغايةُ منها ليست واضحة.

- شيء يشبه شريحةً من أسطوانة أكبر حجمًا قُطعت بزاوية، يخرج منها خرطوم أصفر

- سيخان بلاستيكيان أسودان قابلان للمد إلى طول مترين تقريبًا

بعد تفحُّص هذه الأغراض دقيقةً أو اثنتين، رأيت أنه يمكن وصل شفرات المجاديف بأطراف السيخين الأسودين. فردتُ المادة المطوية؛ اتخذَت شكلًا مسطحًا طويلًا، مدببًا عند طرفيه. إنه قارب. الشيء الذي يشبه شريحة من أسطوانة هو منفاخ أو مضخة. يُضخ الهواء في داخل الشكل المسطح الطويل فينتفخ ويتحول إلى قارب بطول 4 أمتار وعرض متر تقريبًا.

تفحصتُ الغرضين الأسودين المصنوعين من الجنفاص اللذين كانا موضوعين بجانب الحقيبة. كان لهما عدد من الأحزمة يتدلى منهما. استنتجت أنهما لا بد على ارتباط بالقارب، لكن لم أستطع بعد هذا الحد أن أتحقق من غايتهما.

لماذا ظهر قارب فجأةً في البيت عشيةَ الطوفان؟ هل أرسله البيت إليّ كي يُبقيني بأمان؟ تمعنتُ في هذا الافتراض. لقد حصلَت طوفانات أخرى في الماضي ولم يظهر أي قارب؛ وأيضًا، رغم أنه كان بوسعي تخيُّل أن البيت قد يرسل إليّ قاربًا، لم أستطع تخيل أي ظروف يمكن فيها أن يرسل إليّ مسدسًا. كلا، المسدس يدل على مالك الحقيبة؛ إنها للآخَر.

طويتُ القارب وأعدت كل شيء إلى الحقيبة بشكل مرتب. كل شيء ما عدا المسدس. التقطتُه وظللت ممسكًا به بعض الوقت، أفكر.

بوسعي أن آخذه وأنزل على السلم العظيم الذي في الردهة الأولى إلى القاعات السفلية. بوسعي أن ألقيه في المدود.

أرجعت المسدس إلى الحقيبة وأغلقتها. عدت إلى القاعة الشمالية الثالثة.

موجـة

مادة اليوم السابع والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

اليوم كان يوم الطوفان. استيقظتُ في موعدي المعتاد. كانت أعصابي متوترة ومعدتي متقبضة بشدة.

بدا يومًا باردًا واستطعت أن أخمن من ملمس الهواء على جلدي أنها تمطر منذ الآن في الردهات.

لم تكن لدي شهية، لكنني رغم ذلك سخّنت القليل من الحساء وأرغمت نفسي على شربه. من المهم الحفاظ على تغذية الجسد جيدًا. غسلتُ مقلاتي وزبديتي وخبّأتُ آخر ممتلكاتي خلف تماثيل مرتفعة. ارتديت ساعتي.

كانت الثامنة إلا ربعًا.

مهمتي الأهم هي إيجاد 16 والتأكد من سلامتها. أما عن أفضل طريقة لإنجاز ذلك، فهذا لم يكن واضحًا بالمرة. كنت موقنًا أن الآخر أعدّ فخًا لـ 16. الأرجح أنه وعدها أن يقابلها في قاعة محددة في وقت محدد وأن يخبرها كيف تجد ماثيو روز سورنسن. هذا يعني أن أكثر طريقة يمكن الاعتماد عليها لإيجاد 16 هي البحث عن الآخر، لكنني لم أرد أن أقترب من الآخر ما استطعتُ تجنب ذلك. تذكرتُ كلمات النبي:

كلما اقترب 16 ازدادت خطورة كترلي.

كان أملي أن أتمكن من إيجاد 16 قبل أن تصل إلى الآخر.

ذهبتُ إلى الردهة الأولى. وقفتُ تحت المطر الرمادي وانتظرت، على أمل أن تظهر. بين الساعة التاسعة والساعة العاشرة فتشتُ في القاعات المجاورة. لا شيء. عند الساعة العاشرة عدتُ إلى الردهة الأولى.

عند العاشرة والنصف بدأت أسير بين الردهة الأولى والقاعة الشمالية الغربية السادسة؛ تبعتُ الطريق المُبيَّن في توجيهات 16. قطعت هذا الطريق ست مرات، لكنني لم أجدها. بدأ قلقي يبلغ حدًا مفرطًا.

عدت إلى الردهة الأولى. باتت الساعة الآن الحادية عشرة والنصف. على بُعد قاعتين إلى الغرب والشمال من هنا، في الردهة التاسعة، كان المد الأول قد بدأ يرقى السلّم الواقع في أقصى الشرق. راحت دفعة رقيقة من الماء تجري على أرصفة القاعات المحيطة.

لا مناص. يجب عليّ أن أبحث عن الآخر. كنت للتو قد توصلت إلى هذا القرار، فإذا به يظهر أمامي في لحظتها. (لماذا لم تكن 16 هي التي ظهرت؟). كان يسير بهمّة في الطرف المقابل من الردهة الأولى، متجهًا من الشرق إلى الغرب. رأسه محنيّ اتقاءً للمطر. ملابسه مختلفة بشكل لافت عما يرتديه عادةً: بنطال جينز وكنزة قديمة وحذاء رياضي، وفوق كنزته عتاد من نوع غريب. *سترة نجاة*، قلت لنفسي. (أو بالأحرى ماثيو روز سورنسن هو من قال ذلك داخل رأسي).

لم يرَني. عبر إلى داخل القاعة الغربية الأولى. دون جلبةٍ تبعتُه واختبأت في مشكاة قرب الباب.

توجه الآخر من فوره إلى الحقيبة التي تحتوي على القارب القابل للنفخ وبدأ يُفرغها. انتظرتُ، مترقبًا باستمرارٍ ظهورَ 16. كان انتباه الآخر في مكانٍ آخر وربما ما يزال ثمة وقت كافٍ لأعترض طريقها إن هي دخلت إلى القاعة.

خلف الآخر بمسافة قليلة، عند الطرف الغربي من القاعة، استطعت أن أرى تلألؤ ضوء على الرصيف: طبقة طفيفة من الماء تنساب من الأبواب الشمالية الغربية. ألقيت نظرة على ساعتي. على بُعد خمس قاعات إلى الجنوب والغرب من هنا، في الردهة الثانية والعشرين، كان مدٌّ آخر قد بدأ يرتفع، يصعد السلّم متدفقًا.

فردَ الآخر قاربه. وصل مضخته الصغيرة به وبدأ يضخ بقدمه. بدأ القارب ينتفخ بفعالية.

كان الماء قد راح يملأ القاعتين الجنوبيتين الغربيتين الثانية والثالثة؛ استطعت سماع الخبط الباهت للأمواج وهي ترتطم بجدرانهما.

ثم خطر لي. 16 ذكية. إنها على الأقل بمثل ذكائي، وربما أكثر. هي لا تعرف شيئًا عن الطوفان لكنها لن تثق بالآخر. سوف تنتظر وتراقب، مثلما أفعل أنا، آملةً أن يظهر ماثيو روز سورنسن. فجأة راودتني صورة ذهنية نختبئ فيها أنا و16 في القاعة الغربية الأولى، ينتظر كل منا ظهور الثاني. لا يمكنني المجازفة بالبقاء مختبئًا بعد الآن: نزلت من المشكاة وسرت نحو الآخر.

رفع رأسه وعبس وأنا أدنو. لم يتوقف عن نفخ قاربه. على بعد نحو مترين إلى يساره كانت توجد الحقيبة الرمادية، الفارغة الآن، وبجانبها، على الرصيف، المسدس الفضي.

«أين كنت بحق الجحيم؟»، قال بصوت يشي بالاستياء والغضب: «لماذا لم تَحضر يوم الثلاثاء؟ بحثت عنك في كل مكان. لم أستطع أن أتذكر أقلتَ إن المياه ستغمر عشر غرف أم مئة». بدأت حركة قدمه على المضخة تتباطأ؛ كان القارب القابل للنفخ قد امتلأ تقريبًا بالهواء وقدمُه تُواجه مقاومة أكبر. «تعين علي أن أغير خططي. إنه أمر عصيب، لكن ها نحن أولاء. رافاييل قادمة إلى هنا، وشئتَ أم أبيت، سوف ننهي هذا الأمر. لذا لا أسمعنّ منك هراءً، اتفقنا؟ لأنني، أقسم يا بيرانيسي، لقد طفح كيلي من الجميع».

«زرته في منتصف نوفمبر»، قلت: *«كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة للتو، شفقٌ أزرق بارد»*.

توقف عن ضخ الهواء. بات القارب الآن شكلًا مكتنزًا جلدُه مُدوَّر مشدود. «سوف نركّب المقعدين الآن»، قال: «إنهما هذان الشيئان الأسودان هناك. ناولني إياهما، هلا سمحت؟». أشار إلى القطعتين الغريبتين اللتين لم أكن قد تنبأت بالغاية منهما. «حين تغمر المياه الغرفة، سوف نركب أنا وأنت هذا الكاياك. إن حاولَت رافاييل أن تركب معنا، أو أن تتعلق به، استخدم مجدافك لتضربها على يديها ورأسها».

«لقد كان الأصيل عاصفًا»، قلت: *«وأضواء السيارات مُبكسَلة بفعل المطر؛ أوراق الشجر السوداء المبتلّة تصنع لوحاتِ كولاج على الأرصفة»*.

كان يعبث بالمحابس التي ضُخَّ الهواء عبرها. «ماذا؟»، سألني مستثارًا: «عمَّ تتحدث؟ هلا أسرعت وناولتني ذينك المقعدين؟ علينا أن نتحرك. ستصل إلى هنا بين لحظة وأخرى».

«حين وصلت إلى منزله سمعتُ موسيقى تُعزف»، قلت: *«قدّاس موتى. انتظرتُه حتى يردّ على الباب على أنغام مصاحبةٍ لبيرليوز»*.

«بيرليوز؟». توقف عما كان يفعله، اعتدل في وقفته ونظر إليّ كما يليق للمرة الأولى. عبس. «أنا لا... بيرليوز؟».

قلت: *«فُتح الباب. "د. كترلي؟"، قلت»*.

جمد في مكانه فور سماع اسمه. اتسعت عيناه. «عمّ تتحدث؟»، سألني مجددًا بصوتٍ جعله الخوفُ أجشّ.

«باترسي»، قلت: «سألتَني ذات مرة إن كنت أتذكر باترسي. إنني أتذكر باترسي الآن».

بووم! ... ... *بووم!* ... ... المد القادم من الردهة الثانية والعشرين يزداد قوة؛ إنه يرتطم بجدران القاعتين الجنوبيتين الغربيتين الثانية والثالثة بشدة أكبر.

«رأيتَ رسالتها»، قال.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«أجل»، قلت.

اندفعت مُويجةٌ رقيقة من الماء على الرصيف وارتطمت بقدميّ. تبعَتْها أخرى على الفور.

ضحك فجأة؛ صوت غريب: هستيريا تتنكر بزيِّ شعورٍ بالانفراج. «لا، لا!»، قال: «لن تنال مني بهذه السهولة. تلك ليست كلماتك. إنها كلمات شخص آخر. أنت لا تتذكر حقًا. رافاييل هي من جعلك تفعل هذا. حقًا يا ماثيو، إلى أي حد تظنني غبيًا؟».

رمى نفسه فجأةً إلى اليمين، نحو المسدس الملقى على الرصيف. لكنني كنت قد اخترت موضعي بعناية ووقفتُ أقربَ إليه منه هو. ركلت المسدس ركلةً حادةً حسنةً بقدمي. انزلق على الرصيف الرخامي واستقر قرب الجدار الشمالي على بعد نحو خمسة عشر مترًا. المزيد من المويجات -باتت أعمق الآن- تجري حول أقدامنا. تتدفق خلف المسدس، كأننا نلعب كلنا لعبة مع المسدس وهي تنوي أن تمسك به.

«ماذا...؟ ماذا ستفعل؟»، سألني الآخر.

«أين 16؟»، سألته.

فتح فمه ليقول شيئًا، لكن لحظتئذٍ سُمع صوت. «كترلي!»، صاح الصوت. صوت امرأة. 16 هنا!

بناءً على الصوت قدّرتُ أنها مختبئة في أحد الأبواب الجنوبية. أما الآخر، الذي لم يكن يألف الطريقة التي تتردد بها الأصداء في القاعات، فقد راح ينظر حوله على نحو مرتبك.

«كترلي»، صاحت مجددًا: «لقد جئتُ من أجل ماثيو روز سورنسن».

قبض على ذراعي اليمنى. «إنه هنا!»، صاح: «إنه في حوزتي! تعالي وخذيه».

هدير المدود يزداد صخبًا. صداه القوي يملأ القاعة كلها. الماء يتدفق باسترسال عبر جميع الأبواب الجنوبية.

«احذري!»، صحت: «إنه ينوي لك الأذى. معه مسدس!».

خرج جسدٌ صغير نحيل من الباب المفضي إلى القاعة الجنوبية الأولى. كانت ترتدي بنطال جينز وكنزة خضراء. شعرها الداكن مربوط في ذيل حصان.

أفلتني الآخر من يده اليمنى (إلا أنه ما زال يمسك بي باليسرى). ثمّ كوّرَ قبضة يده اليمنى وأرجع ذراعه وجسده إلى

الخلف، ينوي استجماع بعض الزخم ليضربني؛ لكنني رجعت معه، مُفقدًا إياه توازنه. تطوّحَ أرضًا. تحررتُ منه وبدأت أركض نحو 16.

بينما أنا أركض، رحت أصيح: «ثمة طوفان قادم! علينا أن نتسلق!».

لا أعرف مقدار ما سمعَته من كلماتي، غير أنها فهمت الإلحاح في صوتي. قبضتُ على يدها. ركضنا معًا نحو الجدار الشرقي.

كان تمثالا العملاقين الأقرنين أمامنا على جانبي الباب الشرقي، لكن لم يكن بوسعنا أن نتسلقهما؛ جسداهما ينبثقان من الجدار من على ارتفاع مترين عن الأرض وما من مماسك يد ولا مواطئ قدم قبل ذلك الموضع. بجانب العملاق الواقع على اليسار يوجد تمثال أبٍ يجلس ويضم ابنه الصغير بين ذراعيه؛ الأب يقتلع شوكةً من قدم ابنه. تسلقتُ إلى داخل مشكاتهما ثم على قاعدتهما. اعتليتُ حِجرَ الأب، وعن طريق التعلق بأحد الأعمدة التي على الجانب، واستخدام ذراع الأب وكتفه ورأسه مواطئَ قدم، تسلقتُ إلى فوق المُسنّم المثلثي الذي يعلو المشكاة. حاولت 16 أن تتبعني، لكنها ليست بطول قامتي ولا هي، كما أظن، معتادة على التسلق. وصلَت إلى حِجر التمثال ثم بدت لا تعرف ماذا تفعل بعد ذلك. بسرعة نزلتُ من جديد ورفعتُها؛ بمساعدتي، سحبَت نفسها إلى فوق المسنم.

لقد حلّت الظهيرة. في الردهتين العاشرة والرابعة والعشرين أخذ آخرُ مدَّين يرتفعان، ويملأان المنطقة المحيطة بمياه هائجة متلاطمة.

فوق المسنم بنصف متر يوجد إفريز سميك أو رفٌّ يمتد على طول القاعة. تسلقنا إلى قمة المسنم المنحدر ثم رفعنا نفسينا إلى فوق الإفريز في الأعلى. الآن صرنا على ارتفاع نحو سبعة أمتار عن الأرضية. كانت 16 شاحبة اللون ترتجف (من الواضح أنها لا تحب التسلق)، لكن وجهها يكتسي بتعبيرِ عزيمةٍ ضارية.

فجأةً امتلأ الهواء بأصوات فرقعة حادة –ربما أربعة أصوات– واحدًا تلو الآخر. للحظةٍ مروّعةٍ ظننت أن وزن المياه وتذبذباتها سوف تتسبب في انهيار القاعة. نظرت إلى قلب القاعة ورأيت أن الآخر لم يكن قد ركب قاربه بعد (حيث سيكون بأمان)؛ عوضًا عن ذلك كان قد ركض إلى الجدار الشمالي ليسترجع مسدسه. إنه يُطلق النار علينا.

«اركب القارب!»، صحت إليه: «اركب القارب قبل فوات الأوان!».

أطلق النار مجددًا، فأصاب تمثالًا فوق رأسينا. أحسست بألم حاد في جبهتي. صرختُ. رفعتُ يدي إلى جبيني وعندما أنزلتها كان الدم يغطيها.

بدأ الآخر يخوض في المياه الجارية متجهًا نحونا – واضعًا في باله، كما أفترض، أن يطلق النار علينا بفعالية أكبر.

صحت به من جديد، قلت شيئًا بمعنى أن المدود تكاد تصل! – لكنّ هدير المياه الهائل كان يدوّي من كل اتجاه لذا أشك أن يكون سمعني.

لو لم يكن ثمة من يُطلق النار علينا، لاستطعنا أن نبقى على الإفريز. (ثم، إن ارتفعت المياه أكثر مما أتوقع، يمكننا أن نتسلق بعد). لكن، حسب الوضع القائم، كنا مكشوفَين، بلا وقاء.

تحتنا بمتر أو نحوه كان ظهرُ العملاق الأقرن وعضداه تنبثق من الجدار. هنالك مساحة بين ظهره وبين الجدار، ما يشبه جيبًا رخاميًا. قفزتُ؛ كانت المسافة تبلغ تقريبًا مترين جانبيًا، ومترًا إلى الأسفل؛ نجحتُ بسهولة. نظرت إلى الأعلى نحو 16. كانت عيناها مُشرعتَين من الخشية. مددتُ ذراعيّ. قفزَت. أمسكتُ بها.

بتنا الآن محتميَين من مسدس الآخر بجسم العملاق. رفعتُ نفسي على ظهره الرخامي لأنظر من فوق كتفه.

الآخر أشاح عنا وراح يحاول بلوغ القارب. إلا أنه كان قد تخلى عن الأمر بعد فوات الأوان. ارتفاع المياه يبلغ ركبتيه والأمواج المتلاطمة تجرّه. إذ راح يكافح، بدا أنه يزداد ثقلًا؛ القارب على النقيض ازداد خفةً وحريةً. أخذ يتراقص على وجه المياه، يندفع من أحد أجزاء القاعة إلى آخر؛ كان في لحظة قرب الجدار الشمالي، ثم إذا به في التالية قد قطع نصف المسافة إلى الجدار الغربي. ظل الآخر يغير اتجاهه كي يتبعه، لكن بحلول الوقت الذي يتقدم فيه بضع خطوات بجهد جهيد، يكون القارب قد صار في مكانٍ آخر تمامًا.

فجأةً إذا بالقارب كأنه يتذكر الغاية التي جُلب من أجلها إلى هنا؛ بدا أن قراره قد قر على إنقاذه. استدار ومضى باتجاهِ الآخر

مباشرة. مد الآخر ذراعيه وانحنى إلى الأمام ليمسك به. بالكاد كان يبعد نصف متر عن قبضته. للحظة أظن أنه وضع يده على مقدمه؛ ثم ما كان من القارب إلا أن دار ورحل، تحملُه المياه إلى الطرف الغربي من القاعة.

«تسلق! تسلق!»، صحت. لقد فات الأوان على اللحاق بالقارب، لكنني فكرت أنه إن تسلق ربما يظل بوسعه إنقاذ نفسه. بيد أنه لم يستطع سماعي من صوت المياه المندلقة إلى داخل القاعة. تابع التخويض بيأس ودون جدوى خلف القارب.

سُمع اندفاع هائل وهدير هائل من القاعة المجاورة؛ ارتطم وزنٌ من الماء بالوجه الآخر للجدار الشمالي. *بووم!!!*. حينها أسعدني أننا قد نزلنا إلى العملاق الأقرن. لو أننا ما زلنا واقفين على الإفريز، لارتمينا عن الجدار. لكنّ العملاق الأقرن ثبّتنا في مكاننا.

تفجّر الرذاذ بارتفاع يبلغ السقف عبر جميع الأبواب الشمالية. التقط الرذاذ ضوءَ الشمس؛ كما لو أن أحدًا ما أفرغ فجأةً محتوى مئة برميل من الألماس إلى داخل القاعة.

اندفعت أمواج عظيمة عبر الأبواب الشمالية. قبضت إحداها على الآخر ورمت به على الجدار الجنوبي. اصطدم بالتماثيل في نقطة ترتفع نحو خمسة عشر مترًا عن الأرضية. أتصور أن تلك كانت لحظة مصرعه.

انسحبت الموجة؛ اختفى في قلبها.

في تلك الأثناء كان القارب الصغير القابل للنفخ يدور في الأنحاء على وجه المياه، تغمره أحيانًا لحظةً أو اثنتين، لكنه لا يلبث حتى يظهر من جديد على الفور كل مرة. لو أنه استطاع أن يصل إليه وحسب، لتكفل ذلك بإنقاذ حياته.

رافاييل

المادة الثانية لليوم السابع والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

راحت الأمواج ترتطم بالجدار الجنوبي؛ امتلأت القاعة بانفجارات من الرذاذ الأبيض. غطت المياهُ طبقةَ التماثيل السفلى؛ كان لون المياه رماديًا عاصفًا وأعماقها سوداء. عدة مرات مرّت أمواج من فوق رأسينا، لكنها كانت تنسحب في اللحظة التالية. تغرّقنا من الماء، شعرنا بالخدر، بالعمى، بالصمم؛ غير أننا كنا ننجو في كل مرة.

انقضى وقت.

غارت الأمواج وصارت المياه مُهادِنة. بدأت تنحسر مبتعدة إلى السلالم والقاعات السفلية. عاودت رؤوس تماثيل الطبقة السفلى الظهورَ من فوق سطح المياه.

طيلة هذا الوقت لم يكون واحدنا أنا و16 كلّمَ الثاني. هدير الأمواج كان ليجعل سماع الواحد منا للثاني مستحيلًا، وعلى أي حالٍ

تركيزُنا انصبّ على إنقاذ نفسينا وإنقاذ واحدنا للآخر؛ لم يكن يخطر ببالنا أي شيء غير ذلك. الآن التفتنا ونظر واحدنا إلى الثاني.

لـ 16 عينان كبيرتان داكنتان ووجه منمنم القسمات كوجه عفريتة سحرية. التعبير على وجهها رصين. هي أكبر سنًا مني بقليل – في الأربعين تقريبًا، كما أظن. كان شعرها أسود من البلل.

«أنتِ ستّـ... أنتِ رافاييل»، قلت.

«أنا سارا رافاييل»، قالت: «وأنت ماثيو روز سورنسن».

وأنت ماثيو روز سورنسن. هذه المرة صاغتها على شكل إفادة، لا سؤال. هذا سابق لأوانه بالتأكيد. لكان أفضل لو ظلت على شكل السؤال. لكن في المقابل، لو أنها صاغتها على شكل سؤال، لما عرفتُ كيف أجيب.

«هل كان يعرفك؟»، سألتها.

«من كان يعرفني؟»، قالت.

«ماثيو روز سورنسن. هل كان ماثيو روز سورنسن يعرفك؟ ألهذا أتيتِ إلى هنا؟».

سكتت قليلًا، تستوعب ما قلتُه لتوي. ثم قالت بحرص: «كلا. أنا وأنت لم يسبق لنا اللقاء».

«إذًا لماذا؟».

«أنا شرطيّة»، قالت.

«أوه»، قلت.

خيّم علينا الصمت من جديد. كنا كلانا ما نزال دائخَين مما حدث. أعيننا ما تزال ممتلئة بصور المياه العنيفة؛ آذاننا ما تزال ممتلئة بأصواتها؛ عقلانا ما يزالان ممتلئَين بتلك اللحظة التي رمت الموجةُ فيها بالآخر على جدار التماثيل. لم يملك واحدنا في تلك اللحظة ما يقوله للثاني.

وجّهَت رافاييل انتباهها إلى المسائل العملية. فحصَت الجرح في جبهتي وقالت إنه ليس عميقًا جدًا. لا تعتقد أنني أُصِبت بإحدى رصاصات الآخر؛ الأرجح أنني جُرحت من شظية رخام صغيرة.

تابع مستوى المياه الانخفاض. حين بات ارتفاعها لا يزيد على قواعد طبقة التماثيل السفلى، بدأتُ أفكّر كيف سننزل عن العملاق الأقرن. لا يمكننا الرجوع من الطريق الذي جئنا منه لأن هذا سيتضمن قفزةً إلى الأعلى نحو الإفريز. لم أعتقد أن بوسع رافاييل أن تتدبر ذلك. (في الحقيقة، لم أكن متأكدًا حتى أن ذلك بوسعي أنا).

«سأذهب وأجلب شيئًا يساعدكِ على النزول»، قلت لها: «لا يُصبكِ القلق. سأرجع أسرع ما أستطيع».

أنزلتُ جسدي عن جذع العملاق وأفلتُّ. كانت المياه تبلغ ارتفاع فخذي. رحت أخوّض إلى القاعة الشمالية الثالثة وتسلقت

التماثيل إلى المواضع التي أحتفظ فيها بمتعلقاتي. كان كل شيء مبللًا من الرذاذ، لكن لا شيء تَغرَّق. أخذتُ شبكتَي صيدي وقنّينة ماء عذب والقليل من العشب البحري المجفف. (من المهم الحفاظ على إمداد الجسم بالماء والغذاء).

رجعتُ إلى القاعة الغربية الأولى. كانت المياه بالفعل قد انخفضت قليلًا بعد وباتت لا تزيد على ارتفاع ركبتيّ. تسلقت العملاق الأقرن من جديد. أعطيتُ رافاييل بعض الماء وجعلتها تأكل القليل من العشب البحري المجفف (إلا أنني لا أظنه أعجبها). ثم ربطتُ إحدى شبكتَي صيدي بالأخرى وثبّتُّهما إلى إحدى ذراعَي العملاق. تدلّتا إلى نقطة ترتفع نحو نصف متر عن الرصيف. دللتُ رافاييل كيف تستخدم شبكتي الصيد لتنزل.

خوّضنا إلى الردهة الأولى وارتقينا السلّم العظيم كي نبتعد عن متناوَل المياه. جلسنا. كانت ملابسنا ملتصقة بجسمينا من البلل. شعري –الداكن المجعد– ممتلئ بقطيرات الماء كما الغيمة. كنت أُمطرُ كلما تحركت.

عثرت الطيور علينا هناك. تجمّعت أنواع مختلفة –نوارس فضية وغدفان وشحارير وعصافير– على التماثيل والدرابزينات وراحت تزقزق لي بأصواتها المختلفة.

«ستختفي عما قريب»، قلت للطيور: «لا تقلقي».

«ماذا؟»، سألَتني رافاييل مجفلة: «لست أفهم».

«كنت أكلم الطيور»، قلت: «إنها فزعة من كميات المياه الهائلة التي في كل مكان. أقول لها إنها ستختفي قريبًا».

«أوه!»، قالت: «هل... هل تكلم الطيور كثيرًا؟».

«أجل»، قلت: «لكن لا داعي إلى أن تبدو عليك المفاجأة. أنت نفسكِ كلمتِ الطيور. في القاعة الشمالية الغربية السادسة. سمعتُك».

بدت عليها مفاجأة أكبر بعدُ أمام هذا. «ماذا قلتُ؟»، سألتني.

«قلتِ لها أن تغرب عن وجهك. كنت تكتبين رسالة إلي وكانت تتصرف بشكل مزعج، تنقض على وجهك وتطير فوق كتابتك، تحاول أن تعرف ما الذي تفعلينه».

فكّرَت لحظة. «أكانت هذه الرسالة التي مسحتَها؟»، سألتني.

- أجل.

- لماذا فعلتَ ذلك؟

- لأن الآخـ... لأن د. كترلي أخبرني أنك عدوّتي وأن قراءة ما كتبتِه ستجعلني أجن. لذا محوت الرسالة. لكن في الوقت نفسه، كنت أريد أن أقرأها، لذا لم أمحُها كلها. لم أكن أتصرف على نحو منطقي كثيرًا.

- لقد صعّبَ الأمور عليك جدًا.

- أجل. أظن أنه فعل.

ساد صمت.

«كلانا متغرّق من البلل ويشعر بالبرد»، قالت رافاييل: «ربما يجدر بنا الذهاب؟».

«الذهاب إلى أين؟»، قلت.

«إلى المنزل»، قالت رافاييل: «أقصد بوسعنا أن نذهب إلى بيتي ونتنشّف. ثم يمكنني أن آخذك إلى المنزل».

«إنني في منزلي»، قلت.

نظرت رافاييل حولها إلى المياه الرمادية الكئيبة التي تلعق الجدران وتتقاطر عن التماثيل. لم تقل أي شيء.

«في العادة يكون أكثر جفافًا من هذا بكثير»، قلت بسرعة تحسبًا من أن تكون تظن منزلي رطبًا يُنفّر ضيوفه.

لكن لم يكن هذا ما تفكر فيه.

«ثمة شيء عليّ أن أقوله لك»، قالت: «لا أعلم إن كنت تتذكر هذا، لكن أنت لديك أم وأب. وأختان. وأصدقاء»، حدّقت إليّ بإمعان: «هل تتذكر؟».

هززتُ رأسي.

«كانوا يبحثون عنك»، قالت: «لكنهم لم يعرفوا المكان الصحيح ليبحثوا فيه. كانوا قلقين عليك. لقد...». أشاحت بوجهها مجددًا

لتجد الكلمات الصحيحة التي تعبر بها عن فكرتها. «لقد شعروا بالألم لأنهم لم يعرفوا أين كنت»، قالت.

تأملتُ في هذا. «يؤسفني أن تشعر أم ماثيو روز سورنسن وأبوه وأختاه وأصدقاؤه بالألم»، قلت: «لكنني لا أرى حقًا ما هي علاقتي بهذا».

«لستَ تنظر إلى نفسك على أنك ماثيو روز سورنسن؟».

«لا»، قلت.

«لكنّك تملك وجهه»، قالت.

– أجل.

– ويديه.

– أجل.

– وقدميه وجسمه.

«هذا كله صحيح. لكنني لست أملك عقله ولا أملك ذكرياته. لا أقصد أنه ليس هنا. إنه هنا»، لمستُ صدري، «غير أني أظنه نائمًا. هو بخير. يجب ألا تقلقي عليه».

أومأت برأسها. لم تكن شخصًا مُماحِكًا مثلما كان الآخر؛ لم تجادل وتناقض كل شيء أقوله. أعجبني هذا فيها. «من أنت؟»، سألتني: «إن لم تكن هو».

«أنا الابن المحبوب للبيت»، قلت.

«البيت؟ ما هو البيت؟».

يا له من سؤال غريب! فردتُ ذراعيّ أشير إلى الردهة الأولى، إلى القاعات التي بعد الردهة الأولى، إلى كل شيء. «هذا هو البيت. انظري!».

«أوه. فهمت».

ظللنا صامتَين لحظة.

ثم قالت رافاييل: «أحتاج أن أسألك سؤالًا. أتراكَ تكون مستعدًا للذهاب معي إلى والدَي ماثيو روز سورنسن وأختيه – كي تدعهم يرون وجهه من جديد؟ سوف يساعدهم كثيرًا أن يعرفوا أنه على قيد الحياة. حتى لو كان لا بد أن تَمضي مجددًا – أقصد حتى لو كان لا بد أن ترجع إلى هنا، الأمر سوف يساعدهم. ما رأيك في ذلك؟».

«لا أستطيع أن أفعل هذا الآن»، قلت.

- طيب.

- علي أن أراعي احتياجات رجل علبة البسكويت... والطفلة المضمومة... وأهل الفجوة. ليس لديهم من يعتني بهم غيري. إنهم في محيط غير مألوف وقد يشعرون بالاضطراب. لا بد أن أُرجعهم إلى أماكنهم المخصصة لهم.

«يوجد أناس آخرون هنا؟»، سألتني رافاييل متفاجئة.

- أجل.

- كم عددهم؟

- ثلاثة عشر. الذين ذكرتهم لتوي وأيضًا الشخص المستتر. غير أن الشخص المستتر يُقيم في إحدى القاعات العلوية ولم يتأثر بالطوفان لذا لم تكن ثمة حاجة إلى نقله أو نقلها.

«ثلاثة عشر شخصًا!»، اتّسعت عينا رافاييل الداكنتان من الذهول، «رباه! هل هم على ما يرام؟».

«أجل»، قلت: «إنهم بخير. أنا أعتني بهم جيدًا».

- لكن من يكونون؟ هل يمكنك أن تأخذني إليهم؟ هل ستانلي أوفندن هنا؟ ماذا عن سيلفيا داغوستينو؟ ماوريتسيو جوساني؟

- أوه، من المحتمل للغاية أن يكون أحدهم ستانلي أوفندن. الأكيد أن النبـ... الأكيد أن لورنس آرن-سيلز اعتقدَ ذلك. ربما يكون آخرُ سيلفيا داغوستينو وآخرُ ماوريتسيو جوساني. لسوء الحظ، لا أملك أدنى فكرة عمّن يكون مَن.

- ماذا تقصد؟ هل نسيت من يكونون؟ ماذا يقولون هم؟

- أوه، لا يقولون شيئًا يُذكر في الحقيقة. جميعهم موتى.

- موتى!

- أجل.

«أوه!». أخذَت رافاييل لحظة كي تستوعب هذا. «هل كانوا موتى عندما وصلتَ؟»، سألتني.

«أنا...». سكتُّ قليلًا. إنه سؤال مثير للاهتمام. لم أتفكر فيه من قبل. «أظن ذلك»، قلت: «أظن أنهم كلهم موتى منذ وقت طويل، لكن بما أنني لا أتذكر وصولي، فلست أستطيع أن أجزم. الوصول كان شيئًا حدث لماثيو روز سورنسن، لا لي أنا».

- أجل، أفترض أن هذا صحيح. لكن ماذا تقصد بقولك إنك تعتني بهم؟

- أحرص على أن يكونوا في حالة جيدة. أن يكونوا كاملين ومرتَّبين قدر ما يمكن. آخذ لهم قرابين من الطعام والشراب وزنابق الماء. وأكلمهم. أليس لديك موتاكِ الخاصين في قاعاتك؟

- لدي. بلى.

- ألا تأخذين لهم قرابين؟ ألا تكلمينهم؟

قبل أن يتسنى لرافاييل أن تجيب عن هذا خطرت لي خاطرة أخرى. «قلتُ إنه يوجد ثلاثة عشر ميتًا، لكن هذا غير صحيح. لقد انضم د. كترلي إلى عددهم. عليّ أن أجد جثمانه وأجهّزه للرقاد مع الآخرين». صفقت بيديّ. «إذًا، كما ترين، لدي الكثير جدًا من المهام التي عليّ أن أؤديها ولا يمكنني في الوقت الحالي أن أفكر في مغادرة هذه القاعات».

أومأت رافاييل ببطء. «لا بأس في هذا»، قالت: «ثمة متسع من الوقت». مدّت يدها، وعلى نحوٍ مرتبك بالأحرى -إنها بدماثة كذلك- وضعت يدها على كتفي.

على الفور، ويا لإحراجي الهائل، بدأت أبكي. تصاعد نشيجٌ عظيم ذو صرير في صدري وطفر الدمع من عينيّ. لم أعتقد أنني أنا من كان يبكي؛ هو ماثيو روز سورنسن يبكي من خلال عينيّ. استمر ذلك وقتًا طويلًا حتى تضاءل إلى شهقات أشبه بنهيق مترافق مع حازوقة طلبًا للهواء.

كانت رافاييل ما تزال تضع يدها على كتفي. أشاحت بلباقة ريثما أمسح عينيّ وأنفي بظهر يدي.

«سوف ترجعين؟»، قلت: «حتى إن لم أذهب معك الآن، سوف ترجعين إلى هنا؟».

«سأرجع غدًا»، قالت: «سيكون ذلك في وقت متأخر إلى حد ما من المساء. هل هذا مقبول؟ كيف سيجد واحدنا الآخر؟».

«سأنتظرك هنا»، قلت: «لا يهم كم يكون الوقت متأخرًا. سأنتظر إلى أن تأتي».

«وستفكر في ما قلتُه؟ بشأن القدوم لرؤية ذويـ... لرؤية والدَي ماثيو روز سورنسن وأختيه؟».

«أجل»، قلت: «سأفكر في الأمر».

انصرفت رافاييل، واختفت في داخل المساحة المسكونة بالظلال بين المينوتورَين في الزاوية الجنوبية الشرقية من الردهة.

كانت ساعتي قد توقفت، لكنني قدّرتُ أنه أول المساء. كنت وحيدًا، ومنهَكًا، وجائعًا، ومبتلًّا. خوّضت عائدًا إلى القاعة الشمالية الثالثة. الماء ما يزال بعمق نصف متر. تسلقتُ وتفحصتُ العشب البحري الجاف الذي أستخدمه لإشعال النار. لسوء الحظ كان قد ابتلّ بالكامل بفعل الأمواج العظيمة. لم أستطع أن أشعل نارًا. لم أستطع أن أطبخ أي شيء.

أحضرتُ كيس نومي -الرطب كثيرًا هو الآخر- وأخذته إلى الردهة الأولى. استلقيتُ على درجة مرتفعة جافة من السلم العظيم.

آخر خاطرة خطرت ببالي قبل أن أغط في النوم كانت: *لقد مات صديقي الوحيد. عدوّي الوحيد.*

أُواسي د. كترلي

مادة اليوم الثامن والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

عثرتُ على جثمان د. كترلي في زاوية من زوايا السلم الواقع في الردهة الثامنة. لقد انسحق من الارتطام بالجدران والتماثيل. ملابسه

تحولت إلى مزق. فككتُه عن الدرابزين وفردتُ جسده ورتّبتُ أطرافه. أخذتُ رأسه المسكين المكسور في حِجري وضممته.

«لقد ذهبَت طلعتُك الحسنة»، قلت له: «لكن يجب ألا تقلق بهذا الشأن. ليست هذه الحالة البشعة سوى وضع مؤقت. لا تحزن. لا تخف. سوف أتركك في مكان يمكن فيه للسمك والطيور أن تجرّدك من كل هذا اللحم الممزق. سوف يزول عما قريب. حينها سوف تصبح جمجمة وسيمة وعظامًا وسيمة. سوف أضعك في حالة جيدة وتتمكن من التنعم بالراحة في ضوء الشمس وضوء النجوم. سوف تنظر التماثيل إليك من علٍ بعينِ البركة. أنا آسف لأنني كنت غاضبًا منك. سامحني».

لم أعثر على المسدس – لا بد أن المدود أخذته إلى أعماقها؛ لكنني في وقت لاحق من الصباح عثرت على قارب د. كترلي وهو ما زال يتكاسل في القاعة الغربية الأولى على وجه المياه التي لم يعد عمقها الآن يزيد على ارتفاع الكاحل. لم يكن قد أصابه أذًى تقريبًا.

«أتمنى لو أنك أنقذته»، قلت له.

لم أشعر أنه أجاب بأي شكل. بدا ناعسًا، كابيًا، نصفَ حيٍّ لا أكثر. من غير مياه مندفعة تبعث الحركة فيه، لم يعد ذلك الشيطانَ الذي كان يتراقص على الأمواج، هازئًا بـ د. كترلي أولَ الأمر قبل أن يتخلى عنه.

لقد كنت أفكر في ما قالته رافاييل عن أم ماثيو روز سورنسن وأبيه وأختيه وأصدقائه. ربما يجدر بي أن أرسل إليهم رسالة تشرح أن ماثيو روز سورنسن يعيش الآن في داخلي، أنه غائب عن الوعي إنما في مأمن تمامًا، وأنني شخص قوي وواسع الحيلة سأواظب على العناية به، بالضبط مثلما أعتني بالآخرين من الموتى.

سوف أسأل رافاييل عن رأيها بهذه الفكرة.

ما إن خيّمَت الظلالُ على الردهة الأولى حتى رجعَت رافاييل

المادة الثانية لليوم الثامن والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

ما إن خيّمَت الظلالُ على الردهة الأولى حتى رجعَت رافاييل. جلسنا على إحدى درجات السلم العظيم مثل المرة الماضية. كان مع رافاييل جهاز صغير ساطع مثل الذي كان يملكه الآخر. نقرَت عليه فأصدر شعاعًا من الضوء الأبيض الأصفر يُنير التماثيل ووجهَينا.

حكيت لرافاييل عن خطتي بالكتابة إلى أم ماثيو روز سورنسن وأبيه وأختيه وأصدقائه، لكنها لسببٍ ما لم ترَ أنها فكرة جيدة.

«ماذا أناديك؟»، سألتني.

«تنادينني؟»، قلت.

«بأي اسم؟ إن لم تكن ماثيو روز سورنسن، فماذا أناديك؟».

«أوه، فهمت. أعتقد أن بإمكانك مناداتي بير...»، توقفتُ. «اعتاد د. كترلي أن يناديني بيرانيسي»، قلت: «قال إنه اسم له علاقة بالمتاهات، لكنني أظن أن المقصود منه ربما كان السخرية مني».

«وارِد»، وافقَت رافاييل: «لقد كان رجلًا من هذا النوع». ساد قليلٌ من الصمت ثم قالت: «هل تود أن تعرف كيف عثرتُ عليك؟».

«جدًا»، قلت.

«كانت ثمة امرأة. لا أعتقد أنك تتذكرها. كان اسمها أنغهارد سكوت. لقد كتبَت كتابًا عن لورنس آرن-سيلز. قبل ست سنوات، أنت تواصلت معها. أخبرتَها أنك تفكر أنت أيضًا في كتابة كتاب عن آرن-سيلز، وخضتما معًا محادثة طويلة. ثم لم تسمع خبرًا منك بعدها قط. في شهر مايو من هذه السنة، اتصلَت بالكلية التي كنتَ تعمل فيها بلندن لأنها أرادت أن تعرف ماذا حل بالكتاب - إذا ما كنت لم تزل تكتبه. أخبرها الناس في الكلية أنك مفقود؛ أنك كنت مفقودًا تقريبًا طيلة الوقت منذ أول مرة تحدثَت معك فيها. هذا الأمر قرع كلَّ أجراس الإنذار لدى السيدة سكوت لأنها كانت على علم بمسألة الأشخاص الذين اختفوا في محيط آرن-سيلز. أنت كنت الرابع - الخامس إن حسبتَ جيمي ريتر. لذا تواصلَت معنا. كانت تلك أول مرة نعرف فيها -أقصدنا نحن الشرطة- بوجود أي رابط بينك وبين

آرن–سيلز. حين تكلمنا مع الأشخاص الذين تبقّوا من دائرة آرن–سيلز –بانرمان وهيوز وكترلي وآرن–سيلز نفسه– بدا واضحًا أن هناك شيئًا يحدث. تالي هيوز ظلت تبكي وتقول إنها آسفة. آرن–سيلز تحمس من الاهتمام وكترلي ما كان يستطيع أن يفتح فمه دون أن يكذب». سكتَت قليلًا. «هل تفهم أي شيء مما أقوله؟».

«قليلًا»، قلت: «لقد كتب ماثيو روز سورنسن عن كل هؤلاء. أنا أعلم أنهم مرتبطون بالنبـ... بلورنس آرن–سيلز. هل هو من أخبرك أين أنا؟ لقد قال إنه سيفعل».

– من؟

– لورنس آرن–سيلز.

أخذت رافاييل لحظة كي تستوعب هذا. «أنت تحدثتَ إليه؟»، سألتني بنبرة تشي بعدم التصديق.

– أجل.

– هو جاء إلى هنا؟

– أجل.

– متى؟

– قبل نحو شهرين.

– ولم يعرض أن يساعدك؟ لم يعرض أن يُخرجك من هنا؟

- كلا. لكن للإنصاف، لو أنه عرض لما أردت الذهاب. في الحقيقة، أنا لم أزل غير متأكد إذا ما كنت أريد الذهاب.

خرجت بومة شاحبة اللون تحلّق من القاعة الشرقية الأولى إلى داخل الردهة الأولى. استقرت على تمثال مرتفع على الجدار الجنوبي وراحت تومض ناصعةَ البياض في العتمة. سبق أن رأيت طيور بوم مُصوَّرة بالرخام. العديد من التماثيل تُجسّدها. لكن لم يسبق لي قط أن رأيت نسختها الحية قبل الآن. كان ظهورها، أنا متأكد، مرتبطًا بمجيء رافاييل ورحيل د. كترلي؛ كأن جوهرًا للموت قد حل محلَه جوهرٌ للحياة. إن الأشياء، قلت لنفسي، باتت تتسارع.

لم تكن رافاييل قد انتبهت إلى البومة. قالت: «أنت محق. آرن-سيلز أخبرنا بالحقيقة على الفور. قال إنك في المتاهة. لكن بالطبع... حسنًا، نحن ظننا أنه كان يحاول أن يستفزنا وحسب. وهذا صحيح. لقد كان بالفعل يحاول أن يستفزنا وحسب. صبرَ زملائي على ذلك بعضَ الوقت، لكنهم يئسوا منه في نهاية المطاف. أنا كانت لدي فكرة مختلفة. قلت لنفسي: هو يحب الكلام. دعيه يتكلم. في النهاية سيقول شيئًا مفيدًا».

نقَرت على جهازها الصغير الساطع. تكلّمَ بصوتِ لورنس آرن-سيلز المتكبر ذي اللكنة الممطوطة: «*أنتِ تظنين أن كل كلامي عن عوالم أخرى لا يتصل بالموضوع. لكن هذا غير صحيح. إنه أساسي بكل ما في الكلمة من معنى. ماثيو روز سورنسن حاول الدخول إلى عالم آخر. لو أنه لم يفعل ذلك، لما كان "اختفى" حسب تعبيرك*».

أجابه صوت رافاييل: «شيء في المحاولة تسبب في اختفائه؟».

«أجل». لورنس آرن-سيلز من جديد.

- حدث شيء له خلال هذا... هذا الطقس الشعائري، أيًا كان؟ لماذا؟ أين تحدثُ هذه الطقوس؟

- أتقصدين أن تسألي إذا ما كنا نؤديها على حافة جرف وهو سقط ببساطة؟ كلا، لا شيء من هذا القبيل. إلى جانب أن ذلك لم يكن يحدث بواسطة الطقوس الشعائرية بالضرورة. أنا عن نفسي لا أستخدم هذه الطقوس أبدًا.

«لكن لماذا تراه يفعل هذا؟»، سألته رافاييل: «لماذا تراه يؤدي الطقس الشعائري أو أيًا كان ذلك؟ لا شيء مما كتبه يوحي أنه كان يؤمن بنظرياتك. بل العكس إلى حد بعيد في الواقع».

«أوه، الإيمان»، قال آرن-سيلز، مشددًا على الكلمة تشديدًا تهكميًا بالغًا: «لماذا يظن الناس دائمًا أن المسألة مسألة إيمان؟ ليست كذلك. بوسع الناس أن "يؤمنوا" بما يريدون. هذا لا يهمني بأدنى قدر».

- أجل، لكن إن كان لا يؤمن، لماذا تراه يحاول أساسًا؟

- لأنه كان يملك نصف دماغ ويدرك أن دماغي واحد من أعظم عقول القرن العشرين - ربما الأعظم على الإطلاق. وكان يريد أن يفهمني. لذا أقدم على محاولة الوصول إلى عالم آخر، ليس لأنه

اعتقد بوجود العالم الآخر، بل لأنه ظن أن المحاولة بحد ذاتها ستمنحه إطلالة على فكري. إطلالة على داخلي. والآن أنت سوف تفعلين الأمر نفسه.

«*أنا؟*»، بدت رافاييل مجفلة.

- أجل. وسوف تفعلين ذلك للسبب الذي دفع روز سورنسن إلى فعله نفسه بالضبط. هو أراد أن يفهم تفكيري. وأنت تريدين أن تفهمي تفكيره. عدِّلي مُدركاتِك بالطريقة التي سأصفها لك. أدّي الخطوات التي سألخصها لك وحينها ستعرفين.

- ماذا سأعرف يا لورنس؟

- ستعرفين ما حدث لماثيو روز سورنسن.

- الأمر بهذه البساطة؟

- أوه، أجل. الأمر بهذه البساطة.

نقرت رافاييل على الجهاز؛ صمتت الأصوات.

«لم أرَ أنها فكرة سيئة»، قالت: «أن أحاول فهم ما كنت تفكر فيه وقتَ اختفائك. آرن-سيلز وصف لي ما عليّ أن أفعله، كيف أرجع إلى أسلوبٍ فكريّ ما قبل عقلاني. قال إنني ما إن أفعل ذلك حتى أبصر طُرقًا في كل مكان حولي، وأخبرَني أيها أختار. ظننته كان يقصد طرقًا مجازية. كانت صدمةً نوعًا ما حين تبين أنه لم يقصد ذلك».

«أجل»، قلت: «كان ماثيو روز سورنسن مصدومًا أولَ وصوله. مصدومًا ومرعوبًا. ثم غط في النوم ووُلدت أنا. في ما بعد عثرتُ على مواد في يومياتي أرعبتني. ظننت أنني لا بد كنت مجنونًا حين كتبتُها. لكنني الآن أفهم أن ماثيو روز سورنسن هو الذي كتبها وأنه كان يصف عالمًا مختلفًا».

- أجل.

- وفي العالم الآخر أشياء مختلفة. لا تملك الكلمات التي من مثل "مانشستر" و"مخفر شرطة" معنًى هنا. لأنها أشياء لا وجود لها. أما الكلمات التي من مثل "نهر" و"جبل"، فهي تملك معنًى، لكن فقط لأنها أشياء تُصورها التماثيل. أفترض أن هذه الأشياء لا بد موجودة في العالم الأقدم. في هذا العالم تُصور التماثيلُ أشياءَ موجودة في العالم الأقدم.

«أجل»، قالت رافاييل: «هنا بوسعك فقط أن ترى تصويرًا لنهر أو لجبل، لكن في عالمنا -العالم الآخر- بوسعك أن ترى النهر الحقيقي والجبل الحقيقي».

هذا أزعجني. «لست أفهم لماذا تقولين إن بوسعي *فقط* أن أرى تصويرًا في هذا العالم»، قلت بشيء من الحدة: «كلمة "فقط" توحي بعلاقة دونية. تجعلين الأمر يبدو كما لو أن التمثال أدنى بشكل ما من الشيء بحد ذاته. أنا لا أرى أن الأمر كذلك على الإطلاق. يمكنني أن أقول بأن التمثال أعلى من الشيء بحد ذاته، لكون التمثال يتصف بالكمال والأبدية وليس معرضًا للاضمحلال».

«آسفة»، قالت رافاييل: «لم أقصد أن أحط من قدر عالَمك».

ساد صمت.

«كيف هو العالم الآخر؟»، سألتها.

بدت رافاييل كأنها لا تعرف تمامًا كيف تجيب عن هذا السؤال. «هناك عدد أكبر من الناس»، قالت أخيرًا.

«عدد أكبر بكثير؟»، سألتها.

«أجل».

«يصل إلى السبعين؟»، سألتها، وقد اخترتُ عن عمد رقمًا مرتفعًا غير محتمل إلى حد ما.

«أجل»، قالت. ثم ابتسمت.

«لماذا تبتسمين؟»، سألتها.

- بسبب الطريقة التي ترفع لي بها حاجبك. تلك النظرة المتشككة، المستبدة إلى حدٍ ما. هل تعرف مَن تُشبه عندما تفعل هذا؟

- كلا. من؟

- تشبه ماثيو روز سورنسن. في صورٍ رأيتُها له.

«كيف تعلمين أن هناك أكثر من سبعين شخصًا؟»، سألتها: «هل أحصيتهم بنفسك؟».

«كلا، لكنني متأكدة إلى حدٍ مقبول»، قالت: «هو ليس عالمًا سارًّا دائمًا، العالم الآخر. هناك الكثير من الحزن». سكتت قليلًا. «الكثير من الحزن»، قالت مجددًا. «ليس الأمر كما هو هنا»، تنهدت. «أحتاج منك أن تفهم شيئًا. عودتك معي من عدمها موضوع يرجع إليك. كترلي خدعتك. أبقاك هنا بواسطة الأكاذيب والحيلة. أنا لا أريد أن أخدعك. يجب أن تأتي فقط إن كنت تريد».

«وإذا بقيتُ هنا هل سترجعين وتزورينني؟»، قلت.

«بالطبع»، قالت.

الأشخاص الآخرون

مادة اليوم التاسع والعشرين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

منذ مدة لا أذكر كم طالت وأنا أريد أن أُري شخصًا ما البيت. اعتدتُ أن أتخيل الشخص السادس عشر بجانبي وأنا أقول له أشياء من قبيل:

والآن سندخل إلى القاعة الشمالية الأولى. لاحظ التماثيل الجميلة الكثيرة. على يمينك سترى تمثال شيخ يحمل نموذج سفينة، وعلى يسارك تمثال حصان مجنح ومهره.

أتخيّلُنا نزور القاعات الغارقة معًا:

والآن سنعبر من هذه الفتحة في الأرضية؛ سنتسلق نزولًا على قطع البناء المهدمة وندخل إلى القاعة في الأسفل. ضع قدميك حيث أضع قدميّ ولن تواجه صعوبةً في الحفاظ على توازنك. التماثيل هائلة الحجم التي هي من المعالم المميزة لهذه القاعات توفر لنا أماكن آمنة للجلوس. لاحظ المياه الراكدة المظلمة. يمكننا أن نجمع زنابق الماء من هنا ونقدمها إلى الموتى...

اليوم صارت خيالاتي كلها حقيقة. سرنا أنا والشخص السادس عشر معًا في أنحاء البيت وأريتُها أشياء كثيرة.

وصلَتْ إلى الردهة الأولى في وقت مبكر من الصباح.

«هلا فعلت شيئًا من أجلي؟»، سألتني.

«بالطبع»، قلت: «أي شيء».

- أرِني المتاهة.

- بكل سرور. ماذا تودين أن تري؟

«لا أدري»، قالت: «أيًا كان ما تريد أن تريني إياه. أيًا كان الشيء الأجمل».

بالطبع، ما كنت أريد أن أريها إياه هو *كل شيء*، لكن هذا مستحيل. أول فكرة خطرت لي كانت القاعات الغارقة، غير أنني

تذكرت أن رافاييل لا تحب التسلق، لذا استقرّ اختياري على القاعات المرجانية، وهي سلسلة طويلة من القاعات المتتالية تمتد إلى الجنوب والغرب من القاعة الجنوبية الثامنة والثلاثين.

سرنا عبر القاعات الجنوبية. بدا على رافاييل الاسترخاء والسرور. (أنا أيضًا كنت مسرورًا). مع كل خطوة كانت رافاييل تنظر حولها بمتعة وإعجاب.

قالت: «يا له من مكان مدهش. مكان مثالي. لقد شاهدتُ القليل منه حين كنت أبحث عنك، لكن كان عليّ طوال الوقت أن أتوقف عند الأبواب لأكتب توجيهات العودة إلى غرفة المينوتورات. بات الأمر مستنزفًا للوقت ومُعرقِلًا جدًا وبالطبع لم أجرؤ على الابتعاد كثيرًا خوفًا من أن أرتكب خطأً».

«ما كنت لترتكبي خطأً»، أكدتُ لها: «توجيهاتك كانت ممتازة».

«كم استغرقت من الوقت حتى تتعلم؟ طُرق السير في المتاهة؟»، سألتني.

فتحت فمي لأقول جهرًا وبتبجّحٍ إنني لطالما كنت أعرف، إن ذلك جزء مني، إنه من غير الممكن الفصل بين البيت وبيني. إلا أنني أدركت، قبل حتى أن أنطق الكلمات، أن هذا لم يكن صحيحًا. تذكرتُ أنني اعتدتُ أن أعلّم الأبواب بالطبشور مثلما فعلت رافاييل بالضبط وتذكرتُ أنني كنت أخاف أن أتوه. هززتُ رأسي. «لا أدري»، قلت: «لست أتذكر».

«هل من مشكلة إذا التقطتُ صورًا؟»، رفعَت جهازها الساطع: «أم أن هذا...؟ لا أعرف، هل هذه قلة احترام بطريقة ما؟».

«بالطبع بوسعك أن تلتقطي صورًا»، قلت: «كنت ألتقط الصور الفوتوغرافية أحيانًا للآخــ... لـ د. كترلي».

لكنني سُررت من أنها سألت. فقد أظهر ذلك أنها تنظر إلى البيت مثلما أنظر إليه أنا، بوصفه شيئًا يستحق الاحترام. (د. كترلي لم يتعلم هذا قط. كان يبدو عاجزًا عن ذلك بطريقة ما).

في القاعة الجنوبية العاشرة انعطفتُ إلى القاعة الجنوبية الغربية الرابعة عشرة كي أُري رافاييل أهلَ الفجوة. إنهم (كما سبق أن شرحتُ) عشرة أشخاص وجمجمة قرد.

نظرت رافاييل إليهم بوقار. وضعت يدها برفق على إحدى العظام – قصبة ساقِ أحد الذكور. كانت بادرةً تُبدي المواساة والتطمين. *لا تخف. أنت بأمان. أنا هنا*.

«لسنا نعرف من يكونون»، قالت: «المساكين».

«إنهم أهل الفجوة»، قلت.

«الأرجح أن آرن–سيلز قتل واحدًا منهم على الأقل. وربما قتلهم جميعهم».

هذه كانت كلمات خطيرة. قبل أن يتسنى لي أن أقرر شعوري بشأنها التفتت نحوي وقالت بحرارة: «أنا آسفة. أنا آسفة جدًا جدًا».

شعرتُ بالذهول، بل حتى بشيء من الانزعاج. لم يسبق لأي أحد أن كان لطيفًا معي مثل رافاييل؛ لم يسبق لأي أحد أن فعل من أجلي أكثر مما فعلَته. بدا لي من غير الملائم أن تعتذر.

«لا... لا...»، همهمتُ ورفعتُ يديَّ أصدُّ كلماتها.

لكنها تابعت وعلى وجهها تعبيرٌ بائس غاضب: «لن يُعاقَب أبدًا على ما فعله بك. ولا على ما فعله بهم. لقد راجعتُ الأمر مرارًا وتكرارًا في ذهني ولم أجد ما يمكنني فعله. ما من تهمة يمكن توجيهها إليه. ليس دون الكثير من الشرح الذي لا أحد حرفيًا سيريد أن يصدقه»، تنهدت بعمق، «لقد قلتُ إن هذا عالَم مثالي. لكنه ليس كذلك. توجد جرائم هنا، تمامًا مثل أي مكان آخر».

غمرتني موجةٌ من الحزن والعجز. أردت أن أقول إن أهل الفجوة لم يُقتَلوا على يد آرن-سيلز (إلا أنني لا أملك دليلًا يدعم هذا الادعاء والراجحُ أن واحدًا منهم على الأقل قُتل على يده). أكثر ما أردته هو أن تبتعد رافاييل عنهم كي أستطيع أن أكف عن التفكير فيهم بالطريقة التي تفكر بها فيهم هي -على أنهم قتلى- وأرجع إلى التفكير فيهم مثلما كنت أفعل دائمًا في ما سبق - على أنهم طيبون ونبلاء ومطمئنون.

تابعنا طريقنا، نتوقف مرارًا لننظر بعين الإعجاب إلى تمثالٍ أخّاذٍ بشكل بارز. راح صدرانا ينشرحان من جديد، وعندما وصلنا إلى القاعات المرجانية أنعشنا نفسينا بالنظر إلى عجائبها.

رغم أن القاعات المرجانية جافة الآن، يظهر عليها أنها ذات زمان كانت مغمورة بماء البحر مدةً طويلة. لقد نما المرجان هنا، فغيّر التماثيل بطرائق غريبة وغير متوقعة. يمكن للمرء أن يرى مثلًا امرأة يُتوّج المرجان رأسها، يداها تحولتا إلى نجمتين أو زهرتين. ثمة تماثيل لها قرون من المرجان، أو مصلوبة على فروع من المرجان، أو تخترقها سهام من المرجان. ثمة أسد حبيس في قفص من المرجان ورجل يمسك صندوقًا صغيرًا. المرجان نما على جنبه الأيسر بغزارة جعلت نصفه يبدو مشتعلًا بألسنة لهب حمراء ووردية دونًا عن نصفه الآخر.

في وقت متأخر من الأصيل رجعنا إلى الردهة الأولى. قبل أن نفترق تمامًا قالت رافاييل: «أحب الهدوء هنا. ما من بشر!». قالت الجزء الأخير كأنها أعظم ميزة على الإطلاق.

«ألا يروقكِ الناس الذين في قاعاتك؟»، سألتُها محتارًا.

«يروقونني»، قالت دونما حماس كبير: «في المعظم يروقونني. البعض منهم. أنا لا أفهمهم دائمًا. وهم لا يفهمونني دائمًا».

بعد أن رحلَت، فكّرتُ في ما قالته. لا أستطيع تخيُّل ألا أريد أن أكون مع بشر. (رغم أنه صحيح أن د. كترلي كان في بعض الأحيان مزعجًا). تذكرتُ كيف تساءلت رافاييل أيًا من أهل الفجوة مات مقتولًا وكيف أن مجرد طرحِها السؤالَ جعل العالم كله يبدو مكانًا أكثر ظلامًا وحزنًا.

ربما هكذا هي صحبة الأشخاص الآخرين. ربما حتى الناس الذين يروقوننا ويعجبوننا للغاية يمكنهم أن يجعلونا نرى العالم بطرق لا نفضّل أن نراه بها. ربما هذا هو ما تعنيه رافاييل.

عواطف غريبة

مادة اليوم الثلاثين من الشهر التاسع في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

ذات مرة كتبتُ في يومياتي:

ما أعتقده هو أن العالم (أو، إن شئتَ، البيت، بما أن الاثنين متطابقان من جميع النواحي العملية) يرغب أن يكون له ساكنٌ كي يشهد على جماله ويتلقى ألطافَه.

إن رحلتُ، لن يكون لدى البيت ساكن، وكيف لي أن أتحمّل فكرة أن يكون فارغًا؟

مع ذلك فالحقيقة البسيطة هي أنني إن بقيت في هذه القاعات سوف أكون وحيدًا. من ناحيةٍ ما، أفترضُ أنني لن أكون أكثر وحدةً من ذي قبل. لقد وعدتني رافاييل أن تزورني، تمامًا مثلما كان الآخر يزورني في ما سبق. ورافاييل هي حقًا صديقتي – في حين أن مشاعر الآخر نحوي كانت مختلطة، على أقل تقدير. كلما تركني الآخر كان

يرجع إلى عالمه، بيد أنني لم أكن أعرف هذا آنذاك؛ كنت أظنه ببساطة يكون في جزء آخر من البيت. الاعتقاد بوجود شخص آخر هنا كان يجعلني أقل وحدة. الآن، عندما ترجع رافاييل إلى العالم الآخر، سوف أعلم أنني وحدي.

ولذا من أجل هذا السبب قررتُ أن أذهب مع رافاييل.

لقد أرجعتُ جميع الموتى إلى أماكنهم المخصصة لهم. اليوم سرتُ عبر القاعات مثلما سبق أن فعلت ألف مرة. زرتُ جميع التماثيل الأحبّ إليّ وحدقتُ في كل منها وأنا أقول لنفسي: *ربما تكون هذه آخر مرة أنظر فيها إلى وجهك. وداعًا! وداعًا!*

أرحــل

مادة اليوم الأول من الشهر العاشر في سنةِ قدومِ القطرسِ إلى القاعات الجنوبية الغربية

هذا الصباح أحضرتُ صندوق الكرتون الصغير الذي عليه كلمة **أكواريوم** وصورة أخطبوط. إنه الصندوق الذي احتوى في الأصل على الحذاء الذي أعطاني د. كترلي إياه. حين قال لي د. كترلي أن أختبئ من 16، أزلت الحلي من شعري وخبّأتها في الصندوق. لكنني الآن، بما أنني أريد أن أبدو في أحسن مظهر عندما أدخل إلى العالم الجديد، أمضيتُ ساعتين أو ثلاثًا أضعها في شعري مجددًا، جميع

الأشياء الجميلة التي عثرتُ عليها أو صنعتها: الأصداف، وخرز المرجان، واللؤلؤ، والحصى الصغير، والحسك المثير للاهتمام.

حين وصلت رافاييل، بدت مذهولةً إلى حدٍ ما من مظهري الباعث على السرور.

أخذتُ حقيبة ساعي البريد خاصتي وفيها جميع دفاتر يومياتي وأقلامي المفضلة وسرنا نحو المينوتورَين في الزاوية الجنوبية الشرقية. كانت الظلال بينهما تومض بعض الشيء. أبدت الظلال شكلَ ممر أو زقاق له جدران معتمة وفي نهايته أضواء ووميض للون متحرك لم تستطع عيني أن تفسره.

ألقيتُ نظرةً أخيرة على البيت الخالد. سرَت فيَّ رجفة. أخذَت رافاييل يدي. ثم، معًا، سرنا إلى داخل الممر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القسم السابع

مــاثيــو روز

سـورنسن

فالنتاين كترلي اختفى

مادة *26* نوفمبر *2018*

فالنتاين كترلي، عالم النفس والأنثروبولوجيا، اختفى. أجرت الشرطة تحقيقات واكتشفَت أنه قبل اختفائه قام بشراء بعض الأغراض غير المعتادة: مسدس وكاياك قابل للنفخ وسترة نجاة – مشتريات اتفق جميع أصدقائه على أنها لا تتماشى مع شخصيته بتاتًا: هو لم يُظهر قط أي ميل إلى ركوب الماء من قبل.

لم يُعثَر على أي من هذه الأغراض في منزله أو مكتبه.

تعتقد الشرطة أنه ربما استخدم الكاياك القابل للنفخ ليسافر إلى موضع ناءٍ ثم استخدم المسدس ليقتل نفسه؛ لكن ثمة شرطي واحد، رجل يدعى جيمي آسكيل، لديه فكرة مختلفة. هو يعتقد أن الاختفاء المفاجئ وغير المتوقع لـ د. كترلي لا بد أن يكون على ارتباطٍ ما بعودة ماثيو روز سورنسن المفاجئة وغير المتوقعة إلى الظهور. تقول نظرية آسكيل بأن كترلي احتجزَ روز سورنسن في مكان ما، بالطريقة نفسها التي قام بها مشرفُ كترلي ومدرسُه السابق، لورنس آرن–سيلز،

باحتجاز جيمس ريتر قبلها بسنوات. كان دافعُ كترلي، برأي آسكيل، يُطابق دافعَ آرن-سيلز: اختلاق دليل على نظرية آرن-سيلز القائلة بوجود عوالم أخرى. تملّكَ الفزعُ كترلي عندما كشفت الشرطة الرابطَ بينه وبين روز سورنسن. أمام انكشاف جرائمه، أطلق كترلي سراح روز سورنسن ثم قتل نفسه.

تمتلك نظريةُ آسكيل ميزةَ تفسيرِ عودة ماثيو روز سورنسن إلى الظهور في الوقت نفسه -بفارق يوم أو اثنين زيادةً أو نقصانًا- الذي اختفى فيه كترلي، الأمر الذي سيكون دون ذلك مصادفةً غريبة. أما هفوة النظرية فتتمثل في أن آرن-سيلز وكترلي كليهما لم يستخدما الاختفاءات قط دليلًا على أي شيء. في الحقيقة، طوال سنوات عديدة كان كترلي مجاهرًا بشجبه لآرن-سيلز.

دون أن يردعه ذلك، استجوبني آسكيل مرتين. إنه شابٌ ذو وجه بشوش باعث على السرور، يغطي رأسَه شعرٌ بنيٌ مجعدٌ قصير، وتعابيره تشي بالذكاء. يرتدي بدلةً زرقاء داكنة وقميصًا رماديًا، ويتحدث بلكنةٍ يوركشيريّة.

«هل كنت تعرف فالنتاين كترلي؟»، يسألني.

«أجل»، أقول: «لقد زرتُه في منتصف نوفمبر 2012».

يبدو مسرورًا من هذا الجواب. «هذا التاريخ يسبق اختفاءك مباشرةً»، يشير إلى هذه النقطة.

«أجل»، أقول.

«وأين كنت؟»، يسأل: «في أثناء غيابك؟».

«كنتُ في بيتٍ له غرف كثيرة. البحر يجتاح أنحاء البيت. أحيانًا كانت مياهه تطولني، لكنني أنجو في كل مرة».

يتوقف آسكيل قليلًا ويعبس. «هذا ليس... أنت لست...». يبدأ كلامه. يفكر لحظة. «ما أقصده هو أنك واجهت مشكلات. انهيارًا من نوعٍ ما. على الأقل، هذا ما قيل لي. هل تتلقى علاجًا من أجل ذلك؟».

«لقد رتبَت لي عائلتي لقاءً مع معالج نفسي. وهذا أمر ليس لدي اعتراض عليه. لكنني رفضت الدواء، وحتى الآن لم يُبدِ أحدٌ إصرارًا».

«حسنًا، آمل أن يساعدك ذلك»، يقول بلطف.

«شكرًا لك».

«ما أحاول أن أستوضحه»، يقول: «هو ما إذا كان د. كترلي قد أقنعك بالذهاب إلى أي مكان. ما إذا كان قد أبقاك في أي مكان دون إرادة منك. ما إذا كنت تتمتع بحرية المجيء والذهاب».

- أجل. كنت أتمتع بالحرية. كنت أجيء وأذهب. لم أبقَ في مكان واحد. كنت أسير مئاتٍ، وربما آلافًا، من الكيلومترات.

- أوه... أوه، طيب. ولم يكن د. كترلي يرافقك حين تسير؟

- لا.

- هل كان أي أحد يرافقك؟

- لا، كنت وحدي تمامًا.

«أوه. أوه، حسنًا». يبدو قدرٌ من الخيبة على جيمي آسكيل. أنا أيضًا أشعر بالخيبة، من ناحية ما: خيبة من كوني خيّبتُه. «حسنًا»، يقول: «لا أريد أن آخذ الكثير من وقتك. أعلم أنك سبق أن تحدثت إلى المحققة الرقيب رافاييل».

- أجل.

- إنها مذهلة، أليست كذلك؟ رافاييل؟

- بلى.

«لست متفاجئًا من أنها عثرت عليك. أقصد إن كان لأحد أن يعثر عليك، فالأرجح أنه سيكون هي دائمًا». يسكت قليلًا. «بالطبع، هي تكون أحيانًا... أقصد أنها حقًا ليست...». يتصيّد في الهواء بأصابعه بحثًا عن الكلمات التي تراوغه. «أقصد أنها ليست بالضرورة أكثر شخص يسهل العمل معه في العالم. وإدارة الوقت؟ ليست نقطة قوّتها قطعًا. لكن صدقًا، جميعنا معجبون بها غاية الإعجاب».

«من الصائب الإعجاب برافاييل غاية الإعجاب»، أقول له: «إنها شخص استثنائي».

«بالضبط. هل سبق لأحد أن حكى لك عن بيني ويلر؟».

«كلا»، أقول: «من أو ماذا يكون بيني ويلر؟».

- شابٌّ في إحدى المدن في ميدلاندز - حيث بدأت رافاييل عملها. كان شخصًا من النوع المضطرب، شخصًا متأزمًا، شخصًا من ذلك النوع الذي تصبح له علاقة كبيرة بنا في نهاية المطاف.

- هذا ليس جيدًا.

- كلا، ليس جيدًا. ذات مرة حدث شيءٌ أفقده صوابه فصعد إلى أعلى برج الكاتدرائية. وقف على شرفة من نوعٍ ما وراح يصيح شاتمًا الناس الذين في داخل الكاتدرائية. كانت معه رزم من الصحف القديمة المتسخة التي يصحبها برفقته إلى كل مكان، وبدأ يُضرم النار بها ويرميها على الناس في الأسفل.

- كم هذا مريع.

- أعلم. مرعب، أليس كذلك؟ حين وصلنا -أقصدنا نحن الشرطة- إلى هناك، كان المساء قد حل - الظلام مُخيِّمٌ وورق الصحف المشتعل يطفو في الأنحاء والناس يندفعون في كل مكان حاملين طفّايات حريق ودلاء من الرمل. حاولت رافاييل وشابٌّ آخر الوصول إلى بيني ويلر، لكن حين كانا في بئر الدرج -الذي كانت مساحته ضيقة ومحصورة بحق- رمى بيني المزيد من ورق الصحف المشتعل والتفّ بعضٌ منه على وجه الشابّ الآخر. لذا تعين عليه أن يتراجع.

«لكن رافاييل لم تتراجع»، أقول بيقينٍ عظيم.

- كلا، لم تتراجع. إن تحدثنا من الناحية التقنية، الأرجح أنه كان يجدر بها التراجع، لكنها لم تفعل. عندما خرجَت إلى الشرفة كانت النار مندلعة بشعرها. لكن، كما تعلم، إنها رافاييل. أشك أن تكون لاحظَت ذلك أساسًا. تعين على الناس في الأسفل أن يصيحوا بها حتى تطفئ النار. جلسَت برفقة بيني ويلر وجعلته يكف عن رمي ورق الصحف المشتعل في الأنحاء وجعلته ينزل. شجاعة كبيرة، ألا توافقني؟

- أكبر مما تظن. هي لا تحب المرتفعات.

- حقًا؟

- تُشعرها بالضيق.

«ما كان هذا ليوقفها»، يقول.

- كلا.

- حمدًا لله أنها لم تضطر إلى فعل أيٍّ من ذاك معك. أقصد لم تضطر إلى اقتحام النار أو ما شابه. هي فقط ذهبت إلى الساحل. هذا ما سمعتُه على أي حال - أنها عثرت عليك قرب البحر.

- أجل. أنا كنت في جوار البحر.

«الكثير من الأشخاص المفقودين يَظهرون في أماكن قريبة من البحر»، يقول متأملًا: «هذا بسبب البحر، كما أعتقد. له تأثير مهدّئ».

«كان له هذا التأثير فيَّ دون شك»، أقول.

يبتسم لي بمرح. «ممتاز»، يقول.

ماثيو روز سورنسن عاد إلى الظهور

مادة *27* نوفمبر *2018*

أمّ ماثيو روز سورنسن وأبوه وأختاه وأصدقاؤه جميعهم يسألونني أين كنت.

أقول لهم ما قلته لجيمي آسكيل: أنني كنتُ في بيتٍ له غرف كثيرة؛ أن البحر يجتاح أنحاء البيت؛ وأن مياهه أحيانًا كانت تطولني، لكنني أنجو في كل مرة.

أمّ ماثيو روز سورنسن وأبوه وأختاه وأصدقاؤه يقولون في ما بينهم إن هذا وصفٌ للانهيار العقلي من منظور داخلي؛ تفسير يجدون أنه معقول، ربما حتى مُطَمئِن. لقد استعادوا ماثيو روز سورنسن – أو هكذا يعتقدون. رجل له وجهه وصوته ولفتاته، يروح ويغدو ويحيا حياته، وهذا كافٍ لهم.

ما عدتُ أشبه بيرانيسي. ما من خرز مرجان أو حسك في شعري. شعري نظيف ومقصوص ومُصفَّف. وجهي حليق. أرتدي الملابس التي جُلبت لي من المخزن الذي كانت أختا ماثيو روز

سورنسن قد وضعتاها فيه. لقد كان لدى روز سورنسن عدد هائل من الملابس، جميعها تتلقى عناية مفرطة. كان لديه أكثر من دستة من البدلات (ما أجده مفاجئًا على اعتبار أن دخله لم يكن كبيرًا). هذا الحب للملابس كان شيئًا مشتركًا بينه وبين بيرانيسي. كثيرًا ما كتب بيرانيسي عن ملابس د. كترلي في يومياته وتحسّرَ على التفاوت بينها وبين الخرق الرثة التي يرتديها هو. هذه، كما أعتقد، هي النقطة التي أختلفُ فيها عنهما كليهما – عن ماثيو روز سورنسن وبيرانيسي؛ أجد أنني لا ألقي بالًا كبيرًا إلى الملابس.

لقد وصلتني أشياء أخرى عديدة من المخزن، أهمها يوميات ماثيو روز سورنسن المفقودة. إنها تغطي المدة التي بين يونيو 2000 (حين كان ما يزال طالبًا في المرحلة الجامعية) وبين ديسمبر 2011. أما عن بقية ممتلكاته، فسوف أتخلص من معظمها. بيرانيسي لا يطيق أن يكون لديه كل هذا العدد من الممتلكات. *أنا لست بحاجة إلى هذا!*، هذه هي اللازمة التي لا ينفك يكررها.

بيرانيسي برفقتي دائمًا، أما روز سورنسن فلا أملك منه سوى تلميحات وظلال. أُلملم صورتَه من الأغراض التي تركها، مما يقوله عنه الآخرون، وبالطبع، من يومياته. لولا اليوميات لكنت في ضياع ما بعده ضياع.

إنني أتذكر كيف يعمل هذا العالَم – على وجه التقريب. أتذكر ما هي مانشستر وما هم الشرطة وكيف أستخدم هاتفًا ذكيًا. أستطيع

أن أدفع المال ثمنًا للأشياء – رغم أنني ما زلت أجد العملية غريبةً ومصطنعة. بيرانيسي ينفر نفورًا شديدًا من المال. بيرانيسي يريد أن يقول: *لكنني أحتاج إلى الشيء الذي لديك، فلماذا لا تعطيني إياه وحسب؟ ثم حين يكون لدي شيء تحتاج أنت إليه، سوف أعطيك إياه وحسب. هذا سيكون نظامًا أبسط وأفضل بكثير!*

أما أنا، الذي لستُ بيرانيسي –أو على الأقل لستُ هو فقط– فأدرك أن هذا على الأرجح لن يتلقى كثيرًا من الاستحسان.

لقد قررتُ أن أكتب كتابًا عن لورنس آرن–سيلز. هذا شيء كان ماثيو روز سورنسن يريد أن يفعله وشيء أريد أنا أن أفعله. ففي النهاية، من الذي يعرف عملَ آرن–سيلز أفضل مني؟

رافاييل أرَتني ما علّمها لورنس آرن–سيلز إياه: كيف تجد الطريق إلى المتاهة وكيف تجد الطريق إلى خارجها من جديد. بوسعي أن آتي وأذهب كما يحلو لي. الأسبوع الماضي ركبتُ قطارًا إلى مانشستر. ركبتُ حافلةً إلى مايلز بلاتينغ. سرتُ عبر مشهدٍ خريفيٍّ أجرد إلى شقةٍ في برج سكنيّ. فتح لي الباب رجلٌ نحيلٌ تالفُ الهيئة تفوح منه رائحة سجائر قوية.

«هل أنت جيمس ريتر؟»، سألته.

وافق أنه هو.

«لقد أتيتُ كي أصحبك من جديد»، قلت.

قدتُه عبر الممر المسكون بالظلال، وعندما لاحت مينوتورات الردهة الأولى النبيلة حولنا، بدأ يبكي، لا من خوف، بل من سعادة. ذهب مباشرةً وجلس تحت المنحنى الرخامي العظيم للسلّم؛ المكان الذي اعتاد أن ينام فيه. أغمض عينيه وأصغى إلى أصوات المدود. حين حلّ موعد الرحيل، توسل إليّ أن أتركه يبقى، غير أنني رفضت.

«أنت لا تعرف كيف تطعم نفسك»، قلت له: «لم تتعلم قط. ستموت هنا ما لم أطعمك - وأنا لا يمكن لي أن أتكفل بهذه المسؤولية. لكنني سأصحبك إلى هنا من جديد متى ما أردتَ. وإن حدث وقررتُ أن أعود بشكل نهائي، أعدك أن آتي بك معي».

جثمان فالنتاين كترلي، الساحر والعالِم

مادة *28* نوفمبر *2018*

جثمان فالنتاين كترلي، الساحر والعالِم، غسلَته المدود. كنتُ قد وضعته في قاعة من القاعات السفلية يمكن الوصول إليها من الردهة الثامنة وربطتُه بحبلٍ إلى تمثال رجلٍ نصفِ مُستلقٍ. عينا التمثال مغمضتان؛ ربما هو نائم؛ ثمة أفاعٍ وثعابين ثخينة تلتفّ بشدة على أطرافه.

الجثمان موضوع داخل كيس من الشبك البلاستيكي. فتحات الشبك عريضة بما يكفي لدخول أفواه السمك ومناقير الطيور؛ ودقيقة بما يكفي كيلا تضيع عظمة من العظام الصغيرة.

أقدّر أنه في غضون ستة أشهر ستصبح العظام بيضاء ونظيفة. سوف ألمُّها وآخذها إلى المشكاة الخالية في القاعة الشمالية الغربية الثالثة. سوف أضع فالنتاين كترلي بجانب رجل علبة البسكويت. في المنتصف سأضع العظام الطويلة مربوطة بعضها إلى بعض بالحبال. على اليمين سأضع الجمجمة. على اليسار سأضع صندوقًا يحتوي على جميع العظام الصغيرة.

سوف يرقد د. فالنتاين كترلي مع زملائه: مع ستانلي أوفندن وماوريتسيو جوساني وسيلفيا داغوستينو.

التماثيل من جديد

مادة *29* نوفمبر *2018*

كان بيرانيسي يعيش بين التماثيل: حضورها الصامت أمدَّه بالمواساة والتنوير.

لقد ظننتُ أن التماثيل في هذا العالَم الجديد (القديم) لن تكون ذات أهمية. لم أتخيل أنها ستتابع مساعدتها لي. لكنني كنت مخطئًا.

عندما يواجهني شخصٌ أو موقف لا أفهمه، ما زال أول شيء يخطر لي هو أن أبحث عن تمثال يُنوّرني.

أفكّر في د. كترلي فتلمع صورةٌ في عقلي. إنها ذكرى تمثال ينتصب في القاعة الشمالية الغربية التاسعة عشرة. تمثال رجلٍ جاثٍ على قاعدته؛ بجانبه سيف، نصلُه مكسورٌ خمسَ قطع. حوله تتناثر قطع مكسورة أخرى، بقايا جسمٍ كرويّ. لقد استخدم الرجل سيفه لتحطيم الجسم الكروي لأنه أراد أن يفهمه، لكنه الآن يجد أنه أتلف الجسم الكروي والسيف معًا. هذا يصيبه بالحيرة، لكن في الوقت نفسه ثمة جزءٌ منه يرفض أن يقبل أن الجسم الكروي مكسور وعديم النفع. لقد التقط بعض القطع المكسورة وأخذ يحدق فيها بانتباهٍ على أمل أن تجلب إليه معرفةً جديدةً في نهاية المطاف.

أفكّر في لورنس آرن-سيلز فتلمع صورةٌ في عقلي. إنها ذكرى تمثال ينتصب في إحدى الردهات العلوية، قبالةَ قمةِ أحد السلالم (السلم الصاعد من الردهة الثانية والثلاثين). هذا التمثال يصوّر بابا مُهرطقًا، يجلس على عرش. هو سمين ومنتفخ. يتراخى على عرشه، كتلةً لا شكل لها. العرش مهيب، بيد أن كتلةَ الجالسِ عليه وحدها تهدد أن تقصمه نصفين. البابا يعرف أنه مثير للاشمئزاز، لكن بوسع المرء أن يرى من وجهه أن الفكرة تسرّه. هو يجد متعةً بالغةً في كونه صادمًا بطريقة ما. في وجهه تتمازج ضحكةٌ وزهو منتصر. *انظروا إليّ*، يبدو كأنه يقول: *انظروا إليّ!*

أفكّر في رافاييل فتلمع صورةٌ - لا، بل صورتان اثنتان في عقلي.

في عقل بيرانيسي تتجسّد رافاييل في تمثال في القاعة الغربية الرابعة والأربعين. التمثال يُظهر ملكةً في عربة حربية، الملكة المدافعة عن شعبها. كلّها خير، كلّها رفق، كلّها حكمة، كلّها أمومة. هذه هي نظرة بيرانيسي إلى رافاييل، لأن رافاييل أنقذته.

لكنني أختار تمثالًا مختلفًا. في عقلي تتجسّد رافاييل على نحوٍ أفضل في تمثال في حُجرةٍ تقع بين القاعتين الشماليتين الخامسة والأربعين والثانية والستين. هذا التمثال يُظهر شخصًا يسير إلى الأمام، حاملًا قنديلًا. من الصعب تحديد جنس الشخص بأي قدرٍ من اليقين؛ هو خنثويّ في مظهره. من الطريقة التي تحمل (أو يحمل) بها القنديل وتحدق في ما أمامها أيًا كان، ينتاب المرءَ إحساسٌ بظلام هائل يحيط بها؛ قبل كل شيء ينتابني إحساسٌ بأنها وحيدة، ربما باختيارها وربما لأن أحدًا غيرها لم يكن شجاعًا بما يكفي كي يتبعها في قلب الظلام.

من بين مليارات الناس الذين في هذا العالم، رافاييل هي أكثر من أعرفه وأكثر من أحبه. بتُّ أفهم أكثر بكثير الآن -أكثر مما استطاع بيرانيسي أن يفهمه يومًا- الشيءَ البديعَ الذي فعلَته حين جاءت لتبحث عني، مقدارَ شجاعتها.

أعلم أنها ترجع إلى المتاهة كثيرًا. أحيانًا نذهب معًا؛ أحيانًا تذهب بمفردها. الهدوء والعزلة يجذبانها بشدة. فيهما تأملُ أن تعثر على ما تحتاج إليه.

هذا يُقلقني.

«لا تختفي»، أقول لها بصرامة: «إياكِ أن تختفي».

يكتسي وجهها بتعبيرٍ كئيبٍ مستمتع. «لن أفعل»، تقول.

«لا يمكن لواحدنا أن يظل ينقذ الآخر»، أقول: «هذا سخيف».

تبتسم. إنها ابتسامة فيها القليل من الحزن.

لكنها ما تزال تضع العطر -أول شيء عرفتُه منها على الإطلاق- وما يزال عطرُها يجعلني أفكّر في نور الشمس والسعادة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

في عقلي توجد كل المُدود

مادة *30* نوفمبر *2018*

في عقلي توجد كل المُدود، مواسمها، تدفقها وانحسارها. في عقلي توجد كل القاعات، تتاليها الذي لا نهاية له، الطرق المتداخلة. عندما يصبح هذا العالَم كثيرًا عليّ، عندما أسأم من الضجة والوسخ والناس، أغمض عينيّ وأعيّن ردهةً محددة بيني وبين نفسي؛ ثم أعيّن قاعة. أتخيل أنني أسير على الطريق من الردهة إلى القاعة. أحدد بدقةٍ الأبواب التي عليّ أن أعبر منها، الانعطافات التي عليّ أن أنعطفها إلى اليمين وإلى اليسار، التماثيل على الجدران التي عليّ أن أمرّ بها.

الليلةَ الماضية حلمتُ أنني واقف في القاعة الشمالية الخامسة قبالة تمثال الغوريلا. ترجّلَ الغوريلا عن قاعدته وجاء نحوي بمشيته البطيئة على البراجم. كان رماديًا أبيض في ضوء القمر؛ ألقيتُ بذراعيَّ حول عنقه الضخم وأخبرته كم أنا سعيد لأنني في المنزل.

حين استيقظتُ قلت لنفسي: *أنا لست في المنزل. أنا هنا.*

بدأ الثلج يتساقط

مادة *1* ديسمبر *2018*

هذا الأصيل سرتُ عبرَ المدينة، متّجهًا نحو مقهًى سأقابل فيه رافاييل. كانت الساعة نحو الثانية والنصف من نهارٍ لم يكن فيه أي ضوء بحق.

بدأ الثلج يتساقط. شكّلت الغيومُ الخفيضةُ سقفًا رماديًّا للمدينة؛ كتم الثلجُ ضوضاءَ السيارات حتى صارت أقرب إلى الإيقاع؛ ضوضاء ثابتة باعثة على السكوت، مثل صوت المدود وهي ترتطم إلى ما لا نهاية بالجدران الرخامية.

أغمضت عينيّ. شعرت بالهدوء.

كانت ثمة حديقة. دخلت إليها وسرتُ على دربٍ تحفّه أشجار عتيقة طويلة على جانبيها مساحاتٌ معشبة قاتمة عريضة. كان الثلج الشاحب يتنخّل من بين فروع شتوية عارية. أضواء السيارات على الطريق البعيد تتألق من بين الأشجار: حمراء، صفراء، بيضاء. الجو هادئ جدًا. رغم أن الشفق لم يحل بعد، كانت أعمدة الإنارة تُلقي ضوءًا خافتًا.

الناس يسيرون بالاتجاهين على الدرب. مرّ بي رجل عجوز. بدا حزينًا ومتعَبًا. لديه عروقٌ ممزقة على وجنتيه ولحية بيضاء كثّة. حين زمّ أجفانَه أمام الثلج المتساقط، أدركتُ أنني أعرفه. ثمة تمثال على الجدار الشمالي للقاعة الغربية الثامنة والأربعين يصوّره. يَظهر فيه ملكًا معه نموذج صغير لمدينة مسوَّرة بيدٍ فيما يرفع اليد الأخرى مُبارِكًا. أردتُ أن أمسك به وأقول له: *في عالَمٍ آخر أنت ملك، ملك نبيل وطيّب! لقد رأيتُ ذلك!*، لكنني ترددتُ لحظةً طالت أكثر من اللازم حتى اختفى في الحشود.

مرت بي امرأة معها طفلان. أحد الطفلين يمسك بيديه مزمارًا خشبيًا. عرفتُهما هما أيضًا. ثمة تصوير لهما في القاعة الجنوبية السابعة والعشرين: تمثال لطفلين يضحكان، أحدهما يمسك نايًا.

خرجتُ من الحديقة. ارتفعَت شوارعُ المدينة حولي. كان ثمة فندق له فناء فيه طاولات وكراسٍ معدنية يجلس عليها الناس في

الطقس الأكثر اعتدالًا. هي اليوم مهجورة يتناثر الثلج عليها. عبر الفناء مُدَّت شبكة من الأسلاك. عُلّقت على الأسلاك قناديل ورقية، أجسام كروية ذات لون برتقالي زاهٍ تلوّح وتهتز في الثلج والريح الخفيفة؛ الغيوم ذات اللون الرمادي البحري تتسابق في السماء والقناديل البرتقالية ترتجف أمامها.

جمال البيت لا يُقاس؛ عطفُه لا حدّ له.

سجل في مكتبة
اضغط! الصفحة
SCAN QR

عن المؤلّفة

سوزانا كلارك هي مؤلفةُ *جوناثان سترينج والسيد نوريل*، و*سيدات غريس آديو وقصص أخرى*. تعيش في داربيشير، إنجلترا.

P I R A N E S I روايات

بيرانيسي سوزانا كلارك

بيتُ **بيرانيسي** ليس مبنًى عاديًّا: غُرفُه لا نهاية لها، ممرّاته لا تقف عند حدّ، تصطفّ على جدرانه ألوفٌ وألوفٌ من التماثيل، كلّ واحد منها مختلف عن كلّ ما سواه. داخل متاهة القاعات يوجد مُحيط حبيس؛ هدير الأمواج يُدوّي على السلالم، المياه تغمر الغُرف في غضون لحظة. لكنّ **بيرانيسي** لا يخاف؛ هو يفهم المُدود مثلما يفهم مخطط المتاهة بحدّ ذاتها. إنّه يعيش كي يستكشف البيت.

في البيت شخص واحد آخر-رجل يُدعى «الآخر»، يزور **بيرانيسي** مرّتين في الأسبوع، ويطلب منه مساعدته في البحث عن معرفة عظيمة وسرّيّة. لكن بينما يكون **بيرانيسي** منهمكًا في الاستكشاف، تظهر أدلّة على وجود شخص آخر، وتبدأ حقيقةٌ مُريعة بالتكشّف، رافعةً الستار عن عالَمٍ يتجاوز حدودَ ذلك العالم الذي طالما عرفه **بيرانيسي**.

الكتاب الفائز بجائزة المرأة للخيال دورة عام 2021

«قَدَرُها أن تصبح عملًا من كلاسيكيّات الفانتازيا»، برنامج CBS صنداي مورنينغ

«فائقة البراعة»، ديڤيد ميتشل

«استثنائيّة جدًا»، برناردين إيڤاريستو

«ساحرة»، إيرين مورغينسترن

«مليئة بالعجب»، صحيفة الصنداي تايمز

«من عالَم آخر تمامًا»، صحيفة الغارديان

«أعجوبيّة»، مادلين ميلر

مكتبة
t.me/soramnqraa

الأهلية
الأردنّ، عمّان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص.ب 7855 هاتف 4638688 6 00962
فاكس 4657445 6 00962 ◆ منشورات 2025
الغلاف: ® ☎ 95297109 7 00962